٣٠١٠٢٠٠٠٠٤٦٨٨

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى بمكة المكرمة
كلية التربية
قسم التربية الإسلامية والمقارنة

٢٥٤٠٠٠

المبادئ التربوية المتضمنة في سورة " المؤمنون "

إعداد الباحثة
هناء بنت محفوظ بن قمر الدين الأندنوسي

إشراف الدكتورة
أميرة بنت طـــه بخـــش

متطلب تكميلي لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية
قسم التربية الإسلامية والمقارنة بكلية التربية جامعة أم القرى بمكة المكرمة

الفصل الدراسي الثاني
عام ١٤٢٤ هـــ

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة أم القرى

كلية التربية بمكة المكرمة

الدراسات العليا

نموذج رقم (٨)

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية

بعد إجراء التعديلات المطلوبة

الاسم الرباعي :- هناء بنت محفوظ قمر الدين الأتدنوسي القسم :- تربية إسلامية ومقارنة

الدرجة العلمية :- ماجستير التخصص :- تربية إسلامية

عنوان الأطروحة :- المبادئ التربوية المتضمنة في سورة المؤمنين

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد

فبناء على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة أعلاه والتي تمت مناقشتها بتاريخ ٢٢ /٢/ ١٤٢٥هـ

بقبول الأطروحة بعد إجراء التعديلات المطلوبة وحيث تم عمل اللازم .

فإن اللجنة توصي بإجازة الأطروحة في صيغتها النهائية المرفقة كمتطلب تكميلي للدرجة العلمية المذكورة أعلاه

والله الموفق

أعضاء اللجنة

المشرف	مناقش من القسم	مناقش من القسم
الاسم :- د/ أمرة بنت طه عبد الله بخش	أ. د/ محمد جميل بن علي خياط	أ. د/ أمال بنت حمزة المرزوقي أبو حسين
التوقيع :-		

يوضع هذا النموذج أمام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان الأطروحة في كل النسخة .

ملخص الدراسة

موضوع الدراسة : المبادئ التربوية المتضمنة في سورة " المؤمنون " .

الهدف منها : إيضاح المبادئ التربوية التي في سورة " المؤمنون " ، واستنباط الآثار التربوية القيمة الناجمة من تطبيقها في حياة الفرد والمجتمع ، وتأييد جميع ذلك بالأدلة النقلية من القرآن العظيم والسنة النبوية الشريفة وأقوال علماء الدين والتربية .

منهج الدراسة : أستُخْدِمَ المنهج الاستنباطي في استنباط الآثار التربوية الناجمة عن تطبيق المبادئ التربوية في حياة الفرد والمجتمع .

فصول الدراسة : قسمت الدراسة إلى خمسة فصول ، هي :

الفصل الأول : وعنوانه (خطة البحث) وقد اشتمل على موضوع البحث ، وأهميته ، وأهدافه ، وتساؤلاته ، و منهجه ، ومصطلحات الدراسة ، و الدراسات السابقة .

الفصل الثاني : وعنوانه (دراسة تحليلية لسورة " المؤمنون ") وقد شمل ترتيب السورة ، ومكانتها وفضلها ، وسبب تسميتها بسورة " المؤمنون " ومناسبة السورة لما قبلها وما بعدها من السور ، والموضوعات التي اشتملت عليها سورة " المؤمنون " والمؤمنون كما وصفهم الله في القرآن الكريم .

الفصل الثالث : وعنوانه (المبادئ التربوية المتضمنة في جانب العقيدة) وقد احتوى على مبدأ الإيمان بالله تعالى ، والآثار التربوية الناجمة عن تطبيقه ، ومبدأ الإيمان بالكتب وآثاره التربوية ، ومبدأ الإيمان بالرسل وآثاره التربوية ، ومبدأ الإيمان باليوم الآخر وآثاره التربوية الناجمة عن تطبيقه .

الفصل الرابع : وعنوانه (المبادئ التربوية المتضمنة في جانب العبادات) وقد انطوى تحته مبدأ الخشوع في الصلاة والآثار التربوية الناجمة عن تطبيقه ، ومبدأ إيتاء الزكاة وآثاره التربوية ، ومبدأ التقوى وآثاره التربوية ، ومبدأ الدعاء وآثاره التربوية ، ومبدأ الخشية وآثاره التربوية الناجمة عن تطبيقه على حياة الفرد والمجتمع .

الفصل الخامس : وعنوانه (المبادئ التربوية المتضمنة في جانب الأخلاق) وقد انضوى تحته مبدأ الإعراض عن اللغو وآثاره التربوية الناجمة عن تطبيقه ، ومبدأ الأمانة وآثاره التربوية ، ومبدأ الوفاء بالعهد وآثاره التربوية .

واختُتِمَت الدراسة بخاتمة ضمت خلاصة الدراسة ، وأهم نتائجها ، وبعض التوصيات و المقترحات المتعلقة بها .

وكان من أهم النتائج المتوصل إليها :

١) اشتمال سورة " المؤمنون " على العديد من المبادئ التربوية العظيمة القيمة ، التي تحقق الفلاح في الدنيا والآخرة ، والفوز بالخلود في جنة الفردوس .

٢) المؤمنون بالله تعالى حق الإيمان يغمرهم الشعور بالأمن والطمأنينة في السراء والضراء على حدٍ سواء ، وبالرضا بما قسمه الله لهم من الأقدار .

ومن التوصيات :

١. اهتمام المؤسسات التربوية المختلفة بتوجيه الناس إلى إدراك أهمية هذه المبادئ التربوية في حياتهم العامة والخاصة ، وتربيتهم عليها .

٢. الحرص على أن يكون كل مسلم أميناً مع ربه ، ومع غيره ، ومع نفسه ، في جميع الأوقات .

ومن المقترحات :

(١) مواصلة البحث في سور القرآن الكريم وإيضاح ما تضمنته من مبادئ تربوية أخرى لم يُتطرق إليها مسبقاً ، وفي هذا إبراز لشمولية الدين الإسلامي ، وإبراز لأسبقيته في ميدان التربية لجميع ألوان التربية الوضعية الأخرى .

الباحثة	المشرفة	عميد كلية التربية
هناء بنت محفوظ الأندنوسي	د.أميرة بنت طه بخش	د. زهير الكاظمي

The summary

The subject: the educative principles embraced in the holy Koran-chapter (al moominoon).
The purpose : explaining of these educative principles in (Almominoon) chapter of the Holy Koran ,and figuring out the valued educative effects that can be gained from its application in the life of individual and society . also, sustaining the former points by evidence that mention in the holy Koran, sunna and sord of the education and religon scientists.
The studying method : the descriptive method is used in talking about the educative principles, while the deduction method is used in figuring out the educative effects the can result from the application of the educative principles in the life of the individual and the society . The chapter of the study : the study was divided into five chapter.

The chapter one :
its title is (the plan of research) .it includes the subject of the study its importance , the purposes, question about the study , the method
used, former studies and the study idioms.

The chaptcr two :
It is title is (An Anlytical study of the Believers " Surah ' It includes the order , rank , value of the surah the cause of its naming by the believers surah, the occasion of the surah in the relation to the previous and the following and the topics are incwded by the belieres surah .

The chaptcr three :
its title is (the educative principles embraced in the sideofthe belief). This chapter includes the principle of believing in Almighty and the educative effects that stem from its application , the principle of believing in the Holy Books , the principle of believing in the prophets and the principle of believing in the doomsday and the effects that stem from the application of them all.

The chaptcr four :
:its title is(the educative principles embraced in the side of the worships).this chapter include the principles of the prayers zakat,the devotin .the invoking of the Almighty and the fear from Almighty and their educative effects.

The chaptcr five :
its title is (the educative principles embraced in the side of manners) this chapter includes the principles of avoidance from chitchat and logorrhea, keeping away from fornication , the probity and the loyality with coverants and their educative effects of application. The study .
was ended by aconclusion, an important results and some of suggestions and recommendations related.

The important results :
1- the chapter Almominoon of the holy Koran conclude many of valued great educational principles which can achevie success in the world and at the doomsday .
2" those who belive in Almighty indeed , will feel in safe and apeace fullness whatever the surroundig conditions are, and they always meet their weirds with shin faces.

Recommendations:
1- it should be extremely necessary for the different corporatations and organizations to make account of people direction to know the importance of these educational principles.
2- every Muslim must wish to be in probity with Almighty and with other people and with his safe at any time.

Suggestion :
keeping on research in the holy Koran chapters and explaining the other educational principles involved which had not been revealed formerly and thus presenting the inclusiveness of Islam and its precedence in the field of education.

شكر و تقدير

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين . أما بعد :

إن من تمام إنعام الله تعالى و منّه عليّ توفيقه لي بإتمام هذا العمل ، و من حق الله سبحانه و تعالى عليّ شكره و الثناء عليه و تعظيمه بما هو أهل له . أحمده تعالى الذي هداني لاختيار هذا الموضوع والكتابة فيه . ثم توجيه الشكر و الدعاء بالخير لكل من كان له الفضل بعد الله جلّ جلاله في التوجيه والعون ، و في طليعة من يتعين شكره بعد شكر الله عزّ و جلّ منارة العلم جامعة أم القرى التي أعطتني الفرصة في ترقي درجات التعليم العالي في صرحها الشامخ . وأخص بالشكر معالي مديرها الأستاذ الدكتور ناصر بن عبد الله الصالح ، وعميد الدراسات العليا الدكتور ثامر بن حمدان الحربي ، وعميد كلية التربية الدكتور زهير بن أحمد علي الكاظمي ، كما أخص بالشكر جميع أساتذتي منسوبي ومنسوبات قسم التربية الإسلامية ، ويسعدني أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير لأستاذتي القديرة الدكتورة أميرة بنت طه بخش لإشرافها على هذه الدراسة وإبداء التوجيهات السديدة لي ، وأشكر كلاً من الدكتور حامد بن سالم الحربي و الدكتور عبد اللطيف بن محمد بالطو لتحكيمهما خطة الدراسة ، كما أشكر كلاً من الأستاذ الدكتور محمد جميل بن علي خياط والأستاذة الدكتورة آمال بنت حمزة المرزوقي لمناقشتهما هذه الرسالة ، فجزاهم الله تعالى خير الجزاء . كما أتقدم بخالص الشكر و التقدير لمن ساعدني من محيط أسرتي فأشكر الوالدة العظيمة أطال الله عمرها في طاعته ، وزوجي العزيز محمد عبده إبراهيم الذي شجعني على الدراسة وقام بتخريج الأحاديث الواردة في البحث ، فجزى الله الجميع خير الجزاء وأتاهم ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة .

الباحثة

قائمة المحتويات

المحتوى	الصفحة
ملخص الدراسة – باللغة العربية –	ث
ملخص الدراسة – باللغة الإنجليزية –	ج
شكر وتقدير	ح
قائمة المحتويات	خ
الفصل الأول : خطة البحث : –	٢ – ١٣
المقدمة	٣
موضوع الدراسة	٤
أهمية الدراسة	٦
أهداف الدراسة	٧
تساؤلات الدراسة	٨
منهج الدراسة	٨
تحديد مصطلحات الدراسة	٩
الدراسات السابقة	١٠
الفصل الثاني : دراسة تحليلية لسورة " المؤمنون " : –	١٤ – ٢٥
تمهيد	١٥
ترتيب سورة " المؤمنون "	١٥
مكانة سورة " المؤمنون "	١٦
سبب تسمية سورة " المؤمنون " وفضلها	١٦
مناسبة سورة " المؤمنون " لما قبلها	١٧
مناسبة سورة " المؤمنون " لما بعدها	١٨

الموضوعات التي اشتملت عليها سورة " المؤمنون "	١٨
الفصل الثالث : المبادئ التربوية المتضمنة في جانب العقيدة : -	٣١ — ١٢١
تمهيد	٣٢
مبدأ الإيمان بالله تعالى	٣٤
الآثار التربوية الناجمة عن تطبيقه	٤٢
مبدأ الإيمان بالكتب	٥٧
الآثار التربوية الناجمة عن تطبيقه	٦٣
مبدأ الإيمان بالرسل	٧٩
الآثار التربوية الناجمة عن تطبيقه	٨٤
مبدأ الإيمان باليوم الآخر : حياة البرزخ والقيامة الكبرى	١٠٠
الآثار التربوية الناجمة عن تطبيقه	١١٠
الفصل الرابع : المبادئ التربوية المتضمنة في جانب العبادة	١٢٢ — ١٧٢
تمهيد	١٢٣
مبدأ الخشوع في الصلاة	١٢٦
الآثار التربوية الناجمة عن تطبيقه	١٢٩
مبدأ إيتاء الزكاة	١٣٨
الآثار التربوية الناجمة عن تطبيقه	١٤٠
مبدأ التقوى	١٤٥
الآثار التربوية الناجمة عن تطبيقه	١٤٨
مبدأ الدعاء	١٥٧
الآثار التربوية الناجمة عن تطبيقه	١٦٠
مبدأ الخشية	١٦٧
الآثار التربوية الناجمة عن تطبيقه	١٦٩

الفصل الخامس : المبادئ التربوية المتضمنة في جانب الأخلاق : - ١٧٣ — ٢٠٠
تمهيد ١٧٤
مبدأ الإعراض عن اللغو ١٧٦
الآثار التربوية الناجمة عن تطبيقه ١٧٨
مبدأ الأمانة ١٨٤
الآثار التربوية الناجمة عن تطبيقه ١٨٧
مبدأ الوفاء بالعهد ١٩٤
الآثار التربوية الناجمة عن تطبيقه ١٩٦
خاتمـــــــة البحـــــــث : - ٢٠١ — ٢٠٧
الخاتمـــة ٢٠٢
النتائـــج ٢٠٤
التوصيات ٢٠٦
المقترحات ٢٠٧
مراجـــــــع البحث ومصـــــــادره ٢٠٨ — ٢١٧

الفصـــل الأول

خطـــة البحـــث

* المقـدمـــة .
* موضوع الدراسة .
* أهميـة الدراسـة .
* أهداف الدراسـة .
* تساؤلات الدراسة .
* منهـج الدراسـة .
* تحديد مصطلحات الدراسة .
* الدراسات السابقة .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة :

إن الحمـــد لله ، نحمده ونستغفره ونستعينه ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفســـنا ومن سيئات أعمالـــنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له . و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أشهد أن محمداً عبده و رسوله . و الصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين ومن اتبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين ، عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم .

أما بعـــد : -

قـــال ﷺ : (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) (مسلم ١٤٢٠هـــ ،كتاب : فضائـــل الصحابـــة رضي الله عنهم ، باب ٥٢ : فضل الصحابـــة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، ص ١٠٨٥ ، برقم :٢٥٣٣٢١٢) . ونحن الآن في العام الهجري الرابع و العشرين بعد الأربعمائة والألف من الهجرة ... أي بعد ثلاثة عشر قرناً ، مـــن القرن الذي عاش فيه رسول الله ﷺ وصحابته وتابعوهم ، الذين وصفهم الله تعـــالى بصـــفاتٍ عديدة عظيمة ، فما هو حال المؤمنين في صدر الإسلام وما هي صفاتهم ؟ وهل ما زال المؤمنون على صفاتهم تلك ؟ بعد هذه القرون العديدة التي مرّت على خير القرون في قوله ﷺ وهو الصادق المصدوق (خير الناس قرني) .

ونحن الآن بعد هذا البون الزمني الشاسع أحوج ما نكون إلى معرفـــة هذه الصفات حـــقّ المعرفـــة ، والاقتداء بها والتمسك والالتزام بها ، والسير على نهجها حتى نكون من المفلحين تحقيقاً لإخباره تعالى في قوله ((قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُون)) . (سورة المؤمنون ، الآية ١) .

وقد ذكر الله عزَّ وجلَّ صفات المؤمنين في مواضع كثيرةٍ من القرآن الكريم ، وسمى إحدى السور باسم " المؤمنون " ، فتمَّ اختيـــار هذه الســـورة من بين السور لدراستها و تحليـــلها و تبيان ما تحفل به من مبادئ تربوية قيِّمة ، نزلت من لدن حكيمٍ خبـــير . ثم استنباط الآثار التربوية العظيمة الناتجة عن تطبيق هذه المبادئ التربوية . ولعظيم فضل هذه السورة ، فقد فرح الرسول ﷺ عند نزول سورة " المؤمنون " فدعا بدعاءٍ عظيم :

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : كان إذا أُنزل الوحي على رسول الله ﷺ

يُسمع عند وجهه دويٌّ كدوي النحل ، فمكثنا ساعة ، فاستقبل القبلة ورفع يديه فقال : { اللهم زدنا ولا تنقصنا ، وأكرمنا ولا تهنا ، وأعطنا ولا تحرمنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وارضنا وارض عنا ، ثم قال : لقد أُنزلت علينا عشر آيات من أقامهن دخل الجنة . ثم قرأ – قد أفلح المؤمنون – إلى عشر آيات } . (النيسابوري ، ١٤٠٢هـ ص ١٧٨) .

ولإيمان الباحثة بأن السورة تحفل بالكثير من المبادئ التربوية العظيمة التي يقوم عليها بنيان المجتمع الإسلامي على أسس قوية متينة ، حرصت على أن تكون دراستها في كامل سورة " المؤمنون " .

وأسأل الله العلي العظيم العون و التوفيق والسداد في عملي ، و أن أحقق الفائدة المرجوة وأن يجعل ذلك في موازين حسناتي ، إنه سميع مجيب .

موضوع الدراسة :

حيث إن القرآن الكريم فيه هدى وبيناتٍ من الهدى والفرقان ويهدي للتي هي أقوم لحياة البشرية جمعاء وفيه خيرهم وصلاحهم ، ينبغي تدبر آياته ، وفهم معانيه ، و استنباط ثرواته و خيراته . لذا كان من الأفضل أن تكون الدراسة في القرآن الكريم وآياته وما تحويه من مبادئ تربوية قيمة يسعد بها المؤمنون سعادة الدنيا والآخرة ، وفي تمسكهم بهذه المبادئ وتطبيقهم لها في حياتهم الفوز والفلاح في الحياة الدنيا ، والخلود في الفردوس في الحياة الآخرة ، من خلال دراسة سورة " المؤمنون " كاملةً ، و استعراض المبادئ التربوية منها واستنباط آثارها التربوية الجليلة المترتبة على تطبيقها والالتزام بها ، مما يحقق للمجتمع المسلم الصلاح والسؤدد والتقدم والأمن والرخاء ، وتحقيق السيادة والصدارة في العالم ،كما كان متحققاً للمؤمنين في صدر العصور الإسلامية . وقد بدأت السورة الكريمة بذكر صفات المؤمنين فقال تعالى :

((قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَ الَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَ الَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ العَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ* أُوْلَـئِكَ

هُمُ الْوَٰرِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ)). (سورة المؤمنون ، الآيات ١ : ١١) .

وفي هذه الآيات نجد ثمانية مبادئ قيِّمة هي :

١- الإيمان بالله تعالى .

٢- الخشوع في الصلاة .

٣- الإعراض عن اللغو .

٤- إيتاء الزكاة .

٥- حفظ الفرج .

٦- الأمانـــة .

٧- الوفاء بالعهد .

٨- المحافظة على الصلوات بشروطها ، ووقتها ، والطهارة ، والقيام على أركانها ، وإتمامها في كل وقت . (فخر الرازي ، ١٤١١هـــ ، ج٢٣ ، ص ٦٨) .

وتســـتمر الاســـتفادة التربوية من الآيات إلى آخر السورة الكريمة ، فتتضح مبادئ تربوية أخرى قيمة هي : الإيمان بالكتب السماوية والإيمان بالرسل ، والإيمان باليوم الآخر والتقوى ، والخشية ،مع دراسة الآيات وفهم معانيها من خلال كتب التفاسير ، وإعمال الفكر وبذل الجهد الذهني والنفسي واستنباط آثارها التربوية القيَّمة على الفرد و المجتمع .

ولدراسة السورة تمَّ تقسيم محتواها إلى المحاور التالية : -

المحور الأول : ويتحدث عن المبادئ التربوية المتضمنة في النواحي العقدية التي ذُكرت في هذه السورة وهي : الإيمان بالله تعالى ، الإيمان بالكتب ، الإيمان بالرسل ، و الإيمان باليوم الآخر .

المحور الثاني : ويتعلق بالمبادئ التربوية المتضمنة في جانب العبادات المذكورة بالسورة : الصلاة ، الزكاة ، التقوى ، الدعاء ، الخشية .

المحور الثالث : و يرتبط بالمبادئ التربويـــة المتضمنة في السورة في جانب الأخلاق ، وهي : الإعراض عن اللغو ، الأمانة ، حفظ العهد .

أهمية الدراسة :

تنبع أهمية الدراسة من الفوائد الجمة المترتبة من دراسة الجوانب التالية : -

أولاً : معرفة المبادئ التربوية المتضمنة في سورة " المؤمنون " .

ثانياً : تطبيق هذه المبادئ في جميع مجالات حياتنا .

ثالثاً : معرفة آثارها التربوية الناجمة من معرفة المبادئ و تطبيقها . فكلما ارتبط العلم بها بالعمل ، زادت أهميتها العلمية التربوية ، ونضجت ثمارها ، وعمَّت فوائدها أفراد المجتمع . وتتضح أهمية الدراسة من خلال ما يلي : -

١- تعود أهمية الدراسة من أهمية المصدر النابعة منه ، ألا وهو كتاب الله العزيز ، الذي أحكمت آياته و أنزلت من لدن حكيمٍ خبير ، هو خالق البشرية المدبر لأمرها العليم بأسرارها ، الخبير بمكامن صلاحها و سؤددها وهو أحكم الحاكمين .

٢- وتنبع أهميتها أيضاً من أهمية المصدر الثاني لها ، وهي سنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . وخير تفسيرٍ لمعاني القرآن هو تفسير القرآن بالقرآن ، وتفسير القرآن بالسنة الشريفة . قال تعالى : ((وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوْحَىٰ)) (سورة النجم ، الآيتان ٣،٤) .

٣- تأتي أهمية الدراسة أيضاً في تعريف المؤمنين بالمبادئ التربوية الهامة ، التي يتحقق بتمسكهم بها فلاحهم في الدنيا و الآخرة ، كما أفادت بذلك الآية الأولى : ((قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ)) ثم تتوالى بعد ذلك صفاتهم إلى آخر السورة . و نحن في هذا القرن كما سبق الإيضاح في حاجةٍ ماسة إلى معرفة صفات المؤمنين حق المعرفة ، ومن ثم الإيمان بها ، وإخراجها من حيز التنظير إلى ميدان التطبيق ، لاسيما بعد أن اصطبغت حياتنا بطابع الحضارة الغربية ، و انبهر المؤمنون في هذا القرن - إلا من رحم ربي - بالغرب وأهله وحضارتهم ، وأعمى التقليد أبصارهم فأخذوا يقلدونهم في مأكلهم ، و مشربهم ، و ملبسهم ، ومسكنهم ، ونشاطهم ، و تفكيرهم ، و في كل صغيرة وكبيرة ، ما وافق الإسلام منها وما خالفه ، وحرمه أيضاً ، وقد صدق فيهم قوله ﷺ : { لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضبٍّ لاتبعتموهم . قلنا يا رسول الله

آليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟ } . (مسلم ، ١٤٢٠هـ ،كتاب :العلم ،باب ٣: اتباع سنن اليهود والنصارى ، ص ١١٣١ ، برقم : ٢٦٦٩٦) .

٤- تساهم هذه الدراسة في إبراز المبادئ التربوية المتضمنة في سورة "المؤمنون" وآثارها التربوية القيمة لو طُبقت في جميع وسائط التربية من أسر ، ومدارس ، ومساجد ، و أجهزة إعلام وغيرها .

٥- تهم هذه الدراسة الأسرة التي هي النواة الأولى للمجتمع من الأب والأم والأبناء فعندما يُطبِّق الوالدان هذه المبادئ التربوية في معاملاتهما مع المحيطين بهما من أفراد وحين يعوِّدا أبناءهما عليها منذ نعومة أظفارهم ، فتكون التربية هنا بالقدوة ، و الممارسة و العمل ، و بالعادة ، مما لها أبلغ الأثر على الأطفال ، و من المستبعد أن يصيبهم أيّ انحراف ، بإذن الله .

٦- كما تهم الدراسة المجتمع ككل ، الذي يتكوَّن من عدة أسر . كل أسرة فيه تطبق هذه المبادئ التربوية الكامنة في هذه السورة وتجني ثمارها اليانعة ، فمجتمع عناصره مثل هذه الأسر فهو بلا شك مجتمع في قمة المثالية تسوده المحبة و الألفة والسعادة والرخاء ، والأمان وروح التعاون والإخاء .

٧ - تهم الدراسة المدرسة كوسط من وسائط التربية ، مكمل لرسالة الأسرة والمجتمع في تربية الأبناء تربيةً إسلاميةً صحيحة . فكل من في المدرسة من معلمين و إداريين حين تحصل لهم معرفة المبادئ التربوية يتسنى لهم تطبيقها و الالتزام بها ، ومن ثم التنعم بآثارها وخيراتها العظيمة الفائدة .

أهداف الدراسة :

تتلخص أهداف الدراسة فيما يلي : -

١- دراسة سورة " المؤمنون " دراسة موضوعية استنباطية .

٢- تبيان ما في السورة من مبادئ تربوية متضمنة في النواحي العقدية التي ذُكرت فيها

وهي : الإيمان بالله تعالى ، الإيمان بالكتب ، الإيمان بالرسل ، الإيمان باليوم الآخر والإيمان بحياة البرزخ .

٣- إيضاح المبادئ التربوية المتضمنة في جانب العبادات المذكورة فيها : الصلاة ، الزكاة ، التقوى ، الدعاء ، الخشية .

٤- توضيح المبادئ التربوية المتضمنة في جانب الأخلاق التي ذكرت في ثناياها و هي : الإعراض عن اللغو ، الأمانة ، الوفاء بالعهد .

٥- استخلاص الآثار التربوية لكل مبدأ ، كمرحلة لاحقة لمرحلة تبيان المبادئ التربوية المتضمنة في سورة " المؤمنون " .

تساؤلات الدراسة :

تقوم هذه الدراسة على تساؤل رئيسي هو :

ما هي المبادئ التربوية المتضمنة في سورة " المؤمنون " ؟

وبعد تحليل ودراسة السورة انبثقت عن هذا التساؤل عدة تساؤلات هي : -

س ١ : ما مكانة وأهمية سورة " المؤمنون " ؟

س ٢ : ما المبادئ التربوية المتضمنة في النواحي العقدية الواردة بسورة " المؤمنون " ؟

س ٣ : ما المبادئ التربوية المتضمنة في جانب العبادات التي وردت في سورة " المؤمنون" ؟

س ٤ : ما المبادئ التربوية التي تضمنتها أخلاق المؤمنين حقاً التي وصفهم الله تعالى بها في سورة " المؤمنون " ؟

منهج الدراسة :

اتبعت الباحثة في هذه الدراسة المنهج التالي وهو : -

المنهج الاستنباطي : و هو " الطريقة التي يقوم فيها الباحث ببذل أقصى جهد عقلي

ونفسي ، عند دراسة النصوص ، بهدف استخراج مبادئ تربوية ، مدعمة بالأدلة الواضحة " . (عبد الله و فودة ، ١٤٠٨هـ ، ص ٤٣) .

واستخدامه في إيضاح المبادئ التربوية المتضمنة في سورة " المؤمنون " ، واستنباط آثارها التربوية الناجمة عن معرفة المبادئ التربوية وتطبيقها . استناداً إلى العديد من كتب تفسير القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ، وشرحها ، وتنظيمها ، و تبويبها حسب المحاور الرئيسية التي احتوت عليها السورة الكريمة .

تحديد مصطلحات الدراسة :

يمكن تحديد مصطلحات الدراسة فيما يلي : -

* المبادئ : جمع كلمة " مبدأ " . « ويعني مبدأ الشيء : أوله ومادته التي يتكوَّن منها كالنواة مبدأ النخل ، أو يتركَّب منها ، وكالحرف مبدأ الكلام . و الجمع مبادئ ، ومبادئ العلم أو الخلق أو الدستور أو القانون : قواعده الأساسية التي يقوم عليها ولا يخرج عنها » . (أنيس ، د . ت ، ج١ ، ص٤٢) .

والمبدأ في المجال التربوي هو : قاعدة تنظم السلوك .

والمبدأ : فكرة عامة شاملة تنبثق عنها أفكار فرعية أو تنظم على ضوئها العمليات التربوية . أما في مجال التربية الإسلامية فيمكن القول أن المبادئ هي : القواعد الأساسية والمنطلقات العامة التي تكون في مجموعها التربية الإسلامية أو المنهج التربوي الإسلامي .

أو هي : « مجموعة القواعد والأسس والأفكار المستنبطة أساساً من القرآن والسنة ، والتي تقوم عليها النظرية التربوية في الإسلام . أو المنهج التربوي الإسلامي . » (خياط ، ١٤١٦هـ ، ص ٢١) .

والمبادئ هي : « الأسس و القواعد المعتمدة على مرتكزات عقدية تتمثل في صلة الإنسان بربه ، ومرتكزات اجتماعية تتمثل في صلة الإنسان بمجتمعه الذي يتعايش معه ، وفق المنهج الرباني الذي وضعه الله سبحانه وتعالى ليفوز في الدنيا والآخرة . » (الخيري ، ١٤١٧هـ ، ص ١١) .

* المتضمنة : هي « من قولنا ضمَّن . وضمَّن الشيءَ الشيءَ : أودعه إياه ، كما تُودِعُ الوِعاءَ المتاعَ ، والميتَ القبرَ ، وقد تضمَّنَهُ هو .

وكل شيء جعلته في وعاء فقد ضمَّنْتَهُ إياه . وكل شيء أُحْرِزَ فيه شيء فقد ضمَّنَهُ .

و يقال : ضَمِنَ الشيء ، بمعنى تضَمَّنَهُ . و منه قولهم : مضمون الكتاب كذا وكذا . » (ابن منظور ، ١٣٠٠هـ ، ج ١٣ ، ص ٢٥٧) .

* سورة : هي في اللغة بمعنى المترلة والرفعة والشرف ، وكذا السورة من القرآن . والجمع سُوَر . (ابن منظور ، ١٣٠٠هـ ، ج ٤ ، ص ٣٨٦) .

ومعنى السورة في القرآن اصطلاحاً :

« قرآن يشتمل على آيٍ ، ذو فاتحة وخاتمة ، وأقلها ثلاث آيات ، والمسماة باسم خاص ، بتوقيفٍ من النبي ﷺ » (السيوطي ، ١٣٩٤هـ ، ج ١ ، ص ٥٢) .

* سورة " المؤمنون " : هي من السور المكية ، إجماعاً ، و هي مائة و ثماني عشرة آية ، نزلت بعد سورة الأنبياء (الزمخشري ، د.ت ،ج ٣ ، ص ٤٢) . وهي في القسم الأوسط من القرآن الكريم المسمى '' المئين '' لأن آيات سوره تزيد على مائة آية ، ولها اسم آخر هو '' قد أفلح '' (السيوطي ، ١٣٩٤هـ ، ج ١ ، ص ٦٣ ، ص ٦٨) .

وترتيبها في المصحف الشريف يحمل الرقم : (٢٣) وهو ترتيب توقيفي عن الرسول ﷺ (السيوطي ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٦٣) .

الدراسات السابقة :

على حد علم الباحثة أن هذا الموضوع لم يتم تناوله مسبقاً من الناحية التربوية أو الاجتماعية ، لإتصالها بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، بالرياض و مركز البحوث التربوية و النفسية ، بجامعة أم القرى و إفادتهم بجدية هذه الدراسة وأنها أول دراسة تتناول سورة " المؤمنون " من الناحية التربوية . وحيث قد تمَّ تناول الباحثون

سورة " المؤمنون " من الناحية التحليلية أي تفسيرها فقط . كما أن هناك عدة رسائل جامعية تناولتها من الناحية اللغوية البلاغية .

والرسائل الجامعية التي تناولت السورة من الناحية التحليلية أي التفسيرية فقط وليست من الناحية التربوية هي : -

١. دراسة بعنوان : التفسير الوسطي بين المقبوض و البسيط للواحدي ، من أول سورة مريم إلى آخر سورة العنكبوت (سورة مريم ، سورة طه ، سورة الأنبياء ، سورة الحج ، سورة المؤمنون ، سورة النور ، سورة الفرقات ، سورة العنكبوت) . من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية أصول الدين ، قسم القرآن وعلومه . قام بها : أحمد بن ناصرالطريقي. عام (١٤٠٧ هـ) .ماجستير .

٢. دراسة بعنوان : المروي عن ابن عباس : من أول سورة طه إلى آخرسورة العنكبوت (سورة طه ، سورة الأنبياء ، سورة الحج ، سورة المؤمنون ، سورة النور ، سورة الفرقان ، سورة العنكبوت) .من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية أصول الدين ، قسم القرآن وعلومه . قام بها : سعود بن عبد العزيز الحمد . عام (١٤٠٧هـ) . ماجستير .

٣. دراسة بعنوان : فتح الرحمن بتفسير القرآن ، للعليمي الحنبلي : من أول سورة مريم إلى آخر سورة النمل (سورة مريم ، سورة طه ، سورة الأنبياء ، سورة الحج ، سورة المؤمنون ، سورة النور، سورة الفرقان ، سورة القصص ، سورة العنكبوت ، سورة لقمان ، سورة النمل) . من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ،كلية أصول الدين ، قسم القرآن وعلومه .قام بها : ناصربن سليمان العمران، (١٤٠٩هـ). ماجستير .

٤. دراسة بعنوان : سورة المؤمنون . دراسة تحليلية موضوعية .من كلية الآداب للبنات بالرياض ، قسم الدراسات الإسلامية . قامت بها : فريدة بنت

سعدون بن محمد بن عبد المنعم . عام (١٤١٧هـ) ، ماجستير .

٥. دراسة بعنوان : أنوار الحقائق الربانية في تفسير اللطائف القرآنية للإمام شمس الدين الأصبهاني ، من أول سورة المؤمنون إلى آخر سورة الأحزاب .

تحقيق ودراسة . من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية أصول الدين ، قسم القرآن وعلومه . قامت بها : وفاء بنت إبراهيم بن عبد الهادي العساف . عام (١٤١٥هـ) . دكتوراه .

أما الرسائل الجامعية التي تناولت هذه السورة من الناحية اللغوية البلاغية فهي : -

٦. دراسة بعنوان: من بلاغة القرآن الكريم في سورة " المؤمنون " . من كلية التربية للبنات بالرياض ، قسم اللغة العربية . قامت بها : آمال بنت راشد بن هندي البلوي . عام (١٤١٠هـ) ماجستير .

و كما هو واضح فإن جميع هذه الرسائل تختلف عن موضوع الرسالة الحالية ، فالرسائل الخمس الأولى يبحث موضوعها عن التفسير التحليلي الموضوعي لسورة " المؤمنون " . أما الرسالة الأخيرة فقد تناولت السورة من الناحية البلاغية للقرآن الكريم . وبهذا تختلف الرسائل السابقة الذكر عن الرسالة الحالية التي تتناول سورة " المؤمنون " من الجوانب التربوية : تبيان المبادئ التربوية ، واستنباط آثارها التربوية الناجمة عن تطبيقها على الفرد والمجتمع .

وهناك دراسات جامعية تربوية مستنبطة للمبادئ التربوية من القرآن الكريم ،منها:

٧ . دراسة بعنوان : المبادئ التربوية المستنبطة من آيات الوصايا في القرآن الكريم .من جامعة أم القرى ، كلية التربية ، قسم التربية الإسلامية والمقارنة .

قام بها : عبد المجيد بن أحمد الخيري . عام (١٤١٧هـ) ماجستير.

وكان الهدف من الدراسة : التعرف على المبادئ التربوية التي تحملها آيات الوصايا ومحاولة تطبيقها ومعرفة آثارها التربوية .

وقد استخدم الباحث المنهج الاستنباطي ، ومن أهم نتائجها : -

١- إن العقيدة الإسلامية أساس كل خير ومنبع كل صلاح ، فالإيمان قاعدة كل محبة ، والتقوى عماد كل ترابط وتقدم وتطور .

٢- إن الله حرَّم الفواحش ليحفظ للنفس كرامتها ، وللمجتمع عزته ومكانته وصحته.

٣- إن المـــيراث أساس من أسس العلاقات الاجتماعيـــة ، إذ به تقوى العلاقة وتزداد الروابط بين الأقارب .

٤- إن الإسلام اهتم بتنظيم العلاقات الاجتماعية بين أفراد الأسرة إذ بصلاحها يصلح المجتمع .

٥- إن الرحمة خلق عالٍ وسمة نبيلة ، تدعو إلى المحبة و الوئام ، وتنادي إلى الترابـــط والتماسك بين أفراد المجتمع .

وهذه الدراسة وإن كانت نقطة الإلتقاء معها هي معالجة النواحي التربوية في القرآن الكريم . إلا أنها تختص بآيات الوصايا فقط في القرآن الكريم وليست هناك أي آية مـــنها هي من سورة " المؤمنون " . إلا أن الباحثة استفادت من هذه الدراسة من طريقة الباحث في تقسيم دراسته إلى فصول حسب تصنيفه للمبادئ التربوية المستنبطة من آيات الوصايا ، وقد صنفها إلى الجوانب التالية :

- المبادئ التربوية المستنبطة في جانب العقيدة .
- المبادئ التربوية المستنبطة في جانب العبادة .
- المبادئ التربوية المستنبطة في جانب المعاملات .
- المبادئ التربوية المستنبطة في جانب الأخلاق .

فكانت فصول الدراسة الحالية على غرار فصول هذه الدراسة وجزى الله صاحبها خيراً ، مع زيادة الفصل الثاني بهذه الدراسة وهو بعنوان :

(دراسة تحليليـــة لسورة " المؤمنون ") .

الفصـــل الـــثـــاني

دراسة تحليلية لسورة "المؤمنون"

* ترتيب سورة " المؤمنون " .

* مكانة سورة " المؤمنون " وفضلها .

* سبب تسمية السورة باسم " المؤمنون " .

* مناسبة سورة " المؤمنون " لما قبلها وما بعدها .

* الموضوعات التي اشتملت عليها سورة "المؤمنون".

* المؤمنون كما وصفهم الله في القرآن الكريم .

* ترتيب سورة " المؤمنون " ومكانتها .

تمهيـــد :

ســـورة " المؤمـــنون " هي التي خلدت ذكر المؤمنين بخلود القرآن الكريم ؛ المعجـــزة الإلهـــية الباقية حتى تقوم الساعة ، وهي التي استهلت بحكمٍ إلهي قطعي بفلاح المؤمنين في قوله تعالى : ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ . (سورة المؤمنون ، الآية ١) ، ثم ذكرت عدة صفات حميدة يلتزم بها المؤمنون واستحقوا بها الخلود الأبدي في جنة الفردوس في قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (سورة المؤمنون ، الآية ١١) .

ومن المناسب في هذا المقام تقديم دراسة تحليلية مختصرة عن سورة " المؤمنون " تتـــناول الحديث عن ترتيب سورة " المؤمنون " في القرآن الكـــريم ، ومكانتـــها وفضلها ، وسبب تسميتها باسم " المؤمنون " ، ثم ذكر مناسبة السورة لما قبلها من الســـور – ســـورة الحـــج – ومناسبتها لما بعدها من السور – سورة النور – ، والموضـــوعات الـــتي اشتملت عليها سورة " المؤمنون " ، ثم ذكر بعض صفات المؤمنون كما وصفهم القرآن الكريم .

ترتيب سورة " المؤمنون " :

ترتيب سورة " المؤمنون " في المصحف الشريف يحمل الرقم (٢٣) و هـــو ترتيب توقيفي عن الرســـول ﷺ (السيوطي ، ١٣٩٤هـــ ، ج ١ ، ص ٦٣) . ونزلـــت بعد سورة الأنبـــياء ، و هي مائة و ثماني عشرة آية ، و هي من الســـور المكية ، إجماعاً (الزمخشري د.ت ، ج ٣ ، ص ٤٢) .

وهـــي في القســـم الأوسط من القرآن الكريم المسمى " المئين " لأن آيات سوره تزيد على مائة آية ، ولها اسم آخر هو " قد أفلح " (السيوطي ، المرجع السابق ج ١ ، ص ٦٣ ، ص ٦٨) .

مكانة سورة " المؤمنون " وفضلها :

وعن مكانة و فضل سورة " المؤمنون " : ذُكِرَ أنه لما نزلت على الرسول ﷺ دعا بدعاء عظيم ، فعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال : كان إذا أُنزل الوحي على رسول الله ﷺ يُسمع عند وجهه دويٌّ كدوي النحل ، فمكثنا ساعة ، فاستقبل القبلة و رفع يديه ، فقال : { اللهم زدنا ولا تُنْقِصنا ، و أكرمنا ولا تُهِنَّا ، و أعطنا ولا تحرمنا ، و آثِرنا و لا تُؤثِر علينا ، و أرضِنا و ارضَ عنا ، ثم قال : لقد أُنزلت علينا عشر آيات من أقامهن دخل الجنة . ثم قرأ — قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ — إلى عشر آيات } (النيسابوري ، ١٤٠٢هـ ، ص ١٧٨) .

ومن حديث أنس رضي الله تعالى عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال : { لما خلق الله جنة عدن وغرس أشجارها بيده ، قال لها : تكلمي . فقالت : قد أفلح المؤمنون } (القرطبي ١٣٧٢هـ ، ج ١٢ ، ص ١٠٢) .

سبب تسمية السورة باسم " المؤمنون " :

سبب تسمية السورة باسم " المؤمنون " : لاشتمالها على جلائل أوصافهم ونتائجها في أولها ، في قوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ . (سورة المؤمنون ، الآيات ١ : ٩) . وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۝٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۝٥٩ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۝٦٠ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى

ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾ (سورة المؤمنون ، الآيات ٥٧ : ٦١) . (القاسمي ، ١٤١٨هـ ، ج ٧ ، ص ٢٨٠) .

* مناسبة سورة " المؤمنون " لما قبلها وما بعدها .

مناسبتها لما قبلها – سورة الحج – :

وجه اتصالها بسورة الحج أنه : لما ختمها بقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ (سورة الحج ، الآية ٧٧) وكان ذلك مجملاً ، فصَّله في فاتحة سورة " المؤمنون " فذكر خصال الخير التي من فعلها فقد أفلح : وهي في الآيات من (١ : ٩) من سورة " المؤمنون " .

و لما ذكر في أول سورة الحج قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ ﴾ (من الآية ٥) زاد هنا بياناً وإطناباً في قوله : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ (سورة المؤمنون ، الآيات ١٢ : ١٤) . فكل جملة أُوجزَت في سورة الحج أُطنبت في سورة " المؤمنون ".(السيوطي ، ١٤٠٨ هـ ص ٩٨) .

مناسبتها لما بعدها – سورة النور – :

وجه اتصالها بسورة النور أنه : لما قال الله تعالى فيها : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ ﴾ (سورة المؤمنون ، الآيتان ٥ ، ٦) . ذكر في سورة النور أحكام من لم يحفظ فرجه من الزانية والزاني ، وما اتصل بذلك من شأن القذف ، وقصة الإفك ، والأمر بغض البصر – الذي هو داعية الزنا والاستئذان الذي إنما جُعِل من أجل فجأة النظر – و أمر فيها بالإنكاح حفظاً للفروج ، وأمر من لم يقدر على النكاح بالاستعفاف وحفظ فرجه ، ونهى عن إكراه الفتيات على الزنا . ولا ارتباط أحسن من هذا الارتباط ، ولا تناسق أبدع من هذا النسق . (السيوطي المرجع السابق ، ص ٩٩) .

* الموضوعات التي اشتملت عليها سورة " المؤمنون " .

اشتملت سورة " المؤمنون " على موضوعات كثيرة ، كان من أهمها ما يلي : –

الموضوع الأول :

الصفات التي يستحق من اتصف بها أن يرث الفردوس مخلداً فيها :

الصفة الأولى : الإيمان .

الصفة الثانية : الخشوع في الصلاة .

الصفة الثالثة : الإعراض عن اللغو .

الصفة الرابعة : إيتاء الزكاة .

الصفة الخامسة : حفظ الفرج ، إلا على الأزواج أو ما ملكت أيمانهم .

الصفة السادسة : الأمانة .

الصفة السابعة : الوفاء بالعهد .

الصفة الثامنة : المحافظة على الصلوات .

وهي تتضمن الآيات الأولى من (١ : ١١) في سورة " المؤمنون " ، و التي فـــرح الرسول ﷺ عند نزولها و دعا بهذا الدعاء : { اللهم زدنا و لا تنقصنا ، و أكرمنا ولا تهنا ، وأعطنا ولا تحرمنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وأرضنا وارض عنا . ثم زف البشرى لأصحابه فقال ﷺ : لقد أنزلت علينا عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ، ثم قرأ : قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ إلى عشر آيات } (النيسابوري ، ١٤٠٢هـــ ، ص ١٧٨) . قـــال تعالى:﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١ ﴾ (سورة المؤمنون ، الآيات ١ : ١١) .

وكان المسلمون في صلاتهم يرفعون أبصـــارهم إلى السماء ، وكان رســـول الله ﷺ يفعل ذلك فلما نزلت الآية : ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾ (سورة المؤمـــنون ، الآية ٢) طأطأ و كان لا يجاوز بصره مصلاه . (فخر الرازي ، مرجع سابق ، ج ٢٣ ، ص ٦٨) و (النيسابوري ، ١٤٠٢هـــ ، ص ١٧٨) .

الموضوع الثاني :

دلائل وجود الله عزَّ وجلَّ الخالق المتصف بصفات الجلال والوحدانية وأوجه الاستدلال فيها على أنواع هي : -

النوع الأول: الاستدلال بتقلب الإنسان في أدوار الخلقة ، وهي تسعة مراتب هي:

١ – مرتبة السلالة من طين .

٢ – مرتبة النطفة في رحم المرأة .

٣ – مرتبة العلقة .

٤ – مرتبة المُضغَة .

٥ — مرتبة العظام .

٦ — مرتبة ستر العظام باللحم .

٧ — مرتبة اكتمال خلق الإنسان في صورته النهائية

٨ — مرتبة حدوث الموت للإنسان .

٩ — مرتبة بعث الإنسان إلى الحياة بعد الموت . و تتضمن الآيات من (١٢ : ١٦) في سورة " المؤمنون " . (فخر الرازي ، ١٤١١هـ ، ج ٢٣ ، ص ٧٤ : ص ٧٦) .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ (سورة المؤمنون ، الآيات ١٢ : ١٦) .

وروى سعيد بن جُبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه أنه قال : لما نزلت الآيات : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ .. إلى قوله تعالى .. ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ﴾ قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : فتبارك الله أحسن الخالقين . فقال رسول الله ﷺ : { هكذا نزلت يا عمر } - ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ (سورة المؤمنون ، الآية ١٤) — وكان عمر رضي الله تعالى عنه يقول : وافقني ربي في أربع : في الصلاة خلف المقام ، و في ضرب الحجاب على النسوة ، وقولي لهن : لتنتهن أو ليبدلنه الله خيراً منكن - فنزلت الآية الخامسة من سورة التحريم - والرابع قلت : فتبارك الله أحسن الخالقين ، فقال ﷺ هكذا نزلت . (فخر الرازي المرجع السابق ، ج ٢٣ ، ص ٧٦) . و نفس الرواية عن أنس بن مالك عن عمر رضي الله عنهما (النيسابوري ، ١٤٠٢هـ ، ص ١٧٩) .

الـــنوع الثاني من الاستدلال : الاستدلال بخلقه السماوات ، في الآية (١٧) من سورة " المؤمنون " . قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴾ (سورة المؤمنون ، الآية ١٧) .

الـــنوع الثالث : الاستدلال بنزول الأمطـــار و كيفية تأثيراتها في النبات ، و تتضمن الآيات من قوله تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ (سورة المؤمنون ، الآيات ١٨ : ٢٠) .

النوع الرابع : الاستدلال بأحوال الحيوانات . و تتضمنها الآيتـــان : ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (سورة المؤمنون ، الآيتان ٢١ ، ٢٢) .

الموضوع الثالث :

قصص بعض الأنبياء السابقين ، وهي :

القصـــة الأولى : قصة نوح عليه السلام . في قوله تعـــالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ

ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (سورة المؤمنون ، الآيات ٢٣ : ٣٠) .

القصة الثانية : قصة هود أو صالح عليهما السلام ، بالآيات : ﴿ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ﴾ (سورة المؤمنون ، الآيات ٣١ : ٤١) .

القصة الثالثة : قصة بعض الرسل الذين تـــتابعوا بعد ذلك ، في الآيات : ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (سورة المؤمنون ، الآيات ٤٢ : ٤٤) .

القصة الرابعة : قصة موسى عليه السلام ، في الآيات : ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ (سورة المؤمنون ، الآيات ٤٥ : ٤٩) .

القصة الخامسة : قصة عيسى عليه السلام ، في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ

وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ . (سورة المؤمنون ، الآية ٥٠) . (فخر الرازي ، ١٤١١هـ ، ج ٢٣ ، ص ٨٠ : ٩٠) .

الموضوع الرابع :

خطاب الله تعالى لرسله عليهم السلام ، و يتضمن الآيات : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ (سورة المؤمنون ، الآيات ٥١ : ٥٦) .

الموضوع الخامس :

صفات المسارعين في الخيرات ، في الآيات : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ (سورة المؤمنون ، الآيات ٥٧ : ٦١) .

وسألت السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها عن هذه الآيات فقالت لرسول الله ﷺ : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴾ (سورة المؤمنون ، الآية ٦٠) . أهو الذي يزني ويشرب الخمر ويسرق وهو على ذلك يخاف الله تعالى ؟ . فقال ﷺ : { لا يا ابنة الصديق و لكن هو الرجل يصلي و يصوم و يتصدق و هو على ذلك يخاف الله تعالى } (فخر الرازي ، المرجع السابق ، ج ٢٣ ، ص ٩٣) .

الموضوع السادس :

ذكر حكمين من أحكام العباد : عدم تكليف الإنسان فوق وسعه ، عدم ظلمه عند مجازاته في اليوم الآخر ، في قوله تعالى : ﴿ وَلاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ ۚ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ (سورة المؤمنون ، الآية ٦٢) . (فخر الرازي ، المرجع السابق ، ج ٢٣ ، ص ٩٤) .

الموضوع السابع :

بعض صفات الكافرين ، وجدالهم بالباطل ، و تضمنتها الآيات : ﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَـٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ ﴿٦٤﴾ لاَ تَجْأَرُوا الْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لاَ تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ ۚ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ (سورة المؤمنون ، الآيات ٦٣ : ٧٧) .

و عن سبب نزول قول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾ (سورة المؤمنون ، الآية ٧٦) قال ابن عباس رضي الله تعالى

عـــنهما : جاء أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ فقال : لما أتى ثمامة بن أثال الحنفي إلى رســـول الله ﷺ فأسلم وهو أسير ، فخلى سبيله - [بعد صلح الحديبية] - فـــلحق باليمامة فحال بين أهل مكة وبين الميرة من يمامة ، و أخذ الله تعالى قريشاً بسني الجدب حتى أكلوا العلهز- الوبر بالدم - فجاء أبو سفيان إلى النبي ﷺ فقال : يا محمد ننشدك الله والرحم ، إنك تزعم أنك بعثت رحـــمة للعالمين ؟ قال ﷺ : { بلى } فقال : قد قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع ، فأنزل الله تعالى هذه الآية . (النيسابوري ، ١٤٠٢هـــ ، ص ١٧٩) .

الموضوع الثامن :

تعليم الله تعـــالى لرسوله ﷺ كيفية التعامل مع الكافرين بالحجـــج المنطقية وبعض الأدعية التي يدعوها على الكفرة والشياطين ، وقد تضمنتها الآيات : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا ذَا عَذَابٖ شَدِيدٍ إِذَا هُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلۡ قَالُواْ مِثۡلَ مَا قَالَ ٱلۡأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدۡ وُعِدۡنَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجۡعَلۡنِي فِي ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمۡ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ

أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ ﴾ (سورة المؤمنون ، الآيات ٧٨ : ٩٨) .

الموضوع التاسع :

وصف حال الكافر وقت احتضـــاره في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ (سورة المؤمنون ، الآيتان ٩٩ ، ١٠٠) .

الموضوع العاشر :

الحديث عن اليوم الآخـــر : حياة البرزخ ، فالبعث و الحساب ، و صور من عقاب الكافرين في النار و ثواب المؤمنـــين الفائزين بالجنة ، وتضمنتها الآيات : ﴿ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا

بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾ . (سورة المؤمنون ، الآيات ١٠٠ : ١١٨) .

وبهذا الموضوع انتهت سورة " المؤمنون " .

* المؤمنون كما وصفهم القرآن الكريم .

ليكون من المستطاع تقديم صورة واضحة عن المؤمنين كان لابد من تتبع بعض صفاتهم الواردة في القرآن الكريم التي أنعم الله تعالى بها عليهم ، ففي سورة البقرة قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ ﴾ (سورة البقرة ، الآيات ٣ : ٥) . فقد وصف الله تعالى المؤمنين بالإيمان بالغيب ، وإقامة الصلاة ، والبذل والإنفاق ، والإيمان بما أُنزل على جميع الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، والإيمان باليوم الآخر وأنهم متبعون هدى الله تعالى فهم المفلحون .

وذكر القرآن الكريم صفات أخرى في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ (سورة الأنفال ، الآيات ٢ : ٤) . هذه الصفات هي : الوجل إذا ذُكِرَ الله تعالى ، وزيادة الإيمان عند تلاوة آيي القرآن الكريم، والتوكل على الله تعالى ، وإقامة الصلاة ، والبذل والإنفاق على المحتاجين.

كما ذكرت صفات أخرى في قوله تعالى : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ (سورة التوبة ، الآية ٧١) . وفي سورة " المؤمنون " تتجلى صفات عظيمة في قوله تعالى :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ ﴾ (سورة المؤمنون ، الآيات ١ : ٩) .

قال الدكتور محمد البهي ، في كتابه الإيمان :

« لقد عددت الآيات السابقة ثلاثة أنواع من الصفات ، تحدد السلوك السوي للمؤمن ، والذي يعتبر ضماناً لنصر الله إياه .

النوع الأول : خاص بأداء عبادتي الصلاة والزكاة على ما ينبغي ، وفي محافظة تامة .

النوع الثاني : خاص بتجنب الاعتداء على الأعراض ، في أقل صور الاعتداء من اللغو في الحديث ، إلى أفحش تلك الصور من الزنا .

النوع الثالث : خاص بالإيجابية في العلاقات من الوفاء بالعهد ، والقيام بالمسئوليات .

والمتصف بتلك الصفات ليس مؤذياً ، ولا سلبياً ، ولا مضطرباً ، ولا منطوياً على شر وسوء ، بل على العكس من ذلك كله » .

(عمير ، ١٤١٠ هـ ، ص ٨) .

وتطالعنا صفات أخرى في قوله تعالى : ﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٣٦ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ۝٣٧ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣٨ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ۝٣٩ ﴾ (سورة الشورى ، الآيات ٣٦ : ٣٩) .

وصفات عظيمة أخرى في قول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝١٥ ﴾ (سورة الحجرات ، الآية ١٥) .

وفي قوله تعالى : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (سورة المجادلة ، الآية ٢٢) . في هذه الآية صفة الولاء لله تعالى ورسوله والمؤمنين ، والبراء من الكافرين ولو كانوا أقرباءهم .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ (سورة المعارج ، الآيات ٢٢ : ٣٤) . وفي هذه الآيات صفات حميدة هي : المحافظة على الصلاة والمداومة عليها ، وإيتاء الزكاة لمستحقيها ، والإيمان باليوم الآخر ، والخشية من عذاب الله تعالى ، حفظ الفرج إلا على الأزواج وما ملكت يمينهم ، وأداء الأمانة ، والوفاء بالعهد .

ولعل آخر الصفات الواردة في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ (سورة العصر ، الآية ٣) . وفي هذه الآية صفات أخرى عظيمة هي : الإيمان وعمل الصالحات ، وتوصية بعضهم البعض باتباع الحق والتحلي بالصبر . وبهذه الآيات الكريمة تم استقصاء بعض الصفات الحميدة التي يتصف بها المؤمنون كما وردت في القرآن الكريم . أسأل الله تعالى العلي القدير أن يزودنا بها ويزود بها جميع المسلمين حتى نكون من ورثة جنة الفردوس . . آمين .

وقد أثبت الله تعالى للمؤمنين الخيرية على كل الأمم في قوله عزَّ وجلَّ :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (سورة آل عمران ، الآية ١١٠) . فاستحقوا بذلك أن يدافع الله تعالى عنهم في الدنيا : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ (سورة الحج ، الآية ٣٨) . وأن يهبهم سبحانه وتعالى ولايته : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ (سورة البقرة ، الآية ٢٥٧) . ثم ينصرهم الله جلَّ وعلا في الدنيا والآخرة : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾ ﴾ . (سورة غافر ، الآية ٥١) . ثم هم المؤمنون في الآخرة لهم أعظم الجزاء وأكرم المثوبة جنات تجري من تحتها الأنهار ، ورضوان من الله لأنهم كانوا خير البرية : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾ ﴾ (سورة البينة ، الآيتان ٧ ، ٨) . ومنهم من ينال أعلى الجنان خالداً فيها ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ (سورة الكهف ، الآيتان ١٠٧ ، ١٠٨) وفي سورة " المؤمنون " موضوع الدراسة بعد أن أثبت فلاح المؤمنين في الدنيا والآخرة ، وذكر بعض صفاتهم ، أورثهم الخلود في جنة الفردوس . قال تعالى : ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾ (سورة المؤمنون ، الآيتان ١٠ ، ١١) . جعلنا الله وإياكم من ورثة الفردوس .. آمين .

الفصل الثالث

المبادئ التربوية المتضمنة في جانب العقيدة :

* المبدأ الأول : الإيمان بالله تعالى .

* المبدأ الثاني : الإيمان بالكتب .

* المبدأ الثالث : الإيمان بالرسل .

* المبدأ الرابع : الإيمان باليوم الآخر :

- الإيمان بحياة البرزخ .

- الإيمان بالقيامة الكبرى .

تمهيد:

إن القرآن الكريم منهج عظيم لحيـــاة هادفـــة شريفة . فهو دستور و نظام شامل متكامل لجميع جوانب الحياة الإنسانية ؛ فنجده ينظم حياة الإنسان من الجوانب العقلية ، و العقدية ، و التعبدية ، الأخلاقية ، الاجتماعية ، الاقتصادية ، البيئية ، الصحية ، النفسية الروحية ، الجسمية ، والسياسية .

وقد وصف الله تعالى القرآن الكريم بالهدى يهتدي بهداه الناس ، فقال عزَّ من قال : ((شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدىً لِلنَّاسِ وَ بَيِّنَـــٰتٍ مِنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ)) . (سورة البقرة ، الآية ١٨٥) . وقال أيضاً : ((إِنَّ هَذَا الْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ)) . (سورة الإسراء ، الآية ٩) . وقال تعالى : ((فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَىٰ)) . (سورة طه ، الآية ١٢٣) . قال ابن عباس رضي الله عنهما : فضمن الله لمن اتبع القرآن ألاّ يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة . (القرطبي ، ١٣٧٢هـــ ، ج ١ ، ص ٩) .

وينبغي لمن يريد أن يحيا حياة كريـــمة ، وآمنة أن يفهم ما جاء في القرآن الكريم ، و يدرسه ويتدبر معانيه وأحكامه ويعمل بها ، ويطبق ما جاء فيه من قوانين ونظم في كافة جوانب الحياة .ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يحفظون آيات القرآن الكريم خمساً، خمساً ، لا يتجاوزونها لغيرها حتى يحفظون الآيات الخمس الأولى ، ويفهمونها ، ويعملون بما فيها .

ولقد أصبح المسلمـــون بهدي القرآن ونوره خير أمة أخرجت للناس ، ثم قامت بنشر الإسلام وتعاليمه بين الناس ، حتى وسع أقطار العالم . واعتنق الناس الإسلام طواعيةً دون إكراه ، لما لمسوه في المسلمين من كمال عقيدتهم ، وحسن أخلاقهم وجميل عشرتهم .

إن « العقيدة الصحيحـــة في الله و الكون و الحياة هي أساس بناء المجتمع المسلم الذي يضعه الإسلام ، وهي القوة الدافعة للحياة . ومن العقيدة يستمد المسلم طاقته ، وبها يحدد طريقه ويبلغ غايته ، ومن هنا كان اهتمام الإســـلام بقوة عقيدة أبنائـــه في نفوسهم فلا يرضـــى بها ضوءاً خافتاً أو صوتاً مهموساً ، بل يريدها جذوةً متقدةً وضياءً يغمر الآفاق ، حتى توجِّه السلوك وتسيطر على المشـــاعر ، وتؤسس الواقع الكريم الذي يريده الإسلام للحياة . » (عبد الواحد ، ١٤٠١هـــ ، ص ١٩) .

و « مسائل الإيمان إذا استقرت في النفـــوس وتعلقت بها القلـــوب ، واطمأنت إليها تحركت الجوارح على ضوئها وسُميت عقيدة ، وما لم تبلغ هذا المبلغ لا تعد عقيدة بمعناها الحقـــيقي الذي مداره على اللزوم والإستيثاق والتأكد المبني على الإدراك التام » (الحمد، ١٤٠٩هـــ ، ص١٦)

ولأهمية العقيدة في تربية الإنسان كانت دعوة الرسل عليهم الصلاة و السلام إلى العقيـــدة سمواً بالروح وتعليقاً لها ببارئها ، لترتقي بجسم صاحبها عن ركونه إلى تحقيـــق رغباته المادية التي يتجه إليها بميله الفطري ، وبما يحقق التوازن في تنمية الروح والبدن .

ولأهمية العقيدة في تربية الأمة طالت دعوة الهادي البشير عليه الصلاة والســـلام إلى غرسها و ترسيخها في النفوس أول الأمر ، ففي العهد المكي ثلاثـــة عشر عاماً كانت الدعـــوة إلى تحقيـــق العبادة لله وحده ، ونبذ عبادة ما سواه ، والعمل على ما يقوي هذا الجانـــب ، واستمرت الدعوة إليها ملازمة الدعوة إلى الشريعـــة طيلة نزول الوحي على الرسول ﷺ ، وما ذلك إلا لأنها الأصل في كل عمل وهي المؤثر الأساسي في حسنه وقوته فالتعلـــيمات إذا نبع تطبيقها من عقائد النفوس كان الرقيب عليها الذات ، وإذا تحقق هذا جاءت الأعمال على وجه الكمال . (الحمد ، ١٤٠٩هـــ ص ٣١ : ص ٣٥) .

« إن صاحب العقيدة النقية الخالصة تنبعث منه الفضائل انبعاثاً ذاتياً،وينفرمن الرذائل بطبعه ، وبوحي من إيمانه ، لا يتكلّف ، ولا يتصنّع ، لأنه يراقب قيوم السماوات و الأرض ، وعالم السر والنجوى ، وهؤلاء هم أصحاب النفوس المطمئنة لأنهم رضوا الإسلام ديناً ، فرضي الله عنهم ، وتولى ظاهرهم وباطنهم ، فاللهم اجعلنا منهم . »

(طاحون ، ١٤٠٣هـــ ، ص ٢٢) .

ولقد كان مما تناولته سورة " المؤمنون " من المبادئ التربوية في جانب العقيدة : مبدأ الإيمان بالله تعالى ، مبدأ الإيمان بالكتب ، مبدأ الإيمان بالرسل ، ومبدأ الإيمان باليوم الآخر والإيمان بحياة البرزخ .

مبدأ الإيمان بالله تعالى

قال الله تعالى في مستهل سورة " المؤمنون " : ((قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ)) . (سورة المؤمنون ، الآيـــة ١) . وهو تقرير من الله عزَّ وجل بأن المؤمنين فازوا وسعدوا وحصلوا على الفلاح . فكانت أولى المبادئ التربوية المتضمنة في هذه السورة مبدأ الإيمان بالله تعالى .

معنى الإيمان في اللغة :

الإيمان في اللغة معناه : التصـــديق . باتفاق أهل العلم من اللغويـــين وغيرهم ، و الإيمان هو مصدر آمَنَ ، يُؤْمِنُ ، إيماناً ، فهو مؤمن . والإيمان إظهار الخضوع و القبول للشريعة ، ولما أتى به النبي ﷺ ، واعتقاده وتصديقه بالقلب ، لا يدخله في ذلك ريب . و في التنـــزيل العزيز : و ما أنت بمؤمن لنا أي : بمصدق . (ابن منظور ، ١٣٠٠هـــ ، ج ١٣ ، ص ٢٣) .

معنى الإيمان في الاصطلاح الشرعي :

الإيمان : تصديق بالجنان ، وإقرار باللسان ، وعمل بالأركان . (ابن أبي العز ، ١٣٩٩هـــــ ، ص ٣٧٣) . وبهذا المعنى يستحق العبد المدح والولاية من المؤمنين ، لقول الإمام النووي يرحمه الله تعالى ، ١٤١١هـــ ، ج ١١ :

« إن المعنى الذي يستحق به العبد المدح و الولاية من المؤمنين هو إتيانه بهذه الأمور الثلاثة : التصديق بالقلب ، والإقرار باللسان ، والعمل بالجوارح . و ذلك أنه لاخلاف بين الجميع أنه لو أقرَّ وعمل على غير علم منه ومعرفة بربه لا يستحق اسم مؤمن . و لو عرفه و عمل و جحد بلسانه وكذَّب ما عرف من التوحيد لا يستحق اسم مؤمن . وكذلك إذا أقرَّ بالله تعالى وبرسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين و لم يعمل بالفرائض لايسمى مؤمناً بالإطلاق وإن كان في كلام العرب يسمى مؤمناً بالتصديق فذلك غير مستحق في كلام الله تعالى . لقوله عزَّ وجل : « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَـــاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَـــاناً وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ.الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَمِمَا رَزَقْنَـــاهُمْ يُنْفِقُونَ أُوْلَـــئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً » . (سورة الأنفال ، الآيات ٢:٤) . فأخبرنا سبحانه وتعالى أن المؤمن هذه صفته .» . (ص ١٤٧) .

ويوافق هذا القول ما ذكره ابن القيم يرحمه الله تعريفاً للإيمان ، ١٤٠٣هـ ، فقال :

« الإيمان : حقيقة مركبة من معرفة ما جاء به الرسول صلى الله عليه و سلم والتصديق به عقداً ، والإقرار به نطقاً ، والانقياد له محبة وخضوعاً ، والعمل به باطناً وظاهراً ، وتنفيذه والدعوة إليه بحسب الإمكان . » (ص ١٢١) .

معنى الإيمان و الإسلام في حالة انفرادهما وفي حالة اقترانهما :

إن حالة اقتران الإيمان بالإسلام غير حالة إفراد أحدهما عن الآخر فَمَثَلُ الإيمان من الإسلام كمَثَل الشهادتين إحداهما عن الأخرى ، فشهادة الرسالة غير شهادة الوحدانية ، فهما شيئان في الأعيان و إحداهما مرتبطة بالأخرى في المعنى و الحكم كشيء واحد . كذلك الإيمان والإسلام ، لا إيمان لمن لا إسلام له ، ولا إسلام لمن لا إيمان له . إذ لا يخلو المؤمن من إسلام به يتحقق إيمانه ، ولا يخلو المسلم من إيمان به يصح إسلامه . ونظائر ذلك في كلام الله و رسوله ﷺ ، و في كلام الناس كثيرة ـــ يعني في الإفراد والاقتران ـــ منها : لفظ الكفر والنفاق ، فالكفر إذا ذُكر مفرداً في وعيد الآخرة دخل فيه المنافقون ، كقوله سبحانه و تعالى : ((وَمَنْ يَكْفُرْ بِالإِيْمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ)).(سورة المائدة ، الآية ٥) . ونظائره كثيرة . وإذا قرن بينهما كان الكافر من أظهر كفره ، والمنافق من آمن بلسانه و لم يؤمن بقلبه .

وكذلك لفظ البر والتقوى ، ولفظ الإثم والعدوان ، ولفظ التوبة والاستغفار ، ولفظ الفقير والمسكين ، وأمثال ذلك . (ابن أبي العز ، ١٣٩٩هـ ، ص ٣٩٢) .

ظاهر الإيمان وباطنه :

الإيمان له ظاهر و باطن . و ظاهره : قول اللسان وعمل الجوارح . و باطنه : تصديق القلب وانقياده ومحبته ، فلا ينفع ظاهر لا باطن له و إن حقن به الدماء و عصم به المال و الذرية . و لا يجزئ باطن لا ظاهر له [إلا] * إذا تعذر بعجزٍ أو إكراه و خوف و هلاك . فتخلُّف العمل ظاهراً مع عدم المانع دليل على فساد الباطن و خلوه من الإيمان ،

---

*ما بين المعقوفين [ ] زيادة من الباحثة ، لكي يستقيم بها المعنى . ثم وجدت الباحثة هذه الزيادة ثابتة في طبعة أخرى : عام ١٤٢٤هـ ، دار النشر : المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، بيروت .

ونقصه دليل نقصه ، وقوته دليل قوته . فالإيمان قلب الإسلام و لبه . و اليقين قلب الإيمان و لبه ، وكل علم و عمل لا يزيد الإيمان واليقين قوة فمدخول ، وكل إيمان لا يبعث على الإيمان العمل فمدخول . (ابن قيم ، ١٤٠٣هـ ، ص ٩٨) .

و كمال الإيمان : في الحب في الله والبغض في الله ، والعطاء لله والمنع لله ، وأن يكون الله وحده إلهه ومعبوده .

و الطريق إليه : تجريد متابعة رسوله ظاهراً و باطناً ، و تغميض عين القلب عن الالتفات إلى سوى الله ورسوله . (ابن قيم ، ١٤٠٣هـ ، ص ١٢١) .

و الإيمان بالله تعالى هو الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى واحد أحد ، فرد صمد ، لم يتخذ صاحبة و لا ولداً ، و هو رب كل شيء و مليكه ، ليس له شريك في الملك ، هو الخالق ، الرازق ، المعطي ، المانع ، المحيي ، المميت ، المتصرف في جميع شؤون الخلق .

و هو المستحق للعبادة وحده دون سواه بجميع أنواعها ، من الخضوع و الخشوع ، و الخشية و الإنابة ، و القصد ، و الطلب ، و الدعاء ، و الذبح ، و النذر ونحو ذلك .

ومن الإيمان بالله تعالى الإيمان بما أخبر به عن نفسه في كتابه الكريم ، أو أخبر به عنه رسوله ﷺ من الأسماء و الصفات ، و أنه متفرد بهذا عن جميع المخلوقات ، وأن له الكمال المطلق في ذلك كله ، إثباتاً بلا تمثيل ، وتنزيهاً بلا تعطيل . كما أخبر تبارك وتعالى عن نفسه ، بقوله : ((بَدِيعُ السَّمَـٰوَٰتِ وَالأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَّهُ صَـٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لا إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ خَـٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ)) (سورة الأنعام ، الآيتان : ١٠١،١٠٢) .

وقد أورد الإمام النووي يرحمه الله في شرحه حديث « سؤال جبريل ﷺ عن الإيمان و الإسلام » قول الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي الشافعي يرحمه الله : أن النبي ﷺ جعل الإسلام اسماً لما ظهر من الأعمال ، وجعل الإيمان اسماً لما بطن من الاعتقاد وليس ذلك لأن الأعمال ليست من الإيمان والتصديق بالقلب ليس من الإسلام ، بل ذلك تفصيلٌ لجملةٍ هي كلُها شيءٌ واحد ، و جماعها الدين ، و لذلك قال ﷺ : { ذاك جبريل أتاكم يعلمكم دينكم } و التصديق و العمل يتناولهما اسم الإيمان والإسلام جميعاً . يدل عليه قوله سبحانه وتعالى : ((إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلام)) (سورة آل عمران ، الآية ١٩) .

وقوله : ((وَرَضِيْتُ لَكُمُ الإسْلامَ ديناً)) (سورة المائدة ، الآية ٣) و قوله تعالى : ((وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسْلامِ ديناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ)) . (سورة آل عمران ، الآية ٨٥) فأخبر الله سبحانه و تعالى أن الدين الذي رضيه و يقبله من عباده هو الإسلام ، و لا يكون الدين في محل القبول و الرضا إلا بانضمام التصديق إلى العمل . (النووي ، ١٤١١هـ ، ج١ ، كتاب الإيمان ، باب ١: بيان الإيمان والإسلام والإحسان ، ص ١٤٥) .

ونص حديث سؤال جبريل عليه السلام عن الإيمان والإسلام هو أن عمربن الخطاب رضي الله عنه قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ، لا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه وقال : يا محمد أخبرني عن الإسلام . فقال رسول الله ﷺ : { الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ،وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً } قال : صدقت . قال : فعجبنا له يسأله ويصدقه . قال : فأخبرني عن الإيمان قال : { أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره } . قال : صدقت . قال : فأخبرني عن الإحسان . قال : { أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك } . قال : فأخبرني عن الساعة . قال : { ما المسئول عنها بأعلم من السائل }.قال : فأخبرني عن أماراتها . قال : { أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاءِ يتطاولون في البنيان } . قال : ثم انطلق ، فلبثت ملياً . ثم قال لي : { يا عمر أتدري من السائل ؟ } قلت : الله ورسوله أعلم . قال :{ فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم } . (النووي ، ج١ ،كتاب الإيمان ، باب ١: بيان الإيمان والإسلام والإحسان ، ص ١٥٧ ، برقم : ١) .

فمن هذا الحديث يتضح أن النبي ﷺ فسر الإيمان بالاعتقادات الباطنة وهي : الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره و شره .

وفسر الإسلام بالأعمال وهي : الشهادتان ، الصلاة ، الزكاة ، الصوم ، الحج . ولا يستكمل المرء دينه إلا بالإسلام والإيمان . (الحنبلي ، ١٤٠٠هـ ، ص ٢٥) .

الأعمال التي تدخل في مسمى الإيمان :

هناك أعمالٌ كثيرة تدخل في مسمى الإيـــمان ، سواء كانت أعمالاً قلبية باطنة ، أم أعمالاً بدنية ظاهرة ، و مما يدل على دخول الأعمال في الإيمان قوله تعالى : ((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قلوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُ زَادَتْهُمْ إِيْمَـٰناً وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَـٰوةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنْفِقُونَ * أُوْلَـٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِنْدَ رَبِّهِم وَمَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ)) . (سورة الأنفال ، الآيات ٢:٤) .

وقد وصف الله تعالى المؤمنين حق الإيمان بأنهم : إذا ذكر الله فزعت قلوبهم وخافت منه ففعلوا أوامره ، وتركوا نواهيه . وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وتصديقاً . وعلى ربهم يتوكلون فلا يرجون سواه ، و لا يقصدون إلا إياه ، و لا يلوذون إلا بجنابـــه ، و لا يطلبون الحوائج إلا منه ، و يعلمون أنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، و أنه المتصرف في الملك ، لا شريك له ولا معقب لحكمه ، وهو سريع الحساب ، فالتوكل على الله حق جماع الإيمان . (ابن كثير ، ١٣٨٨هـــ ، ج٢ ، ص ٢٨٥) . فهذه أعمال قلبـــية باطنة داخلة في مسمى الإيمان . ومن الأعمال البدنية الظاهرة ـــ المذكورة في الآيات السابقة ـــ التي تدخل في مسمى الإيمان : الصلاة ، والإنفاق الذي يشمل الزكاة وسائر الحقوق للعباد من واجب ومستحب .

ومن الأعمال القلبية التي تدخل في مسمى الإيمان : الخوف من الله تعالى حيث قال: ((إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ)) (سورة آل عمران ، الآية ١٧٥) .وقوله تعالى : ((فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ)) (سورة التوبة ، الآية ١٣) . و كذلك الحرص على إرضاء الله تعـــالى و رسوله ، في قوله تعـــالى : ((وَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ)) (سورة التوبة ، الآية ٦٢) .

وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال لوفد عبد القيس : { آمركم بأربع : الإيمان بالله وحده ، وهل تدرون ما الإيمان بالله ؟ شهادة أن لا إله إلا الله وإقـــام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تؤدوا خُمُساً من المغنم }. (مسلم ،

١٤٢٠هـ ،كتاب الإيمان ، باب ٦ : الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ ، ص ٦٩ ، برقم ١٧٢٣) .

و في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : { الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة ، فأفضلها قول لا إله إلا الله ، و أدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان } . (مسلم ، ١٤٢٠هـ ،كتاب الإيمان ، باب: بيان عدد شعب الإيمان ، ص ٧٨ ، برقم : ٣٥٥٨) .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:{ لا يزني الزاني حين يزني و هو مؤمن ، و لا يسرق السارق حين يسرق و هو مؤمن ، و لا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن }. (مسلم ، ١٤٢٠هـ ،كتاب الإيمان ، باب ٢٤ : بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ، ص ٨٤ ، برقم : ٥٧١٠٠) . فلولا أن ترك هذه الكبائر من مسمى الإيمان لما انتفى اسم الإيمان عن مرتكب شيء منها ، لأن الاسم لا يُنتفى إلا بانتفاء بعض أركان المسمى أو واجباته . (الحنبلي ، ١٤٠٠هـ ، ص ٢٦) .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : { إن من أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله } . (الترمذي ، ١٣٥٧هـ ، ج٥ ، كتاب الإيمان باب ٦ : ما جاء في استكمال الإيمان و زيادته و نقصانه ، ص ١٠، برقم : ٢٦١٢) فإذا كان الإيمان أصلاً له شعب متعددة ، و كل شعبة منها تسمى إيماناً ، فالصلاة من الإيمان ، و كذلك الزكاة و الصوم و الحج و الأعمال الباطنة كالحياء و التوكل و الخشية من الله ، و الإنابة إليه حتى تنتهي هذه الشعب إلى إماطة الأذى عن الطريق ، فإنه من شعب الإيمان و هذه الشعب منها ما يزول الإيمان بزوالها إجماعاً كشعبة الشهادتين ، و منها ما لا يزول بزوالها إجماعاً كترك إماطة الأذى عن الطريق ، و بينهما شعب متفاوتة تفاوتاً عظيماً منها ما يقرب من شعبة الشهادة ، و منها ما يقرب من شعبة إماطة الأذى . (ابن أبي العز ، ١٣٩٩هـ ، ص ٣٨٢) .

و مما يدل على أن الصلاة ـــ وهي عمل ـــ تدخل في مسمى الإيمان قوله تعالى : ((وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ)) (سورة البقرة ، الآية ١٤٣)

قـــال القرطبي في تفسيره لهذه الآية : أن الإيمان هو الصلاة ، وسمى الله تعالى الصلاة إيماناً لاشتمالها على نية وقول وعمل . و المقصود بها صلاة المؤمنين الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس قبل تحويل القبلة إلى الكعبة . (القرطبي ، ١٣٧٢هـــ ، ج٢ ، ص ١٥٧).

وقوله تعالى : ((وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَوْا وَنَصَرُوا أُوْلَـٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَّهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ)) (سورة الأنفال ، الآية ٧٤) . فالمؤمن الحـــق في هـــذه الآية هو المؤمن الذي هاجر إلى الله ورسوله وجاهد في سبيل الله وآووا إخوانهم في الدين ونصروهم «أُوْلَـــئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً» هذه هي الصورة الحقيقية التي يتمثل فيها الإيمان . هذه هي صورة الوجود الحقيقي لهذا الدين إنه لا يوجد حقيقة بمجرد إعلان القاعدة النظرية ، ولا بمجرد اعتناقها ، ولا حتى بمجرد القيام بالشعائر التعبدية فيها إن هـــذا الدين منهج حيـــاة لا يتمثل في وجـــود فعلي إلا إذا تمثل في تجمع حركي . أما وجـــــوده في صورة عقيدة فهو وجـــود حكمي ، لا يصبح حقاً إلا حين يتمثل في تلك الصورة الحركية الواقعـــية . وهؤلاء هم المؤمنون حقاً لهم مغفرة و رزق كريم ، رزق في الدنيا مقابل الجهاد والإنفاق والإيواء والنصرة وتكاليف هذا كله . وفوقه مغفرة في الآخرة وهـــي من الرزق الكريم ، بل هي أكرم الرزق الكريم . (قطب ، ١٤٠٥هـــ ، ج١٠ ، ص ١٥٦٠) .

وكذلك من الأعمال القلبية والبدنية التي تدخل في مسمى الإيمان المذكورة في قوله تعـــــالى : ((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللهِ وَ رَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَ جَـــٰهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُوْلَـــئِكَ هُمُ الصَّـــٰدِقُونَ)) (سورة الحجرات ، الآية ١٥) .

كما أن الله تعـــالى قرر و حكم للمؤمنين بفوزهم و فلاحهم وسعدهم و وصفهم بصفات عديدة ((الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَـــٰشِعُونَ)) (سورة المؤمنون ، الآية ٢) ... إلى قوله : ((وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ)) (سورة المؤمنون ، الآية ٩) .

إذن الأعمـــال الباطنة و الظاهرة التي تدخل في مسمى الإيمان على سبيل الذكر لا الحصر هي : الخوف والخشية من الله تعالى ، ازدياد الخوف والوجل إذا ذكر الله ، ازدياد الإيمان إذا تليت آيات الله ، التوكل على الله ، إقامة الصلاة ، والخشوع فيها ، والمحافظـــة على أدائها جميعها في أوقاتها المفروضة ، شهـــادة أن لا إله إلا الله ، وشهـــادة أن محمداً

رسول الله ، إيتاء الزكاة ، صوم رمضان ، أخذ الخمس فقط من المغنم ، الحياء ، إماطة الأذى عن الطريق ، حفظ الفرج والبعد عن الزنا ، ترك شرب الخمر ، البعد عن السرقة ، الاتصاف بحسن الخلق ، الهجرة والجهاد في سبيل الله بالأنفس والأموال ، إيواء ونصرة المجاهدين في سبيل الله ، الإيمان بالله ورسوله دون أدنى ريب ، الإعراض عن اللغو ، الأمانة والمحافظة على العهد .

والإيمان بالله تعالى أول أركان الإيمان الستة التي ذكرت في حديث سؤال جبريل عليه السلام للنبي ﷺ : { فأخبرني عن الإيمان . قال : أن تؤمن بالله وملائكته ، وكتبه ، و رسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره }. (النووي ، ١٤١١هـ ، ج ١ كتاب الإيمان ، باب ١ : بيان الإيمان والإسلام والإحسان ، ص ١٥٧ ، برقم : ١) .

زيادة الإيمان ونقصه :

والإيمان يزيد وينقص بزيادة ثمراته وهي الأعمال ونقصانها . (النووي ، المرجع السابق ، ص ١٤٦) . والحجة على زيادته ونقصانه قوله تعالى : ((لِيَزْدَادُوا إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ)) (سورة الفتح ، الآية ٤) .وقوله : ((وَزِدْنَـٰهُمْ هُدىً)) (سورة الكهف ، الآية ١٣) . وقوله أيضاً : ((وَيَزِيدُ اللهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدىً)) (سورة مريم ، الآية٧٦) . وقوله تعالى : ((وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدىً)) (سورة محمد ، الآية ١٧) . و قوله : ((وَيَزْدَادُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَـٰنًا)) (سورة المدثر ، الآية ٣١) . وقوله تعالى : ((أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِ إِيمَـٰنًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ)) (سورة التوبة ، الآية ١٢٤) . وأيضاً قوله تعالى : ((فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا)) (سورة آل عمران ، الآية ١٧٣) . وقوله تعالى: ((وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيماً)) (سورة الأحزاب ، الآية ٢٢) . وحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن) (مسلم ، ١٤٢٠هـ ،كتاب الإيمان ، باب٢٤: بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ، ص ٨٤ ، برقم ٥٧١٠٠) . فجميع الأدلة السابقة تدل على أن الإيمان يزيد وينقص بحسب فعل الأعمال الصالحة ، والاستغفار ، وارتكاب المعاصي والكبائر .

وهنا يتضح لنا مدى قوة ارتباط مبدأ الإيمان بالله تعالى بالأخلاق الحسنة والأعمال

الصالحة والمبادئ التربوية الأخرى مما كان له عظيم الأثر وجليل النفع على الفرد والمجتمع المؤمن بصفة خاصـــة ، و على بقية المجتمعات بصفة عامة ، و أصبح من الضروري دراسة واستنباط الآثار التربوية الناجمة عن تطبيق مبدأ الإيمان بالله تعالى في جميع دقائق حياتنا .

الآثار التربوية الناجمة عن تطبيق مبدأ الإيمان بالله تعالى :

إن الإيمان أساس كل عقيدة موجهـــة للتربية ، ومؤثرة في السلوك ، ومحددة للشخصية وبهذا تتجلى الآثار التربوية لمبدأ الإيمان بالله تعالى في كل حركة يقوم بها المؤمن وكل كلمة يتلفظ بها ، وكل فكر يراود خاطره ، وكل شاردة و واردة في حياته ، و هي آثار عظيمة قيمة لعظم المبدأ وشرفه ، ومن هذه الآثار التربوية : –

١ – تحقيق العبودية لله تعالى وحده والتحرر من عبودية ما سواه :

قال الله تعالى : ((وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإِنْسَ إلاَّ لِيَعْبُدُون)) (سورة الذاريات ، الآية ٥٦) . فمن أجل تحقيق هذه العبوديـــة خلقنا الله تعالى ، وخلق جميـــع ما في الكون وسخره لخدمتنا ومنفعتنا . و بهذه العبوديـــة أمرنا . فقال : ((وَمَا أُمِرُوا إلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَآءَ)) (سورة البينة ، الآية ٥) . ولأجل القيام بهذه العـــبوديـــة رزقنا ، و يستنكر على من انحرف عن الصراط السوي فعبد غيره فقال تعالى: ((وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقاً)) (سورة النحل ، الآية ٧٣) . وقوله : ((إِنَّ الَّذِينَ تَعبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لاَ يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً)) (سورة العنكبوت ، الآية ١٧) . وقال : ((وَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَ لاَ يَنْفَعُهُمْ)) (سورة يونس ، الآية ١٠) . فإن الإيمان بالله تعالى رباً واحداً مستحقاً للعبوديـــة الخالصـــة وحده هي الغاية النهائية التي تسعى التربية الإسلامية لتحقيقها إلى أن تقوم الساعة .

ومن كان عبداً لله وحده فقد تحرر من عبودية ما سواه و لم تسيطر على عقله و جوارحه الشهوات و الأهواء و لا السلطان و المال و لم يخش إلا الله . و إن من عبد شيئاً من ذلك خسر و تعس كما أخبر ﷺ : { تَعِسَ عبدُ الدينار و عبد الدرهم و عبد الخميصة ، إن أُعطيَ رضي ، و إن لم يُعط سَخِطَ ، تعس و انتكس و إذا شيك فلا انتقش } (البخاري ١٤٢٢هـــ ،كتاب الجهاد ، باب٧٠: الحراسة في الغزو في سبيل الله ، ص ٥١٥ ، برقم : ٢٨٨٧) . فمن كانت عبوديته لغير الله كان نصيبه التعاسة والخسران في الدنيا والآخرة .

قال تعالى: ((وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ ديناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَـٰسِرِينَ)) (سورة آل عمران ، الآية ٨٥) . ولقد أقسم الله عز وجل مؤكداً أن هذه الخسارة والتعاسة والهلاك لمن لم يؤمن بالله تعالى ويعمل صالحاً فأقسم عزَّ وجلَّ قائلاً : ((وَالعَصْرِ * إِنَّ الإِنْسَـٰنَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ وَ تَوَاصَوْا بالحَقِّ وَ تَوَاصَوْا بالصَّبْرِ)) . (سورة العصر ، الآيات ١ : ٣) . و قد وصف '' الخيري '' التوجه الكلي إلى الله تعالى والتحرر من عبودية غير الله ، ١٤١٧هـ ، فقال :

« وتتوجه عواطف المؤمن بالله وأحاسيسه وشعوره نحو الخالق عز وجل وتسير على خطى شريعته خاضعة له في كل وقت ، ذاكرة له في كل حين . طالبة الأجر الإلهي راغبة في الثواب الرباني ،تاركة لشهوات الدنيا هاجرة لملذاتها ، وبذلك تكون الحياة الطيبة وتتحرر النفس من سيطرة الآخرين فتسعد النفس وتستقيم الحياة ، و تنسجم التصرفات وفق نظام معين ، ونسق متزن خاصة وأن المؤمن يعلم أن الله هو المحيي و المميت وهو الرزاق ذو القوة المتين ، وهو الضار والنافع ، ولا أحد سواه يتحكم في أي أمر من أموره فيتوجه نحو الرب متصفاً بكل صفة يحبها الرب ،ومجتنباً كل صفة قد نهاه الله عنها فهو بهذا قد اتجه كلياً نحو الخالق » . (ص ١٢٨) .

٢ – تقبل الله لأعمال المؤمنين بخلاف أعمال الكافرين :

لقد أخبر الله تعالى أنه يتقبل أعمال المؤمنين الذين آمنوا بالله واستقاموا على دينه فقال: ((أُوْلَـٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَـٰبِ الجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوْعَدُونَ)) (سورة الأحقاف ، الآية١٦) .

وفي المقابل لا يتقبل الله أعمال الكافرين ، بل يجعلها هباءً منثوراً مهما كانت أعمالهم صالحة ، ومهما كان إنفاقهم في سبيل الخير ولمصلحة الضعفاء والمحتاجين ، فإن ذلك لن ينفعهم في الآخرة شيئاً . قال الله عز و جل : ((وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَاءً مَّنْثُوراً)) (سورة الفرقان ، الآية ٢٣) . و تفسيرها : أن الله تعالى أبطل أعمال الكافرين التي ظنوا أنها تقربهم إليه عز وجل فلم تنفعهم وجعلها هباءً منثوراً لا نفع منه و لا يمكن القبض عليه ، و الهباء : الغبار الذي يدخل من الكوة مع ضوء الشمس . (الرازي ، ١٤١١هـ ، ج٢٤ ، ص ٦٣) .

ويتقبل الله تعالى من المؤمنين نفقاتهم مهما بلغت ضآلتها،ويضاعف لهم أجرها

مضـــاعفـــة كثـــيرة لمن يشاء ، و عن ذلك أخـــبر عز و جل : ((مَثَلُ الَّذينَ يُنْفقُونَ أَمْوَالَـــهُمْ فِي سَبيلِ اللهِ كَمَثَـــلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَـــةٍ مَّائَةُ حَبَّةٍ وَ اللهُ يُضَـــٰعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ)) (سورة البقرة ، الآية ٢٦١) . ولا يتقبل الله نفقات الكافرين مهما بلغت ضخامتها ، فقال عز وجل : ((وَ مَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـــٰتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَ بِرَسُولِهِ)) (سورة التوبة ، الآية ٥٤) .

و يقبل الله تعالى توبة عباده المؤمنين و يعفو عن سيئاتهم ، فيخبرنا عن ذلك : ((وَ هُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَ يَعْفُواْ عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ * وَ يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلوا الصَّـــٰلِحَـــٰتِ وَ يَزِيدُهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ وَالكَـــٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ)) (سورة الشورى ، الآيتان ٢٥ ، ٢٦) . و لا يقبل الله توبة الكافرين به فيقول تعالى : ((إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَـــٰنِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً لَّنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَـــٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ مَاتُوا وَ هُمْ كُفَّـــارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِّلْءُ الأَرْضِ ذَهَباً وَّ لَوِ افْتَدَىٰ بِهِ أُوْلَـــٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَ مَا لَهُمْ مِّنْ نَّـــٰصِرِينَ)) (سورة آل عمران الآيتان ٩٠،٩١) . و قولـــه عزَّ و جلَّ : ((إِنَّ الَّذِينَ كَفَـــرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَ مِثْلَهُ مَعَـــهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ القِيَـــٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)) (سورة المائدة ، الآية ٣٦) .

٣ - تربية عقل الإنسان على سعة النظر وحب الاطلاع على أسرار الكون والطموح إلى ما وراء الحس ــ أي طلب العلم ــ :

فكل ما في الكـــون مما نرى وما لا نرى من السماوات و الكرسي و العرش و الملائكة ، كل ذلك من ملك الله و كل كائن صغير أو كبير يسبح بحمد الله ، و يشهد بعظمتـــه ، و قد أمرنا القرآن أن نتأمل ذلك كله ، نـــتأمل خلق السماوات و الأرض ، و البحار و الأنهار ، و الإبل والدواب والنحل ، وما من شيء إلا يعلمه الله من أصغر ذرة إلى أكبر جرم . (النحلاوي ، ١٣٩٩هـــ ، ص ٧٦) .

و لقد حض الله تعالى بالتفكر والتدبر في النفس البشرية و السماوات والأرض في آيات كثيرة منها قوله عزَّ و جلَّ : ((أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَّا خَلَقَ اللهُ السَّمَـــٰوَٰتِ وَ الأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالحَقِّ)) (سورة الروم ، الآية ٨) . وقوله تعـــالى : ((سَنُرِيهِمْ

ءَايَـــتِنَا فِي الآفَاقِ وَ فِي أَنْفُســـهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَـــقُّ)) . (سورة فصلت ، الآية ٥٣) . و قوله تعالى : ((أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَـــوَ تِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ)) (سورة الأعراف ، الآية ١٨٥) .

كما أن الإيمان يدعو لطلب العلم ، و يرفع به الدرجات فقال عزَّ و جلَّ : ((يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَـــت)) . (سورة المجادلة ، الآية١١) .

٤ – الإيمان بالله يمد المؤمن بطاقة روحية تعينه على تحمل مشاق الحياة :

إن في الإيمان بالله تعالى قوة خارقة تمد المؤمن ، بطاقـــة روحية تعينه على تحمل مصاعب ومشاق الحيـــاة ، و تجنبه القلق الذي يتعرض له كثير من الناس في هذا العصـــر الحديث الذي يسوده التنافس الشديد من أجل الكسب المادي مما يسبب كثيراً من الضغط والتوتر لدى الإنسان المعاصر ، و جعله نهباً للقلق ، و عرضة للإصابة بالأمراض النفســـية خاصة من هم يفتقرون إلى الغذاء الروحي وهو الإيمان بالله . (نجاتي ، ١٤١٤هـــ ، ص ٢٦٨) . و لذا نجد الأنبياء و الرسل صلوات الله و سلامه عليهم يتحملون مشاق الدعوة إلى الله ،وصنوف العذاب من أقوامهم ،دون تذمر ولا تضجر . وكذلك العلماء والدعاة ، وعامـــة المؤمنين لديهم الصبر و القـــوة على تحمل مشاق الحياة و تكاليف العبادة ، مهما تضاعفت وتعاظمت دون تذمر أو يأس . « إن الذي يؤمن بالله لا يتسرب إليه اليأس في حال من الأحوال فإذا ضاقت عليه الحياة ، وانقطعت عنه الأسباب المادية جميعها فإنه يعلم أن عين الله لا تغفل عنه ولا تسلمه إلى نفسه ، فلا يزال يبذل الجهود المتتابعة متوكلاً على الله ، مســـتمداً منه المعونة في جميع أحواله ، و هذا ما يفسر انعدام الانتحار بين المؤمنين ، وكثرته بين الملحدين الكافرين » (عثمان ، ١٤١٠هـــ ، ص ٤٠) .

٥ – الشعور بالأمن والطمأنينة :

إن قلب المؤمن بالله عامر بالأمن والطمأنينة ، لا يخاف جبروت أحد من البشر و لا يخشى فوات مصلحة من مصالح الدنيا ، فهو يؤمن أن هذه الدنيا فانية و إن هي إلا محطة يحط فيها رحاله لفترة ثم يدعها ليخلد في الدار الآخرة. يتزود من دار الدنيا ما ينفعه لنعيم الآخـــرة . فلا يجزع إن فاته متاعها الزائل ، و لا يصاب بهلع إن فقد عزيزاً عليه . يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه . قال تعالى : ((مَا أَصَابَ

مِنْ مُصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)) (سورة التغابن ، الآية ١١) . فالمؤمن يعلم أن ذلك ابتلاء له وتمحيص ليُعرَف إن كان من سعداء الآخرة أم من أشقيائها . فإن كان من المؤمنين حق الإيمان صبر على المكروهات ، و شكر على المحمودات ، فكان في كلا الحالين خيراً آمناً مطمئناً ، ذاكراً لله ، شاكراً نعمائه ، صابراً على بلائه ، من الذين قال الله تعالى عنهم : ((الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)) (سورة الرعد ، الآية ٢٨) .

والنفس المطمئنة جزاؤها الخلود في الجنة ، والرضا من الله تعالى ، فتُنادَى بهذا الاسم الكريم : ((يَـٰأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّة * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّة * فَادْخُلِي فِي عِبَـٰدِي * وَ ادْخُلِي جَنَّتِي)) (سورة الفجر ، الآيات ٢٧:٣٠) .

و قال الله تعالى : ((هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدادُوا إِيمَـٰناً مَّعَ إِيمَـٰنِهِم)) (سورة الفتح ، الآية ٤) . قال ابن كثير يرحمه الله في تفسير هذه الآية : أي جعل الطمأنينة في قلوب المؤمنين يوم الحديبية ، فلما اطمأنت قلوبهم زادهم إيماناً مع إيمانهم . (ابن كثير ، ١٣٨٨هـ ، ج ٤ ، ص ١٨٤) .

« إن الإيمان بالله إذا ما بُث في نفس الإنسان منذ الصغر فإنه يُكسبه مناعة و وقاية من الإصابة بالأمراض النفسية » (نجاتي ، ١٤١٤هـ ، ص ٢٧١) .

وقد وصف القرآن ما يُحدثه الإيمان من أمن وطمأنينة في نفس المؤمن بقوله تعالى : ((الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَـٰنَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَـٰئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَ هُمْ مُّهْتَدُونَ)) (سورة الأنعام ، الآية ٨٢) . فالمؤمن دائم التوجه إلى الله تعالى في عبادته ، وفي سائر أعماله وأقواله فيشعر أن الله تعالى معه دائماً حيثما سار و هو في عونه دائماً ، و هذا الشعور كفيل بأن يبث في نفسه الشعور بالأمن والطمأنينة .

كما أن المؤمن يقنع بالقليل من الرزق فهو في سفر إلى الدار الآخرة ، ولأنه يعلم : ((إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ)) (سورة الذاريات ، الآية ٥٨) . و يعلم أن : ((اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ)) (سورة الرعد ، الآية ٢٦) .

والمؤمن لا يخاف الموت ، بل ينظر إليه نظرة واقعية ، يعلم أنه حقيقة لا مفر منها ، وأنه سيأتي اليوم الذي يتذوق فيه سكرات الموت.قال تعالى : ((كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ))

(سورة آل عمران ، الآية ١٨٥) . وكل إنسان أجله محدد ، فإذا جاء أجله لن يستطيع أن يؤخره ، لقوله تعالى : ((وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا)) (سورة المنافقون ، الآية ١١) وقال تعالى : ((وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَّلاَ يَسْتَقْدِمُونَ)) . (سورة الأعراف ، الآية ٣٤) .

حتى وإن أسرف المؤمن في ارتكاب الذنوب فهو لن يشعر بالإحباط و الاضطراب النفسي والشعور بالذنب وتأنيب الضمير بالدرجة التي توصله إلى اليأس والقنوط من رحمة الله تعالى . فالمؤمن الصادق يكفيه الاستغفار و التوبة الصادقة إلى الله ، فهو يعلم يقيناً أن الله عز وجل يقبل التوبة و يغفر الذنوب جميعاً ، قال الله تعالى : ((قُلْ يَـٰعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ)) (سورة الزمر الآية ٥٣) . و قد كان من دعاء الرسول ﷺ : { اللهم إني أسألك نفساً بك مطمئنة ، ترضى بقضائك ، وتقنع بعطائك ، وتؤمن بلقائك } . آمين .

٦ - تحقيق الأخوة الإيمانية بين المسلمين جميعاً على اختلاف ألسنتهم :

لقد جاء الإسلام فآخى بين الناس جميعاً ، فإلههم واحد ، و دينهم واحد ، وكتابهم واحد ، و رسولهم واحد ، و لقد قال الله تعالى عنهم : ((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)) (سورة الحجرات ، الآية ١٠). ولقد آخى الرسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار في دار أنس بن مالك رضي الله عنهم ، وكانوا تسعين رجلاً نصفهم من المهاجرين و نصفهم من الأنصار ، آخى بينهم على المواساة . (ابن قيم ، د.ت ، ج ٢، ص ٥٦) .

و بلغت هذه الأخوة مبلغاً فاقت أخوة النسب في المحبة و المودة لبعضهم بعضاً ، حتى بلغت درجة الإيثار على النفس ، قال الله تعالى في كتابه الكريم مادحاً : ((وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَ الإِيْمَـٰنَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَ لاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَ يُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ)) (سورة الحشر ، الآية ٩) . وهذا ما يجب عليه أن تكون الأخوة الإيمانية في كل مكان وكل زمان .

٧ - تربية النوازع بضبطها دون كبتها :

إن الله تعالى خلق الإنسان وزوده بنوازع متعددة فطره عليها ، منها نزعة التملك و نزعة الجنس ، ونزعة الغضب . وجعل الله تعالى لكلٍ ضوابط فهذبها وقام على تربيتها

في أحسن صورة ، و لم يعمل على كبتها و من ثَم على دمارها ، فنجد أنه شجع على نزعة حب التملك ، ولكن من خلال الكسب الحلال المشروع كالبيع و الشركة و حرم الربا . قال تعالى : ((وَ أَحَلَّ اللهُ البَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَوٰا)) (سورة البقرة ، الآية ٢٧٥) . وأطلق حرية الملكية الفردية بدون حدود ، و ضبطها بوجوب تأدية الزكاة كما حث على صدقة التطوع ، لئلا يكون المال دولة بين الأغنياء فقط ، ولئلا يُحرم منه الفقراء و ذوو الحاجة .

وحرص الدين على تربية النزعة الجنسية بضبطها بالزواج الشرعي ، وتحريم الزنا ، و تحريم دواعيه من الاختلاط بالنساء الأجانب ، و الخلوة بالأجنبية ، و النظر إليها ، و مصافحتها ، أو التحدث إليها دون ضرورة ، و كذا حرم على المرأة ترخيم صوتها أو إبداء زينتها و ما خفي منها . و أباح التعدد لأربع زوجات ، و ضبط التعدد بوجوب العدل بينهن . قال تعالى : ((فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ)) (سورة النساء ، الآية ٣) .

و الحياة لا تخلو من المشاكل والمواقف التي تثير الإنسان فينزع إلى الغضب ، وقد يلجأ الغاضب إلى السباب ، وضرب من أغضبه أو رد الإساءة إليه بالمثل أو مضاعفة ، ولكن الله تعالى يأمر الغاضب بكظم غيظه و بضبط أعصابه ، وأن يعفو عن من أساء إليه بل ويقابل تلك الإساءة إحساناً ويَعِدُهُ بمغفرة منه ، وجنة عرضها السماوات و الأرض قال تعالى : ((وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَٰوَٰتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالكَٰظِمِينَ الغَيظَ وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ)) (سورة آل عمران ، الآيتان ١٣٣ ، ١٣٤) . و هذه بعض الجوانب التي عمل على تربيتها الخالق جل وعلا بضبطها و عدم كبتها ، و جعلها تسير في المسار الصحيح ، وترتقي به إلى التكريم الذي كرم الله تعالى به جنس البشر .

٨ – تحقيق وحدة النفس الإنسانية :

قال الله تعالى : ((ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَ رَجُلاً سَلَماً لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً ؟ الحَمْدُ للهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ)) (سورة الزمر ، الآية٢٩) شبَّه الله تعالى النفس المُوحِّدة لربها ، بالعبد الذي يملكه رجل واحد ، فجميع تصرفات هذا العبد تأتي حسب رغبة سيده ، وبهذا تهدأ نفسه ، وتستقيم حياته ، وتنسجم تصرفاته وفق

نظام معين و على نسق واحد . أما العبد الذي يملكه عدة شركاء متشاكسين ، فلا يُؤمَن أن يتصرف اليوم على نمط يعاكس تصرفاتـــه بالأمس ، و تبقى نفسه نهباً للمخـــاوف و الهواجس و التقلبات . كذلك المشرك الذي يعلم بفطرته عظمة الله تعالى ، و يشرك مع الله آلهة أخرى، فتراه تارة يستعبده الناس فينافقهم ، وتارة يتخذ إلهه هواه ، وتارة يستعبده المـــال ، وتارة يتعلق بالحياة فينخلع قلبه من الموت أو المرض ، وهو في كل ذلك قلق ، لا يطمئن على نفسه ولا على ماله ، ولا على شيء من ملذاته ، لأنه لا يؤمن بمصير معين ، و لا يخضع لإله واحد ، بيـــده كل شيء ، وهو على كل شيء قديـــر . (النحلاوي ، ١٣٩٩هـــ ، ص ٧٥) . بل إن نظام الكون كله يفسد ، و يختل بتعدد الآلهة كما أخبر الخالق الواحد عزَّ وجلَّ : ((لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءَالِهَةٌ إلا اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَـــٰنَ اللهِ رَبِّ العَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ)) (سورة الأنبياء ، الآية ٢٢) .

٩ – سمو الرابطة الإيمانية على بقية الروابط :

إن الإيمـــان بالله تعالى حين يتغلغـــل في قلب المؤمن ترتقي روحه ، و تسمو إنسانيته ، وتصبح حياته أسيرة لهذا الحب الإيماني الذي طغى على قلبه ، حب الله وحب رسوله ﷺ وحب المؤمنين ، وحب كل شيء وكل عمل يقربه إلى الله تعالى و رسوله . و لذلك تسمو الرابطة الإيمانية التي تربطه بالآخرين على غيرها من الروابط ، سواء كانت رابطـــة أبوة ، أو رابطة أخوة ، أو رابطة جوار ، أو رابطة مصالح ، أو غيرها من الروابط المختلفة .

ومن أصدق الأمثلة على سمو الرابطة الإيمانية ما حفلت به حياة السابقين الأولين إلى الإسلام ، فهذه قصة أبي بكر الصديق رضي الله عنه مع ابنه عبد الرحمن في غزوة أحد ، حيـــث وقـــف عبد الرحمن قبل أن يلتحم الجيشان ، يدعو إليه من المسلمين من يبارز .. فـــنهض أبوه أبو بكر الصديق رضي الله عنه مندفعاً نحوه ليبارزه غير مبالٍ بعاطفة الأبوة ، فقد طغت محبة الله تعالى و رسوله ﷺ فوق كل عاطفة . فخرج للمبارزة ضد ابنه و فلذة كبده . لكن الرسول ﷺ أمسك به ، و حال بينه و بين مبارزة ولده . (خالد ، د.ت ، ص ٥٢٨) وهذا مثال آخر سمت فيه الرابطة الإيمانية ، وعلت فوق رابطة النسب : حيث قتل الابن المؤمن أبو عبيدة عامر بن الجراح أباه الكافر عبد الله بن الجراح في غزوة بدر .

و نزل فيه قول الله تعالى : ((لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ باللهِ وَ اليَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ... الآية)) (سورة المجادلة الآيـــة ٢٢) . و قد كان والد أبي عبيدة يوم بدر يُكثر التعرض لأبي عبيدة ، فيحيد عنه ، فلما أكثر تصديه قتله ، فنـــزلت الآية . (ابن حجر، ١٣٢٨هـــ ، ج ٢ ، ص ٢٥٢) .

وفي الآية السابقة ينفي الله تعالى عن الذين يؤمنون بالله و اليوم الآخر أن يكونوا في ذات الوقت يوادُّون ، ويحبون من حاد وحارب الله تعالى ورسوله ﷺ ، ولو كان هؤلاء من الأقربين.وقال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية : ((وَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ)) قيل نزلت في أبي عبيدة قتل أباه يوم بدر . ((أَوْ أَبْنَاءَهُمْ)) نزلت في الصديق ، همَّ بقتل ابنه عبد الرحمن . ((أَوْ إِخْوَانَهُمْ)) في مصعب ابن عمير ، قتل أخاه عبيد ابن عمير يومئذٍ . ((أَوْ عَشِيرَتَهُمْ)) في عمر قتل قريباً له يومئذٍ أيضاً ، و في حمزة ، وعلي ، وعبيـــدة بن الحارث قتلوا عتبة ، و شيبة ، والوليد بن عتبة يومئذٍ . (ابن كثير ، ١٣٨٨هـــ ، ج٤ ، ص ٣٢٩) .

والله سبحانه وتعالى ينفي صفة الإيمان عمن والى الكافرين ، ولو كانوا أقرباءهم في قولـــه تعالى : ((يَـــأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَتَخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَ إِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الكُفْرَ عَلَى الإِيمَـــانِ وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُوْلَـــئِكَ هُمُ الظَّـــلِمُونَ)) (سورة التوبة ، الآية ٢٣) .

وكذلك عدم موالاة أهل الديانات السماوية السابقة ، من اليهود والنصارى ، كما يـــنص على ذلك قوله عزَّ و جل : ((يَـــأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَتَخِذُوا اليَهُودَ وَ النَّصَـــرَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لاَيَهْدِي القَوْمَ الظَّـــلِمِينَ)) (سورة المائدة ، الآية ٥١) . ومن هذا نستدل على أن سمو الرابطة الإيمانية على كل الروابط الأخرى هي إحدى ثمرات الإيمان بالله تعالى .

٩ - حفظ الله تعالى للمؤمنين :

إن الله جلَّ جلاله يبتلي عباده المؤمنين بما شاء تمحيصاً لهم و اختباراً واصطفاءً وبلاءً ، و ليس للعبد المؤمن مع هذا البلاء الذي نزل به إلا الرضا و التسليم والإقبال على الله تعالى بالدعاء ، وعمل الصالحات ، والتضرع إلى الله تعالى بكشف الغمة ورفع البلاء . قـــال الله تعـــالى : ((فَلَوْلاَ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَ لَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَ زَيَّنَ لَهُمُ

الشَّيْطَـٰنُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)) . (سورة الأنعام ، الآية ٤٣) .

و إن المؤمنين لَواثقون بحفظ الله تعالى لهم ، و إخراجهم من الشدائد . وعد الله تعالى القائل : ((ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا والذينَ ءَامنُوا كَذلكَ حَقّاً علينَا نُنْجِ المُؤْمِنِينَ)) . (سورة يونس الآية ١٠٣) . وإن العبد المؤمن ليتدبر كيف نجَّى الله تعالى نوحاً عليه السلام ومن آمن معه من الطوفان العظيم ، وكيف حمى الله تعالى تلك السفينة الصغيرة من الأمواج الهائلة ، والماء المنهمر من السماء والمتفجر من الأرض .

و إن العبد المؤمن لينظر كيف نجَّى الله تعالى خليله إبراهيم عليه وعلى نبينا العظيم أفضل الصلوات والتسليم ، نجاه من نار عظيمة هائلة ، فصارت برداً وسلاماً عليه .

والعبد المؤمن لينظر في كيفية إنجاء الله تعالى يوسف عليه السلام بعد أن تقلب بين البئر والسجن فلبث فيه بضع سنين . وكيف نجى الله تعالى يونس عليه السلام بعد أن التهمه الحوت في مشهد كوني رهيب ، و كيف دعا يونس ربه خاشعاً : ((لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنْ الظَّـٰلِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَ نَجَّيْنَـٰهُ مِنْ الغَمِّ وَ كَذَلِكَ نُنْجِي المُؤْمِنِينَ)) (سورة الأنبياء ، الآيتان ٨٧ ، ٨٨) . وهذا وعد من الله عزَّ وجل بحفظه أنبيائه والمؤمنين في كل زمان و مكان . أو لم يتكفل الله تعالى بحفظ موسى عليه السلام بعد أن وضع في صندوق وهو رضيع وألقي في اليم لا يملك لنفسه حولاً ولا قوة ؟ ألم يحفظ الله تعالى عبده عيسى عليه السلام لما دلَّ أخوان القردة والخنازير الرومان على مكانه ، فرفعه الله تعالى إليه و نجاه منهم . وكيف فعل ربك بعاد و ثمود و أصحاب الأيكة و قوم تبع وأصحاب لوط ، فانتقم منهم وحفظ عباده وأصفياءه من كل كيد وسوء . وكيف حفظ الله تعالى خليله محمداً ﷺ من كمائن عديدة نصبها له المشركون واليهود والمنافقون فنجاه الله تعالى منها ، فهو الذي يحفظ المؤمنين وينجيهم في كل زمان ومكان ويثبتهم ، وينفي عنهم الوساوس وكيد الشيطان ، ويذل أعداءهم ، ويُفْشِل كيدهم ومخططاتهم .

(الشريف ، صحيفة المدينة ، العدد ١٤٠٤٤ ، رجب ١٤٢٢هـ ، ص١٣) .

١١ - تحقق العزة والنصر للمؤمنين :

إن العزة لله ولرسوله ﷺ وللمؤمنين كما أثبتتها هذه الآيات الكريمات : ((إِنَّ

العـــزَّةَ للهِ جَميعاً)) (سورة يونس ، الآية ٦٥) . و قوله تعالى : ((وَ للهِ العِـــزَّةُ وَ لِرَسُولِهِ وَلِلمُؤْمِنِينَ)) (سورة المنافقون ، الآية ٨) .

وعلى من يريد العزة أن يؤمن بالله تعالى إيماناً صادقاً لا يخالطه شك أو ريب . قال تعالى : ((مَنْ كَانَ يُرِيدُ العِزَّةَ فَلِلَّهِ العِزَّةُ جَميعاً)) (سورة فاطر ، الآية ١٠) .

و لن يجد الإنسان العزة عند غير الله تعالى ، و لن يجدها عند غير المؤمنين ، حتى ولو كـــان ظاهر الحال يوحي أن العزة عند غيرهم من الناس ، لإخبار الله تعالى بأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، ولمن يريد العزة فعليه بالإيمان بالله العزيز الحكيم .

ولإثباته سبحانه وتعالى وتأكيده أن العزة لن تكون في موالاة الكافرين . قال تعالى : ((الَّذينَ يَتَّخِذُونَ الكَـــٰفِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ المُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ العِـــزَّةَ فَإِنَّ العِزَّةَ للهِ جَميعاً)) . (سورة النساء ، الآية ١٣٩) .

لقد وعد الله تعالى رسله والمؤمنين بالنصر والغلبة في الدنيا و الآخرة وإن كانوا قلة ، قال تعالى : ((وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا المُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ المَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الغَـــٰلِبُونَ)) . (سورة الصافات ، الآيات ١٧١ : ١٧٣) . و قال تعالى : ((إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَـــٰدُ)) (سورة غافر ، الآية ٥١) .

كمـــا أن النصر حليف المؤمنين دائماً وإن كانوا في ضعفٍ أو قلة ، فالله ينصرهم ولا غالب لهم ، ويبشرهم بهذا النصر في مواضع عديدة من القرآن الكريم : ((وَ لَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ)) (سورة الحج ، الآية ٤٠) . و قوله تبارك و تعالى : ((إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَ إِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُـــرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَ عَلَىٰ اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُؤْمِنُونَ)) (سورة آل عمران ، الآية ١٦٠) . و قال تعالى : ((يَـــٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَ يُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ)) (سورة محمد ، الآية ٧) .

وقد ذكر الله تعالى في سورة " المؤمنون " كيف نصر عبده ورسوله نوحاً ومن آمن معه . واستجابة لدعائه : ((قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ * فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ القَوْلُ مِنْهُمْ وَلاَ تُخَـــٰطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ)) . (سورة المؤمنون ، الآيتان٢٦ ، ٢٧) . وما كان هذا النصر إلا ثمرة من ثمرات هذا الإيمان الصادق ، وأثراً من

آثـــاره العظيمة ، وهكذا ينصر الله تعالى من ينصره ، من رسله ، وممن آمن به تعالى ، مع ما هم فيه من ضعف و قلة ، و بقوة إيمانهم و ثقتهم بنصره لهم ، و اتخاذهم أسباب النصر أيدهم عز وجل ونصرهم وأعزهم ، إنه على كل شيء قدير .

و أخبار النصر في التاريخ الإسلامي كثيرة ، فقد نصر الله تعالى رسوله والمؤمنين وهم قلـــة مستضعفة في جزيرة العرب . ثم نصرهم على قوتين عظيمتـــين كافرتين هما الفرس والروم . و أصبحت للمؤمنين دولة واسعة قوية ، عزيزة مهابة الجانب ، فما هذه العـــزة و النصر إلا من عند الله القوي العزيز . و ما هما إلا أثراً من آثار الإيمان بالله عزَّ و جلَّ ، فاللهم أعزنا بعزتك ، وأيِّدنا بتأييدك ، وانصرنا بنصرك يا رب العالمين . آمين .

١٢- ترقية الفرد والمجتمع :

إن الإيمان ليس دعوى يدعيها المرء دون أن تظهر آثارها العملية . وإنما المعتقد الإيمـــان هو الذي يجد حلاوة الإيمان تخالط صميم فؤاده ، وتنفذ إلى أعماق نفسه و يعقد عليها قلبه ، ويوقف عليها عقله ولبه ، حتى يسري نور الإيمان إلى أعماق وجدانه ونفسه وسرائره ، ثم تأتي أقواله وأعماله مطابقة لما تقتضيه تلك العقيدة الكريمة .

ويترتب على هذا الإيمان آثاره من عبادة وطاعة واستقامة على طريق الخير والصلاح وعلى منهج الخلق الكريم ، والفضيلة ، ومن توكلٍ صادقٍ على الله عزَّ وجلَّ وتعاون على البر و فعل الخير والتقوى ، و من جهاد صادق في سبيل الله و حب و إيثار و نصرة حب المؤمن أخيه المؤمن ، ومؤازرته والوقوف بجانبه وقت الحاجة ، والدفاع عنه إن أصابه ظلم أو حيف . تلكم بعض الآثار العملية للإيمان الذي يجد صاحبه حلاوته في أعماق فؤاده .

إن المؤمـــن الصـــادق الإيمان « يجد في نفسه سمواً عن الدنايا ، وترفعاً عن سفاسف الأمور.. وتزكو روحه ويتطهر قلبه .. ويصعد في مراتب الكمال الإنساني درجات . . و درجات تعجز عن تحقيقها للناس فلسفات البشر ومبادئهم وأفكارهم التي ابتدعوها. وهل قويت أو تقوى فلسفات البشر على أن توقظ في داخل الإنسان رقيـــباً من الإيمان القوي و الخشية من الله ؟ وهذا الرقيب الداخلي تكون سلطته على نفس صاحبه أقوى من سلطة القانون هل تقوى فلسفات البشر على تحقيق ذلك ؟ » (طاحون ،١٤٠٣هـــ ، ص٢١) .

إن المؤمن حقاً تنبعث منه الفضائل انبعاثاً ذاتياً وينفر من الرذائل بطبعه ، وبوحي من

إيمانه لا يتكلف ، و لا يتصنع لأنه يعلم أن الله رقيباً عليه في السر و العلن ، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور . إن خشية الله تعالى وأداء جميع العبادات ، والعدل ، والحياء ، وإماطة الأذى عن الطريق ، و البعد عن الزنا ، و ترك شرب الخمر ، والبعد عن السرقة والبعد عن اللغو ، و الأمانة ، و المحافظة على العهد ، و الاتصاف بحسن الخلق هي جميعها آثاراً نتجت عن تطبيق مبدأ الإيمان بالله تعالى .

إن المتأمل في حياة العرب قبل الإسلام وبعده يلمس أثر الإيمان بالله سبحانه وتعالى في حياة الفرد و الجماعة ، وتتجلى له بوضوح كيف تمت هذه الترقية .. فالعرب كانوا في جاهليتهم على حال من الخلل الاجتماعي والخلقي لم يمكنهم من الترقي في مراقي العمران و الحضارة درجة واحدة ... و لكنهم أصبحوا فجأة بواسطة هذا الدين الذي بعث به الرسول محمد ﷺ أمة دانت لها الأمم ، و آلت إليها خلافة الله في الأرض قروناً طويلة ، كانت أمة العرب في خلالها حاملة لواء العدل و الحرية و المساواة ، وكانت لها في خلالها السيادة في العلم والخلق والحضارة . وبفضل الإيمان تطور العرب بسرعة فائقة من الجاهلية الجهلاء إلى المدنية الأدبية العلياء في أقل من ربع قرن ، وهي مدة لو كانوا قلبوا فيها البيوت مدارس ، وأتوا بكبار فلاسفة الرومان واليونان والفرس ما كانوا ليستطيعوا أن يبطلوا ما كانوا مغرمين به من شرب الخمر والميسر و الزنا و طلب الثأر و حب الانتقام والغارات والانقسامات ، و التفاخر بالآباء وعدم المساواة ، وهضم حقوق النساء ، ودفن البنات الأحياء ، إلى غير ذلك من المصائب الاجتماعية والمساوئ الخلقية .

وإن هذا التغيير الشامل في الأخلاق والعادات والتقاليد وغير ذلك ، إذا أضفنا إليه ما تلاه من رقي العرب السريع وقيامهم بخلافة الله في الأرض قياماً أدهش العلماء وحيَّر الفلاسفة — والعرب حينئذٍ كانوا أقل من الأمم المحيطة بهم عدداً — يجعلنا ندرك من ذلك كله أن سر عظمة هذه الأمة و سر نهوضها بقيادة العالم ، و إنقاذه من الذل و الجهل و الانحطاط والتأخر ، و إخراجه إلى نور الحياة الكريمة ، يرجع إلى تلك العقيدة النقية الصافية التي جاءهم بها محمد ﷺ .

وبهذه العقيدة تحققت للأمة الإسلامية الخيرية والصدارة بين الأمم الأخرى ، ولا تزال أمة محمد ﷺ خير أمة أخرجت للناس ، ما دامت متمسكة بأسباب هذه الخيرية التي نصَّ

عليها قوله تعالى : ((كُنْتُمْ خَيْرَ أُمةٍ أُخْرِجَتْ للناسِ تَأْمُرُونَ بالمعروفِ و تَنْهَوْنَ عنِ المُنْكَرِ وَ تؤمنُونَ باللهِ)) (سورة آل عمران ، الآية ١١٠) . فاللهم أعزَّ الإسلام والمسلمين ، وحقق لهم الخيرية التي يرجون ، آمين .

١٣ - استحقاق الخلود في الجنة :

قال الله تعالى : ((وَعَدَ اللهُ المُؤْمنينَ وَالمُؤْمنَـٰت جَنَّـٰت تَجْري مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدينَ فِيهَا وَمَسَـٰكِنَ طيِّبَةً فِي جَنَّـٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِنْ اللهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ)) (سورة التوبة ، الآية ٧٢) . في هذه الآية الكريمة وعد من الله العلي القدير للمؤمنين و المؤمنات بأن يكون جزاء إيمانهم به جنات تجري من تحتها الأنهار أي تجري الأنهار تحت أشجارها و غرفها ، خالدين فيها : أي ماكثين فيها أبداً ، لا يخرجون منها و لا يموتون ، و مساكن طيبة : أي حسنة البناء طيبة القرار ، في جنات عدن ، و رضوان من الله أكبر : أي رضا الله عنهم أكبر و أجل و أعظم مما هم فيه من النعيم . (ابن كثير ١٣٨٨هـ ، ج ٢ ، ص ٣٦٩) . و ذلك هو الفوز العظيم : أي الإشارة بقوله (ذلك) إشارة إلى ما تقدم مما وعد الله به المؤمنين والمؤمنات هو الفوز العظيم ، ودونه كل فوز مما يعده الناس فوزاً . (الشوكاني ، ١٣٨٣هـ ، ج ٢ ، ص ٣٨١) .

و هذا الوعد بالخلود في جنات النعيم مؤكد في آية أخرى من كتاب الله الحكيم : ((لِيُدْخِلَ المُؤْمنينَ وَالمُؤْمنَـٰت جَنَّـٰت تَجْري مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَ كَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللهِ فَوْزاً عَظِيمًا)) (سورة الفتح ، الآية ٥) . فكان الخلود في الجنة ثمرة من ثمرات الإيمان بالله تعالى منفرداً في هاتين الآيتين ، ومضافاً إلى عمل الصالحات في آيات أخر منها قوله تعالى : ((وَ بشِّرِ الَّذينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰت أَنَّ لَهُمْ جَنَّـٰت تَجْري مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَـٰرُ كُلَّمَا رُزِقُوا منْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً قَالُوا هَذَا الَّذي رُزِقْنَا مَنْ قَبْلُ وَ أُوتُوا بِهِ مُتَشَـٰبِهاً وَ لَهُمْ فِيهَا أَزْوَٰجٌ مُطَّهَـرَةٌ وَ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ)) . (سورة البقرة ، الآية ٧٢) . وفي قوله تعالى : ((إِنَّ الَّذينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰت لَهُمْ جَنَّـٰتُ النَّعيمِ * خَـٰلِدينَ فِيهَا وَعْدَ اللهِ حَقاً وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ)) . (سورة لقمان، الآيتان ٨ ، ٩) . ومضافاً – أي الإيمان – إلى أعمال و فضائل أخرى متعددة ، منها ما ذكر في الآيات العشر الأولى من سورة " المؤمنون " قال الله تعالى : ((قَدْ أَفْلَحَ المُؤْمِنُونَ * الَّذينَ

هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ * وَ الَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَ الَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَـٰوةِ فَـٰعِلُونَ * وَ الَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ * إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِـينَ * فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ العَادُونَ * وَ الَّذِينَ هُمْ لأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَ عَهْدِهِمْ رَٰعُونَ * وَ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَـٰئِكَ هُمُ الوَٰرِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُون)) (سورة المؤمنون ، الآيات ١ : ١١) في هـذه الآيات الكريمات إخبار منه عزَّ وجل بأن المؤمنين والمتصفين بالصفات الأخرى الواردة في بقية الآيات يخلدون في جنة الفردوس .

فاللهم نسألك إيماناً كاملاً و يقيناً صادقاً ، وعلى هدي صراطك المستقيم ، نسألك أن نكون من ورثة جنة النعيم .

هذه بعضاً من الآثار التربوية الناجمة من تطبيق مبدأ الإيمان بالله تعالى والالتزام به في كـل دقيقة من دقائق حياتنا.. و يليها مبدأ الإيمان بالكتب السماويـة ، و الآثار التربوية الناجمة من تطبيقه .

مبدأ الإيمان بالكتب

تعرض الله تعالى في سورة " المؤمنون " لذكر كتابين من كتبه التي أنزلها على رسله هما :كتاب موسى عليه السلام في قوله : ((وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ الكِتَـٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ)) (الآية ٤٩) . و الكتاب الثاني هو القرآن الكريم في قوله : ((أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا القَوْلَ)) (الآية ٦٨) ويجب على المؤمنين الإيمان بالكتب السماوية جميعها جملة وتفصيلاً .

معنى الكتاب في اللغة :

الكتـــاب : اسم لما كُتِبَ مجموعاً ، و الكتاب مصدر سُمِّيَ به المكـــتوب فيه . والجمع : كُتُبٌ وكُتْبٌ . (ابن منظور ، ١٣٠٠هـــ ، ج ١ ، ص ٦٩٨) .

معنى الكتاب في الاصطلاح الشرعي :

الكتاب هو كلام الله تعالى الموحى إلى رسله عليهم الصلاة والسلام ليبلغوه للناس المتعبَّد بتلاوته . (الحصان ، ١٤١٥هـــ ، ص ٥١) .

وجوب الإيمان بالكتب جملة وتفصيلاً :

قال الله تعالى : ((يَـــٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللهِ وَ رَسُولِهِ والكِتَـــٰبِ الَّذي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالكِتَـــٰبِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَ مَلَٰئِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـــٰلاً بَعِيداً)) (سورة النساء ، الآية ١٣٦) .

وقـــال ﷺ في حديث سؤال جبريـــل عليه السلام عن الإيمـــان : { أن تؤمن بالله و ملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر و تؤمن بالقدر خيره وشره } (النووي ، ١٤١١هـــ ج١ ، كتاب الإيمان ، باب١: بيان الإيمان والإسلام والإحسان ، ص١٥٧ ، برقم: ١) . فالإيمان بكتب الله تعالى أحد أركان الإيمان الستة . وقد سمى الله تعالى من كتبه ما يلي :-

١ – صحف إبراهيم عليه السلام :

قال الله تعالى : ((أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ * وَ إِبْرَٰهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ)) (سورة النجم ، الآيتان ٣٦ ، ٣٧) . و قوله : ((إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَىٰ * صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَ مُوسَىٰ)) (سورة الأعلى ، الآيتان ١٨،١٩) .

٢ – التوراة :

وهي كتاب الله تعالى الذي أنزله على موسى عليه السلام ، قال تعالى : ((إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَ ىٰــةَ فِيهَا هُدىً وَ نُور)) (سورة المائدة ، الآية٤٤) . وقال تعالى أيضاً : ((نَزَّلَ عَلَيْكَ الكِتَــٰبَ بِالحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَ ىٰةَ وَالإِنْجِيلَ)) (سورة آل عمران ، الآية ٣) .

٣ – الزبور :

وهو كتاب الله تعالى المنزل على داود عليه السلام قال تعالى : ((وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً)) (سورة النساء ، الآية ١٦٣) .

٤ – الإنجيل :

وهو كتاب الله تعالى المنزل على عيسى عليه السلام . قال تعالى : ((وَ قَفَّيْنَا عَلَىٰ ءَاثَــٰرِهِمْ بِعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ التَّوْرَ ىٰة وَ ءَاتَيْنَــٰهُ الإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًىٰ وَ نُورٌ وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ التَّوْرَ ىٰة وَهُدًىٰ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ)) (سورة المائدة ، الآية ٤٦) .

وأما الكتب الأخرى التي نزلت على سائر الرسل فلم يخبرنا الله تعــالى عن أسمائها ، وإنمــا أخبرنا سبحانه أن لكل نبي أرسله الله رسالة بلغها قومه ، فقد قال : ((كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَ ٰحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الكِتَــٰبَ بِالحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ)) (سورة البقرة ، الآية ٢١٣) . فيجب الإيمان بهذه الكتب التي لم تُسَمَّ إجمالاً ، ولا يجوز أن ننسب كتاباً إلى الله تعــالى سوى ما نسبه إلى نفسه مما أخبرنا عنه في القرآن الكريم . كما يجب الإيمان بأن هذه الكتب نزلت بالحق و النور و الهدى ، و توحيد الله سبحانه في ربوبيته و ألوهيته و أسمائه وصفاته ، وأن ما نسب إليها مما يخالف ذلك إنما هو من تحريف البشر و صنعهم . (ياسين ، ١٤١٢هـــ ، ص٦٣) .

٥ – القرآن الكريم :

وهو آخر الكتب المنزلة من عند الله تعــالى ، أنزله على خاتم أنبيائه و رسله محمد ﷺ . قال الله تعــالى : ((وَ قُرْءَاناً فَرَقْنَــٰهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَ نَزَّلْنَــٰهُ تَنْزِيلاً)) (سورة الإسراء ، الآية ١٠٦) . و يجب الإيمان بالقرآن الكريم ، و أن الله تعالى قد

خصه بمزايا تميز بها عن جميع ما تقدمه من الكتب المنزلة .

أهم المزايا التي تميَّز بها القرآن الكريم عن جميـــع ما تقدمه من الكتب المنزلة :

١ – أن القرآن هو كلام الله تعالى المعجز :

فقد تحدى به الله تبارك وتعالى العرب الذين نزل القرآن بلغتهم ، أن يأتوا بمثله ، وأخبر أنهم لا يستطيعون ذلك ، وهذا التحدي شامل لهم ولغيرهم ممن زعم هذا الزعم من الإنـــس أو الجن إلى قيام الساعة ، فقال تعالى : ((قُلْ لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْءَانِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً)) (سورة الإسراء ، الآية ٨٨) .

ثُم إن الله تعـــالى تحداهم بالإتيان بأقل من ذلك فطلب منهم الإتيان بعشر سور مثله مفتريات ، إن كان مفترى كما يزعمون ، بقوله جلَّ وعلا : ((أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَـٰتٍ وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَـٰدِقِينَ)) . (سورة هود ، الآية ١٣) .

ثم تحداهـــم بأقل من ذلك فطلب منهم الإتيان بســـورة واحدة فقط ، إن كان هذا القرآن مفترى كما يزعمون . فقال تعـــالى : ((أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰـهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَـٰدِقِينَ)) (سورة يونس ، الآية ٣٨) .

وكـــرر سبحانه و تعالى تحدي من كان في ريب من هذا القرآن و بالإتيـــان بسورة واحـــدة ، و أكد عدم استطاعتهم على ذلك ، بقوله عزَّ من قال : ((وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَـــا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ وَ ادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَـٰدِقِينَ * فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَ لَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ)) (سورة البقرة ، الآيتان ٢٣،٢٤) .

و معلـــوم أن هذا التحدي يصدق بأقصر السور من القرآن الكريم ، و أقصر السور ثلاث آيات . وهذا غايـــة الإعجـــاز لإبطال دعواهم . يقول تعالى : ((وَ مَا كَانَ هَذَا القُرْءَانُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللهِ)) (سورة يونس ، الآية ٣٧) . أي لما هو عليه من الفصاحة

والبلاغة ، مما هو ليس من مقدور الخلق الإتيان بمثلـــه ، فهو معجزة خالدة باقية أعجزت من كانوا ذروة من الفصاحة والبلاغة والبيان فكيف بمن هم دونهم ؟ .

كما أن القرآن الكريم اشتمل على دلائل كثـــيرة معجزة يصعب حصرها غير أوجه الإعجـــــاز المتحدى بها ، من ذلك : ما تضمنه من الإخبار عن الأمور الغيبـــية ، ماضية و مستقبلة . وبما فيه من أحكام ، تطبيقها يحقق السعادة في الدارين .كما أنه اشتمل على لفت نظر الإنسان إلى الكون وما فيه ، وإلى الإنسان وتكوينه ، مما يدل دلالة صريحة على أنه من لدن حكيم خبير ، لا تخفى عليه خافية ، وهو على كل شيء قدير .

٢ – إن القرآن الكريم متضمن خلاصة التعاليم الإلهية ومهيمن عليها :

ذلك أنه آخرها وخاتم لها ، وجاء مؤيداً ومصدقاً لما جاء في الكتب السابقة من توحيد الله و عبادته و وجوب طاعته . و جمع كل ما كان في تلك الكتب من الحســـنات و الفضائل . وجاء مهيمناً ورقيباً ، يقر ما فيها من حق ، ويبين ما دخل عليها من تحريف وتغيير ، قال تعـــالى : ((وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَـــٰبَ بِالحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الكِتَـــٰبِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ)) (سورة المائدة ، الآية ٤٨) .

فإن القرآن الكريم جاء بشريعة ناسخة جميع الشرائع العملية الخاصة بالأقوام السابقة ، و أثبت فيها الأحكام النهائية الخالدة الصالحة لكل زمان ومكان ، وهي شريعة عامة للبشر فيها كل ما يلزمهم لسعادتهم في الدارين .

٣ – إن القرآن الكريم محفوظ من النقص أو الزيادة أو التحريف إلى يوم الدين :

إن القرآن الكريم هو الكتاب الرباني الوحيد الذي تعهد الله تعالى بحفظه ، فقال عزَّ و جلَّ : ((إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَـــٰفِظُونَ)) (سورة الحجر ، الآية ٩) . و قال تعالى أيضاً : ((وَ إِنَّهُ لَكِتَـــٰبٌ عَزِيزٌ * لاَ يَأْتِيهِ البَـــٰطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)) (سورة فصلت ، الآيتان ٤١ ، ٤٢) .

٤ – إن القرآن الكريم كتاب للناس كافة :

كما أرسل الله تعالى رسوله محمد ﷺ للناس كافة ، كان الكتاب المنزل عليه للناس كافة ، وليس خاصاً بقوم معينين كما كانت تتنـــزل الكتب السابقة ، فكان حفظه من التحريف ، و صيانته من عبث العابثين ، ليبقى ما فيه حجة الله تعالى على الناس قائمة

حـــتى يرث الله الأرض ومن عليها . وأما الكتب الأخرى فقد كان كل كتاب منها إلى أمة خاصـــة دون سائر الأمم . و إن اتفقت جميعهـــا في أصل الدين ، إلا أن ما نزل فيها من الشرائع و الأحكام كان خاصاً بأزمنة معينة و أقوام معينـــين ، قال تعالى : ((لِكُلٍ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهَاجًا)) (ســـورة المائدة ، ٤٨) . و لذلك لم يتعهد الله تعالى بحفظ أي منها على مدى الأزمان كما هو الحـــال بالنسبة للقرآن الكريم . بل أخبر عزَّ و جلَّ فيه عن التحريف الذي وقع على تلك الكتب .

بعض التحريفات التي أدخلت على الكتب السابقة :

إن مـــا في أيدي أهل الكتاب الآن بما يسمونه التوراة والإنجيل هو بلا شك مما لا تصـــح نسبته كله إلى أنبياء الله تعالى فلا يقال أن التوراة الموجودة هي التي أنزلت على موسى عليه السلام ، ولا أن الأناجيل الموجودة هي الإنجيل المنزل على عيسى عليه السلام فليسا هما اللذان أُمرنا بالإيمان بهما على وجه التفصيل ، و لا يصح الإيمان بشيء مما فيهما على أنه كلام الله تعـــالى ، إلا ما جاء في القرآن الكـــريم منسوباً إليهما . و هما كتابان منسوخان بالقرآن الكريم ، وقد ذكر الله تعالى أن اليهود والنصارى أدخلوا تحريفات باطلة على كتبهم . فقال سبحانه عن التحريف الذي أدخله اليهود على التوراة : ((أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ)) (سورة البقرة ، الآية ٧٥) . وقال تعالى : ((فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْـــنَا قُلُوبَهُمْ قَـــسِيَةً يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ)) (سورة المائدة ، الآية ١٣) .

وأما عن التحريف الذي أدخله النصارى على الإنجيل فقال تعالى : ((وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَـــرَىٰ أَخَذْنَا مِيثَـــٰقَهُمْ فَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ العَدَاوَةَ وَ البَغْضَـــاءَ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَـــٰمَةِ وَ سَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ * يَـــٰأَهْلَ الكِتَـــٰبِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الكِتَـــٰبِ وَ يَعْفُواْ عَنْ كَثِيرٍ)) (سورة المائدة ، الآيتان ١٤ ، ١٥) .

ومن التحريفات التي أدخلها اليهود والنصارى في دينهم ما زعمه اليهود من أن العزير ابن الله ، وما زعمه النصارى أن المسيح ابن الله سبحانه وتعالى عما يصفون ، فقال تعالى

مكذباً مقولتهم : ((وَ قَالَتِ اليَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَ قَالَتِ النَّصَـٰرَىٰ المَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَـٰهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَـٰتَلَهُمُ اللهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ)) (سورة التوبة ، الآية ٣٠) .

ومن التحريف الذي اقترفه النصارى وأخبرنا به الله تعالى في القرآن الكريم ما أدخلوه على حقيقـــة النبوة والألوهية من تأليه جماعة منهم لعيسى ابن مريم عليه السلام ، وقول بعضهم بالتثليث ، فكفرهم الله تعالى فقال : ((لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ)) (سورة المائدة ، الآية ٧٢) . و قال تعـــالى : ((لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلا إِلَـٰهٌ وَ ٰحِدٌ وَإِنْ لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)) (سورة المائدة ، الآية ٧٣) . وحيث أخبر الله تعالى أنهم يحرفون كلامه ، وقد نسوا حظاً مما ذُكِّروا به ، و نسبوا لله تعالى ما يتنزه عنه من الولد ، و ألّهوا معه سواه إلى غير ذلك مما أدخلوه في كتبهم ، فلا تصح معه نسبة هذه الكتب إلى الله تعالى ، ولا يوجد على ظهر الأرض كتاب تصلح نسبته إلى الخالق تبارك وتعالى سوى القرآن الكريم . يدل على هذه الحقيقـــة أدلة حسية ، فضلاً عما أخبر به القرآن الكريم عن التحريف الواقع في الكتب الموجودة ، من هذه الأدلة : –

١) أن الكتب التي نزلت قبل القرآن قد ضاعت نسخها الأصلية ، والكتب التي في أيدي الناس ويزعمون أنها مقدسة ، ليست نسخاً أصلية ، وإنما هي تراجمها .

٢) أن هذه الكتب قد اختلط فيها كلام الله تعالى بكلام الناس : من تفسير من المفسرين وتاريخ من المؤرخين ، وسير الأنبياء وتلاميذهم ، واستنباطات الأحكام من الفقهاء ، فلا يُعرف فيها كلام الله تعالى من كلام البشر .

٣) أن تلك الكتب ليس منها كتاب تصح نسبته إلى الرســـول الذي ينسب إليه ، فليس لأي منها سند تاريخي موثوق ،فالأسفار الموجودة التي يُطلق عليها التوراة ،إنما دُوِّنت بعد موسى عليه السلام بقرون عديدة . وأما الأناجيل فهي منسوبة إلى مؤلفيها ،وقد اختيرت من أناجيل متعددة .

٤) تعدد نُسخها ، وتناقضها فيما بينها مما نقلته من الأقوال والآراء ، مما يدل دلالة قاطعة على تحريفها .

٥) اشتمالها على عقائد فاسدة وتصورات باطلة عن الخالق سبحانه ، وعن رسله الكرام عليهم السلام ، فتجد فيها تشبيه الخالق بالإنسان ، والقدح بالأنبياء بما يمس شرفهم ويتنافى مع عصمتهم .

ولهذا فالواجب على المسلم اعتقاده أن كتب العهدين : العهد القديم والعهد الجديد ، ليس كل ما فيها قد أنزله الله تعالى على رسلـــه ، بل هي مماكتبوه ، فلا يصدق المسلم إلا ما صدقه القرآن الكريم أو السنة المطهرة ، ويكذب ماكذبه القرآن الكريم والسنة المطهرة ، ومما اشتملت عليه من الباطل . ويسكت عما لم يأت تصديقه أو تكذيبه لاحتماله الصدق والكذب . والله أعلم .

وأمـــا القرآن الكريم فيجب الإيمان به وأنه كلام الله الخالص ، وهو الحق ، وأن كل لفظ فيه محفوظ ، ويجب اتباع أمره ، واجتناب نهيه ، وتصديق خبره ، ورفض ما يخالفه . (ياسين ، ١٤١٢هـــ ، ص ٦٦ : ص ٦٨) .

والخلاصة أنه يجب على المؤمنين الإيمان بالكتب السماوية كلها ، وأنها أُنزلت من الله تعالى ، وأن القرآن الكريم هو ناسخ لها ، لذا فوجوب الاتباع مختص بالقرآن الكريم فقط. قـــال تعالى : ((وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِّنْ رَّبِّكُمْ مِّنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ بَغْتَةً وَ أَنْـــتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ)) (سورة الزمر ، الآية ٥٥) . وأحسن ما أنزل من الله تعالى هو القرآن الكريم ، فيكون المعنى واتبعوا القرآن الكريم (الرازي ، ١٤١١هـــ ، ج ٢٧ ، ص ٦) .

و أمـــر عزَّ وجلَّ بتلاوة القرآن الكريم ، و أثاب على قراءته بكل حرف حسنة ، قال تعالى : ((وَرَتِّلِ القُرْءَانَ تَرْتِيلاً)) (سورة المزمل ، الآية ٤) . كما أمر تعـــالى بالاستماع و الإنصات للتلاوة فقال عزَّ و جلَّ : ((وَ إِذَا قُرِئَ القُرْءَانُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَ أَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)) (سورة الأعراف ، الآية ٢٠٤) .

الآثار التربوية الناجمة عن تطبيق مبدأ الإيمان بالكتب :

قال الله تعـــالى في كتابه الكريم : ((وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى القُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ)) . (سورة النمل ، الآية ٦) . أي من عند حكيم في أمره ونهيه ، عليم بالأمور جليها وخفيها . (القاسمي ، ١٤١٨هـــ ، ج ٧ ، ص ٤٨٥) . فيأمر عباده بما فيه صلاحهـــم و فلاحهم وينهاهم عما فيه هلاكهـــم و بوارهم . وفي ذلك الخير كل الخير لهم في الدنيا والآخرة ،

وفيما يلي بعض مظاهر هذا الخير وآثاره : –

١ – هداية البشرية :

وصف الله تعالى القرآن الكريم بالهدى ، يهتدي بهداه الناس ، فقال عزَّ من قال : ((شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ القُرْءَانُ هُدًىٰ لِلنَّاسِ وَ بَيِّنَاتٍ مِنْ الهُدَىٰ وَ الفُرْقَانِ)) (سورة البقرة ، الآية ١٨٥) . وقال تعالى أيضاً : ((إِنَّ هَذَا القُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَم)) (سورة الإسراء ، الآية ٩) . فالقرآن الكريم يربي الإنسان على الحياة المستقيمة و الأخلاق القويمة ، و يضمن له السعادة في الدنيا والآخرة . و يحقق له العلم والهدى والرحمة . و هذا هو ديدن الكتب السماوية كلها كما أخبر الله تعالى : ((وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًىٰ وَ رَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)) (سورة الأعراف ، الآية ٥٢) . والمقصود من الكتاب هنا : جميع الكتب المترلة من لدنه تعالى . فهذه الكتب بيَّن الله تعالى فيها الاعتقادات والأحكام والأمور الأخروية تفصيلاً مبيناً ، على علم منه حتى جاء محكماً قيماً غير ذي عوج ، فيه هدى ودلالة ترشدهم إلى الحق ، وتنجيهم من الضلالة ، ورحمة تنجيهم من العذاب الأليم (القاسمي ، ١٤١٨هـ ، ج ٥ ، ص ٦٦) . وقال الله تعالى : ((فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ)) (سورة طه ، الآية ١٢٣) . قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه : فضمن الله لمن اتبع القرآن ألاَّ يضل في الدنيا و لا يشقى في الآخرة . (القرطبي ، ١٣٧٢هـ ، ج ١ ، ص ٩) . كيف لا يضمن ذلك ؟ والقرآن الكريم منهج عظيم لحياة هادفة شريفة . فهو دستور و نظام شامل متكامل لجميع جوانب الإنسانية ؛ فنجده ينظم حياة الإنسان من الجوانب العقلية ، و العقدية ، و التعبدية ، والأخلاقية ، الاجتماعية ، الاقتصادية ، البيئية، الصحية ، النفسية ، الروحية ، الجسمية ، و السياسية . فنجده يعمل على تقويم كل كبيرة وصغيرة في حياة الإنسان ، حتى حديث النفس للنفس يُهذبه ، فيقول الله تعالى : ((يَـأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ)) (سورة الحجرات ، الآية ١٢) .

فينبغي لمن يريد أن يحيا حياة ناجحة وكريمة ، وآمنة أن يفهم ما جاء في القرآن الكريم و يدرسه و يتدبر معانيه و أحكامه ، و يعمل بها ، و يطبق ما شرع فيه من قوانين و نظم ويهتدي بهداه في كافة جوانب الحياة .

٢ – التفقه في الدين وتعلم الشريعة :

قال الله تعالى في كتابه الكريم : ((وَ مَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَ لِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ)) (سورة التوبة ، الآية ١٢٢) . وقد جمعت هذه الآية مطلبين : التعلم والتعليم ، مما يعمل على توسيع الآفاق الفكرية ، وتثقيف العقل البشري ، خاصة أن طلب العلم فريضة على كل مسلم ، فبلغت الأمة الإسلامية درجة من الحضارة العلمية لم تبلغها آنذاك أمة غيرها . وكانت أستاذة الغرب في اكتشاف وحدة قوانين الكون ، وأهمية التجريب للتأكد من صحة الحقائق العلمية . وفي إيجاد علم التاريخ ، وضوابطه وأسانيده ، . وعلوم اللغة وأوزان الشعر، وفي الطب ، والفلك ، والجبر ، وعلم الضوء . (النحلاوي ، ١٣٩٩ هـ ، ص ٥٩) . وكانت آيات القرآن الكريم المعجزة هي المنبع الثري الذي انبثقت منه كل هذه العلوم وغيرها كثير ، ومازال أهل العلم والاختصاص يتأملون ويتدبرون في الآيات القرآنية دراسة وتنقيباً للاكتشاف المزيد من العلوم .

٣ – تقدير العلماء :

لقد كرم الله تعالى العلماء و أنزلهم مرتبة جليلة ، حين قرنهم في التوحيد بالملائكة المشرفين ، وبعطفهم على اسمه عزَّ وجلَّ ، في قوله تعالى : ((شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ وَ الْمَلَـٰئِكَةُ وَ أُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)) (سورة آل عمران ، الآية ١٨) . (القاسمي ، ١٤١٨هـ ، ج ٢ ، ص ٢٩٥) .

و قد امتدح الله تعالى العلم و أهله ، وميزهم عن غيرهم فقال عزَّ و جلَّ : ((قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ)) (سورة الزمر ، الآية ٩) . بل رفعهم درجات فوق غيرهم ، وكلٌ قدر علمه ، قال الله تعالى : ((يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ)) (سورة المجادلة ، الآية ١١) . يرفعهم الله تعالى درجات دنيوية وأخروية (القاسمي ، ١٤١٨هـ ، ج٩ ، ١٧١) . ويتفاوت رفع الدرجات بتفاوت قدر أهل العلم في علمهم ، قال الله تعالى : ((نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّنْ نَّشَاءُ وَ فَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ)) (سورة يوسف ، الآية ٧٦) .

وقد ضرب الله تعالى مثلاً بيَّن فيه الفرق بين العالم والجاهل في قوله : ((أَفَمَن يَعْلَمُ

أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَـٰبِ)) (سورة الرعد ، الآية ١٩) . ففي الآيـة ذم لغير المتعلم بوصفه بالأعمى الذي لا يرى طريق الهداية والرشاد ، ومدح للمتعلم لكونه مبصراً ذي بصـيرة . وأعلى درجات أهل العلم هم العلمـاء وقد امتدحهم الله تعالى فوصفهم أنهم أعلم الناس بقدره ، و أخشاهم له ، قال تعالى : ((إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَـٰؤُا إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ)) (سورة فاطر ، الآية ٢٨) .

٤ – النظرة الواقعية للفطرة البشرية :

لقد راعى القرآن الكريم الفطرة البشرية التي أودعها الله الخالق في خلقه ، من حاجتهم إلى الطعام والشراب ، وحبهم للزينة والحرية ،واتصافهم بصفات النقص البشرية.

فعن الحاجة للطعام والشراب وحب الزينة قال تعالى : ((يَـٰبَنِي ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَ اشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ * قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَـادِهِ وَ الطَّيِّبَـٰتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ)) (سورة الأعراف ، الآيتان :٣١،٣٢) .

وعن حرية الاختيار قال تعـالى : ((وَهَدَيْنَـٰهُ النَّجْدَيْنِ)) (سورة البلد ، الآية ١٠) . قـد جعل الله أمام الإنسان طريقين ، طريق الهداية و طريق الغواية ، فأيهما اختار سلك . فلا إكراه عليه قال تعـالى : ((لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالعُرْوَةِ الوُثْقَىٰ لاَ انْفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)) . (سورة البقرة ، الآية ٢٥٦) .

و عن مراعاته و تسامحه عن صفات النقص البشرية ، كالخطأ و النسيان ، والتقصير و الغرور ، فإن «من إنسانيتنا النسيان والغفلة والقصور فلا عصمة من ذنوب تقترفها فتندم علـيها وتتوب إلى الله تعـالى منها ، ونحن البشر جميعاً نخطئ وننسى ونغفل ، وذلك من فطرة البشرية فينا » (عبد الرحمن ، ١٣٩٣هـ ، ص٤٨) . وسبحان من لا تأخذه سنة ولا نوم ، لذا فإن الله تعـالى رفع عن أمته الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه ، وعلمهم الدعاء والاستغفار حين حدوث شيء من ذلك ، قال تعالى : ((وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ)) (سورة الأحزاب ، الآية ٥) . وتفسيرها : ليس عليكم إثم فيما فعلتموه مخطئين بالسهو أو النسيان أو سبق اللسان . (القاسمي ، ١٤١٨هـ ، ج ٨ ، ص ٥١) . وقال

تعالى : ((فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)) (سورة الأنعام ،الآية١٤٥)
و قال تعالى : ((رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَ لاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَ لاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَ اعْفُ عَنَّا وَ اغْفِرْ لَنَا أَنْتَ مَوْلَـٰنَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الكَـٰفِرِينَ)) (سورة البقرة ، الآية ٢٨٦) .

٥ – تكريم الإنسان :

لقد كرم الله تعالى الإنسان وفضله على كثير من مخلوقاته ، فقال عزَّ وجلَّ :
((وَ لَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ وَ حَمَلْنَـٰهُمْ فِي البَرِّ وَ البَحْرِ وَ رَزَقْنَـٰهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَـٰتِ وَ فَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً)) (سورة الإسراء ، الآية ٧٠) .

وأول مظاهر هذا التكريم في قوله تعالى : ((وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰئِكَةِ اسْجُدُوا لآَدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنْ الكَـٰفِرِينَ)) (سورة البقرة ، الآية ٣٤) . إنه لتكريم في أعلى صوره ، لما وهبه الله تعالى للإنسان من الأسرار ما يرفعه على الملائكة .. لقد وهبه سر المعرفة ، كما وهبه الإرادة المستقلة التي تختار الطريق ، و قدرته على تحكيم إرادته في شق طريقه [رغم وعورته فهو محفوف بالشهوات ، وشياطين الإنس والجن] إن هذا كله بعض أسرار تكريمه . (قطب ، ١٤٠٥هـ ، ج١، ص٥٧) .

و من قصة آدم عليه السلام نجد أن أجلَّ تكريم كرم الله تعالى به الإنسان هو أنه سبحانه منحه أدوات التعلم ، و التعرف على حقائق الأمور ، و صفات الأشياء و أسمائها و خصائصها ، وذلك ليتابع في حياته بحثه العلمي السليم ليكتشف أسرار هذا الكون ، وحتى يحسن الانتفاع بما بث الله تعالى له في هذا الكون من قوى وخيرات . أما الذين يعطلون أدوات المعرفة التي وهبهم الله إياها ، أو يستخدمونها في حدود ظواهر الحياة الدنيا فقط ، ثم لا ينتقلون من ذلك إلى معرفة خالقهم ولا يؤمنون به عزَّ وجلَّ ، فأحرى بهم أن يقال عنهم صم و بكم و عمي فهم لا يعقلون ، وذلك لأنهم عطلوا هذه الأدوات التي منحهم الله إياها عما خلقت من أجله ، فهم وفاقدوها سواء ، وأولئك شر الدواب عند الله . (حبنكة ، د.ت ، ص ٢٨٩) .

ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أن الإنسان مآله الخسران والبوار إلا المؤمنين ، قال تعالى :
((إِنَّ الإِنْسَـٰنَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ وَ تَوَاصَوْا بِالْحَقِّ

وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ)) (سورة العصر ، الآيتان : ٢ ، ٣) . و في قوله تعالى : ((لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ * إِلاَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ)) (سورة التين ، الآيات من ٣:٦) .

٦ – احترام عقل الإنسان :

إن من مظاهر احترام عقل الإنسان في القرآن الكريم : التنويه بالعقل والتعويل عليه في أمر العقيدة وأمر التبعة والتكليف ، ولا تأتي الإشارة إليه عارضة ولا مقتضبة في سياق الآية ، بل هي تأتي في كل موضع من مواضعها مؤكدة جازمة باللفظ والدلالة ، وتتكرر في كل معرض من معارض الأمر والنهي التي يحث فيها المؤمن على تحكيم عقله ، أو يلام فيها المنكر على إهمال عقله وقبول التقليد الأعمى ، ولا يأتي تكرار الإشارة إلى العقل بمعنى واحد من معانيه التي يشرحها علماء النفس ، بل هي تشمل وظائف الإنسان العقلية على اختلاف أعمالها وخصائصها ، وتتعمد التفرقة بين هذه الوظائف والخصائص ومناسباته (العقاد ، د.ت ، ص ٥) .

ومن الآيات التي تبين إشادة القرآن الكريم بالعقل والثقة فيه ، قوله تعالى : ((ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَ عِلْمًا)) (سورة يوسف ، الآية ٢١) . أي فقهاً و علماً . و قوله تعالى : ((وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ)) (سورة لقمان ، الآية ١٢) . أي الفقه و العقل و إصابة القول . وقوله تعالى : ((فَاتَّقُوا اللهَ يَاأُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)) (سورة المائدة ، الآية ١٠٠) وقوله : ((إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ)) (سورة ق الآية ٣٧) . أي لمن كان له عقل . و قوله : ((كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)) (سورة الروم ، الآية ٢٨) . وقوله : ((لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا)) (سورة يس ، الآية ٧٠) . أي عاقلاً . ثم إن القرآن الكريم يحض على إعمال العقل والفكر في مواضع كثيرة باستعمال ألفاظ مختلفة كقول : أفلا يعقلون ؟ ، أفلا يتدبرون؟ ، أفلا يتفكرون ؟ .

وينعي القرآن الكريم على الكفار أنهم إذا دُعوا للإيمان احتجوا بأنهم لا يستطيعون ذلك لأن آباءهم لم يفعلوه ، فهم لا يستهدون بهم و يسيرون على منوالهم ، فيتساءل في إنكار وتعجب : ((وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَ لاَ يَهْتَدُونَ)) . (سورة البقرة ، الآية ١٧٠) . و في الآية

استنكار واضح للتقليد دون تحكيم العقل والتفكير .

٧ – تربية العواطف الربانية :

يعمل القرآن الكريم على تربية العواطف الربانية من خوف وخشوع ، ورغبة ورهبة ، وترقيق للقلب والمشاعر ، ولا يزال دائماً يوقظ هذه العواطف ويصف آثارها عند من يتلو القرآن الكريم حق تلاوته (النحلاوي ، ١٣٩٩هـ ، ص٨٥) . قال الله تعالى : ((اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَّشَاءُ)) (سورة الزمر ، الآية ٢٣) . وقوله : ((وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ)) (سورة الرحمن ، الآية ٤٦) .

وكذلك يربي عاطفة محبة الله تعالى فيقول : ((وَ مِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا للهِ)) (سورة البقرة ، الآية ١٦٥) . وقوله تعالى : ((يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَىٰ الكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَ لاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لاَئِمٍ)) (سورة المائدة ، الآية ٥٤) . وقد بيَّن الله تعالى في هذه الآية بعض الآثار العملية لمحبة الله تعالى من تذلل للمؤمنين ، وإظهار للعزة في وجه الكافرين ، والجهاد في سبيل الله.

٨ – تعويد اللسان الفصاحة والبيان :

من المعروف أن القرآن الكريم قمة في الإعجاز اللغوي ، والفصاحة والبيان ، ومن يداوم على تلاوته يومياً ، ويتأمل ويتدبر في ألفاظه ومعانيه وتراكيبه اللغوية وصوره البيانية لاشك أنه يطبع قلب ذلك الإنسان على حسن البيان ، وتقويم ما قد يكون باللسان من اعوجاج ، وما قد يكون بالأسلوب من ركاكة ، فيتعود الإنسان على الفصاحة والبلاغة . قال الله تعالى : ((إِنَّا جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)) (سورة الزخرف الآية ٣) . و قال سبحانه و تعالى : ((قُرْءَاناً عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ)) (سورة الزمر ، الآية ٢٨) .

٩ – حفظ الضروريات الخمس :

يرى جمهور الفقهاء أن الشريعة الإسلامية تدور أحكامها حول حماية خمسة أمور ، هي أمهات لكل الأحكام الفرعية . و يسمونها الضرورات الخمس و هي : –

حفظ الدين ، حفظ النفس ، حفظ المال ، حفظ النسل والأنساب ، حفظ العقل . (الشاطبي ، د.ت ، ج ٢ ، ص ١٠) .

أ) حفظ الدين : إن الدخول في الدين الإسلامي يتم عن اقتناع بالأدلة ، و طواعية من ذات الإنسان ، دون إكراه له ، خاصة إذا لم تفرض السلطة الحاكمة سيطرتها على شعبها و حالت دون اعتناقهم له ، أما إن كان الحكام من هذا النوع فمن الواجب جهادهم ، لإعطاء الحرية للأفراد ، قال الله تعالى : ((فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُم يَنْتَهُونَ)) (سورة التوبة ، الآية ١٢) . وقال تعالى : ((هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ)) (سورة الصف ، الآية ٩) . وقال الله سبحانه و تعالى : ((يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَ يَأْبَىٰ اللهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ)) (سورة التوبة ، الآية ٣٢) .

ب) حفظ النفس : حرم الله تعالى قتل النفس بغير حق ، وأنزل أشد العقوبة بمرتكب ذلك ، قال تعالى : ((وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ)) (سورة الأنعام ، الآية ١٥١) . و قال تعالى : ((وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَ أَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا)) (سورة النساء ، الآية ٩٣) . كما اعتبر الله تعالى قتل نفس واحدة كقتل الناس جميعاً ، قال الله تعالى : ((أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا)) (سورة المائدة ، الآية ٣٢) .

وحرم الله تعالى الانتحار فقال : ((وَ لاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا)) . (سورة النساء ، الآية ٢٩) . وشرع الله تعالى أحكام القتل المتعمد ، والقتل الخطأ ، والديات والقصاص ،كل ذلك كي يكون الفرد حريصاً وحذراً أثناء تصرفه لحظة الحدة والغضب وليبتعد عن التفكير بالثأر أو القتل العمد ، أو أي جريمة من هذا النوع .

وحرم الله تعالى سوء التعامل مع النفس كتكليفها فوق طاقتها فقال عزَّ وجلَّ : ((وَلاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا)) (سورة المؤمنون ، الآية ٦٢) . وحرم تناول ما يؤدي إلى هلاكها كشرب الخمر ، أو المخدرات و نحوها ، و التدخين بأنواعه ، قال تعالى : ((وَ لاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَىٰ التَّهْلُكَةِ)) (سورة البقرة ، الآية ١٩٥) .

ج) حفظ المال : إن الله تعالى أباح للإنسان التعامل بالمال لتوفير حاجياته المباحة له شرعاً ، و حرم عليه الإسراف في ذلك ، و إنفاق المال فيما لا منفعة فيه ، أو إنفاقه في المفاسد والظلم كالمعازف والخمور والبغاء ، والاعتداء على الآخرين ،كما لا يجوز تبديد المال بوضعه بين أيدي السفهاء الذين لا يعرفون قيمته و لا يحفظونه ، قال الله تعالى : ((وَلاَ تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَٰلَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا)) (سورة النساء ، الآية ٥) و عن أموال الأيتام الذين تحت كفالتهم قال تعالى : ((وَابْتَلُوا الْيَتَـٰمَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُمْ مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ وَ لاَ تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَ بِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا)) (سورة النساء ، الآية ٦) . « فاعتبر أموال الأيتام السفهاء ملكاً للأمة ، وفيها قوام شئون الأمة وحياتها الاقتصادية ، فلا يجوز السماح لهم بتبذيرها وتبديدها ، فكيف بوضعها [سواء كان وضعها من باب الترفيه أو الاستثمار أو الإهداء أو الإغاثة] في أيدي الذين يحاربون بها الله تعالى ورسوله والأمة الإسلامية ؟ » (النحلاوي ،١٣٩٩هـ ، ص٦٦) .

وحرم الله تعالى اكتناز الأموال دون أن يُنتفع بها ، وحرم البخل ، وأمر بإيتاء الزكاة لمستحقيها ، والتصدق لمن يحتاجها ، قال تعالى: ((وَفِي أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ)) (سورة الذاريات ، الآية ١٩) .

وحرم سبحانه وتعالى أكل الأموال بالنهب والسرقة ، وبالاحتيال كالتزوير والرشوة ، و نحوها ، قال تعالى : ((وَ لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَٰلَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَـٰطِلِ وَ تُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)) (سورة البقرة ، الآية ١٨٨) .

وقال تعالى : ((يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَٰلَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَـٰطِلِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ)) (سورة النساء ، الآية ٢٩) . وقال تعالى : ((وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَوٰا)) (سورة البقرة ، الآية ٢٧٥) . فأحل الله تعالى كسب الأموال من الوجوه المشروعة ، وحرم كسبها من غيرها .

د) حفظ العقل : أباح الله سبحانه و تعالى أكل الطيبات ، و حرم الخبائث ، و منها المخدرات والخمر وكل ما أضر بالعقل وأتلفه ، قال تعالى: ((كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَـٰتِ وَاعْمَلُوا صَـٰلِحًا)) (سورة المؤمنون ، الآية ٥١) . و قال عزَّ و جلَّ : ((يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَـٰنِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ))

(سورة المائدة ، الآية ٩٠) . وكذلك اتباع الآخرين وتقليدهم دون نقد وتفكير وتحكيم للعقل ، فيه تعطيل للعقل عن القيام بوظائفه ،فأنكر ذلك فقال تعالى : ((وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَ لاَ يَهْتَدُونَ)) (سورة البقرة ، الآية ١٧٠) . و وصف الذين لا يستعملون عقولهم في الخير و المعرفة بالصم والبكم وأنهم شر الدواب فقال تعالى : ((إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ)) (سورة الأنفال ، الآية ٢٢) .

هـ) حفظ العرض و النسل و الأنساب : أباح الله تعالى التزاوج بين الجنسين ، فقال عزَّ وجلَّ : ((فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَ ثُلَٰثَ وَ رُبَٰعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ)) (سورة النساء ، الآية ٣) . وحرم الزنا ودواعيه ، و شدد في العقوبة عليه وما أوجزه الكتاب الكريم فصلته السنة الشريفة ، قال الله تعالى : ((وَ لاَ تَقْرَبُوا الْزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَٰحِشَةً وَ سَاءَ سَبِيلاً)) (سورة الإسراء ، الآية ٣٢) .

١٠- إثراء التربية بأساليب تربوية قيمة :

إن كتاب الله تعالى يحوي أساليب تربوية عظيمة قيمة ، كالقصة ، والحوار ، والمثَل ، والقدوة ، والعبرة والعظة ، والثواب والعقاب ، وغيرها . و جميعها أثبتت عظمة فعاليتها في تغيير النفوس الكافرة بعد إسلامها ، و تبدُّلها من حالٍ إلى حال ، و علوُّها من الحضيض إلى القمة . و قد قصَّ القرآن الكريم قصصاً كثيرة ، منها قصص الرسل: يوسف يعقوب ، موسى ، عيسى وغيرهم عليهم السلام ، وقصص بعض الصالحين و الصالحات قال تعالى : ((نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْءَانَ)) (سورة يوسف ، الآية ٣) . ثم يأمر الله تعالى نبيه محمد ﷺ أن يستعمل القصة في تربية الأمة ، و هذا الأمر أمر لجميع المربين على اختلاف فئاتهم ، فقال الله تعالى: ((فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)) (سورة الأعراف ، الآية ١٧٦) .

و مما ورد في القرآن الكريم عن أسلوب التربية بالحوار ، الحوار بين الرسل عليهم السلام وأقوامهم ، والحوار بين المؤمنين والكافرين ، في الدنيا والآخرة ، والحوار بين الله تعالى وبعض ملائكته ، وغير ذلك ، و من الآيات التي تسرد بعضاً مما دار من حوار قوله تعالى : ((أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ الَّذِي حَاجَّ إِبْرَٰهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَٰهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّيَ

الَّذي يُحْيِّ وَ يُميتُ قَالَ أَنَا أُحْيِّ وَ أُميتُ قَالَ إِبْرَاهيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتي بِالشَّمْسِ مِنَ المَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ المَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذي كَفَرَ وَ اللهُ لاَ يَهْدي الْقَوْمَ الظَّالِمينَ)) (سورة البقرة ، الآية ٢٥٨) ويُعرف الحوار بين خصمين بأسلوب المناظرة بغية إقناع أحدهما الآخر برأيه .

و يعلم الله تعالى رسوله محمداً ﷺ أن يقيم حواراً لإقناع أمته في مواضع كثيرة من القرآن الكريم ، منها قول الله تعالى : ((قُلْ لِّمَنِ الأَرْضُ وَ مَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ للهِ قُلْ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَنْ رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ * سَيَقُولُونَ للهِ قُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ * قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلاَ يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ للهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ)) (سورة المؤمنون ، الآيات من ٨٤:٨٩) .

وقد ضرب الله تعالى الأمثال في القرآن الكريم بغية إقناع المتعلمين وتربيتهم ، وأحد هذه الأمثال في قوله تعالى : ((مَثَلُ الَّذينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَ اللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَ اللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)) (سورة البقرة ، الآية ٢٦١) .

أما العظة و العبرة فالقرآن الكريم كله عبر و عظات ، بدءًا من سورة الفاتحة وانتهاءً بسورة الناس ، و العبر والعظات تكمن في قصص الأقوام السابقين وما تعرضوا له من العذاب الأليم في الدنيا ، والآخرة . وتحصل العبرة أيضاً بالتفكر في مخلوقات الله تعالى ونعمه ، و بما تجري من أحداث تاريخية يقتص الله فيها من كل متكبر جبار ، و من هذه العظات قول الله تعالى : ((وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ* ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ تُبْعَثُونَ *وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الخَلْقِ غَافِلِينَ*وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ وَ إِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ * فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَّخِيلٍ وَ أَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَ مِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلآكِلِينَ * وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُمْ مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَ مِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَعَلَيْهَا وَعَلَىٰ الفُلْكِ تُحْمَلُونَ)) (سورة المؤمنون ، الآيات من ١٢:٢٢) .

وفي ذكر ثواب المؤمنين في الدنيا ونعيمهم في الجنة ترغيب للناس على اعتناق الإسلام وعلى التحلي بأخلاقه الحميدة ، قال تعالى : ((أُولَـٰئِكَ هُمُ الوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ)) (سورة المؤمنون ، الآيتان ١٠،١١) . وفي ذكر عذاب الآخرة وما فيها من أهوال ترهيب للعصاة من المؤمنين وللكافرين ، قال تعالى : ((حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْئَرُونَ * لاَتَجْئَرُوا اليَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لاَ تُنْصَرُونَ)) (سورة المؤمنون، الآيتان ٦٤ ، ٦٥) . وقال تعالى أيضاً : ((وَ مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُـهُ فَأُولَـٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَـهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ * تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَـٰلِحُونَ * أَلَمْ تَكُنْ ءَايَـٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ * قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ * رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَـٰلِمُونَ * قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَ لاَ تُكَلِّمُونَ)) (سورة المؤمنون ، الآيات ١٠٣:١٠٨) .

١١- المساواة بين الرجل والمرأة في التكاليف الشرعية والثواب والعقاب :

إن القـرآن الكريم لم يفرق بين الرجل والمرأة في التكاليف الشرعية حيث أمر النسـاء بما أمر به الرجال ، ونهى النساء عما نهى عنه الرجال . وفي هذا دليل قطعي على أن المرأة أهل للعبادة ، وأهل للتكليف الشرعي ، وأنها صاحبة إرادة وقوى ومدارك عقلية و نفسية و روحية سوية ، تستطيع استخدامها في تطبيق ما أمر به الله تعالى والانتهاء عما نهـى عنه ، وهذا تكريم عظيم للمرأة في ذات الوقت ، وينبغي أن يتكاتف الرجل والمرأة عـلى تطبيق الشرع الإسلامي في سائر حياتهم ، بالكيفية التي يرضى الله تعالى عنها . قال الله تعالى : ((وَ المُؤْمِنُونَ وَ المُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَ يُطِيعُونَ اللهَ وَ رَسُولَهُ أُولَـٰئِكَ سَيَرْحَمَهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)) (سورة التوبة ، الآية ٧١) .

ومـن كرم الله عزَّ وجلَّ أن ساوى بين الرجل والمرأة في الثواب على أداء التكاليف الشرعية ، و من الآيـات الدالة على هذه المساواة ، قول الله تعالى : ((وَعَدَ اللهُ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّـٰتِ عَدْنٍ وَ رِضْوَانٌ مِّنَ اللهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ)) (سورة التوبة ، الآية ٧٢) .

وقال تعالى : ((إِنَّ المُصَّدِّقِينَ وَالمُصَّدِّقَـٰتِ وَ أَقْرَضُوا اللهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَـٰعَفُ لَهُمْ

وَ لَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ)) (سورة الحديد ، الآية ١٨) . وفي موضع عظيم للمساواة يقول تعالى : ((إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَ الْمُسْلِمَاتِ وَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ وَ الْقَانِتِينَ وَ الْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَ الصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَ الْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَ الذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا)) (سورة الأحزاب ، الآية ٣٥) . فأخبر الله تعالى أن من يتصف بهذه الصفات من الرجال و النساء جميعهم متساوون بلا استثناء في الثواب ، بغفران ذنوبه ، والأجر العظيم في جنات النعيم .

وقال الله تعالى : ((فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ)) (آل عمران ، الآية ١٩٥) . وهناك آيات أخرى دالة على المساواة في الثواب بين الرجل والمرأة ،و يُفضل الاكتفاء بما ذُكِرَ .

أما المساواة بين الرجل والمرأة في العقاب ففي قول الله تعالى : ((وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَ الْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا)) (سورة الفتح ، الآية ٦) .

و قوله تعالى : ((الزَّانِيَةُ وَ الزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَ لاَ تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَ الْيَوْمِ الآخِرِ وَ لْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ)) (سورة النور، الآية ٢) . و قال تعالى : ((وَ السَّارِقُ وَ السَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللهِ وَ اللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)) (سورة المائدة ، الآية ٣٨) . والواضح من الآيات مساواة المرأة والرجل في العقاب على المعاصي التي يرتكبونها .

وحين يستثني الله تعالى الضعفاء من العقاب فإنه يساوي أيضاً بين الرجل والمرأة،فيقول تعالى : ((إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَ الْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً * فَأُولَئِكَ عَسَى اللهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللهُ عَفُوًّا غَفُورًا)) (سورة النساء ، الآيتان ٩٨ ، ٩٩) . وكما أمر الله تعالى رسوله محمداً ﷺ بالاستغفار للرجال أمره أيضاً بالاستغفار للنساء ، فقال سبحانه وتعالى : ((وَ اسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَ اللهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَ مَثْوَاكُمْ)) (سورة محمد ، الآية ١٩) .

١٢- ضبط النواحي الدينية والخلقية والاجتماعية :

إن من أهم عوامل ضبط الناحية الدينية أن الله تعالى أمر الناس بعبادته وفق ما جاء في كتابه الكريم وسنة رسوله محمد ﷺ فقال تعالى : ((وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ)) (سورة الزمر ، الآية ٥٥) . وقال تعالى : ((وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)) (سورة الأنعام ، الآية ١٥٥) . وأمر سبحانه وتعالى باتباع صراطه المستقيم وعدم التفرق في السبل : ((وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)) . (سورة الأنعام ، الآية ١٥٣) . وإفراد الله تعالى ذاته في الألوهية والعبودية نوع من الضبط الديني ، قال تعالى : ((مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَ مَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَ لَعَلاَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ)) (سورة المؤمنون ، الآية ٩١) .

ونهى الله تعالى عن اتباع الهوى ، وأخبر أن اتباع الهوى يؤدي إلى الضياع والندامة يوم لا ينفع الندم (القاسمي ، ١٤١٨هـ ، ج٧ ، ص ٢٩) . قال تعالى : ((وَ لاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا)) (سورة الكهف ، الآية ٢٨) .

ومن حكمة الله تعالى جعل التكليف قدر استطاعة المُكلَّف وأكدَّ هذا في أكثر من موضع في كتابه الكريم ، فقال تعالى : ((وَلاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالحَقِّ وَ هُمْ لاَ يُظْلَمُونَ)) (سورة المؤمنون ، الآية ٦٢) . مراعياً في ذلك الفطرة البشرية ، و الفروق الفردية بين البشر ، وأنكر على من يكلف نفسه فوق طاقتها ، و يخالف الفطرة فقال تعالى : ((وَ رَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ)) (سورة الحديد ، الآية ٢٧) .

أما عن ضبط الناحية الخلقية فلقد أقرَّ القرآن الكريم الأخلاق الحميدة ، و أنكر الأخلاق السيئة وذمَّها وذمَّ صاحبها وتوعده بالعقاب الأليم ، قال الله تعالى:((إِنَّمَا جَزَاؤُا الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنْ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ)) (سورة المائدة ، الآية ٣٣) . و قال تعالى : ((وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَ يَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَ لَهُمْ سُوءُ الدَّارِ)) (سورة الرعد ، الآية ٢٥) .

و ينهى الله تعالى عن اتباع الشيطان فقال : ((وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَٰتِ الشَّيْطَـٰنِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَىٰ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ)) (سورة البقرة ، الآيتان ١٦٨،١٦٩) . وينهى عن الخلق الذميم فقال تعالى : ((يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهِنَّ وَلاَ تُلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَـٰبِ بِئْسَ الاِسْمُ الفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَـٰنِ وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ الظَّـٰلِمُونَ * يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَ لاَ تَجَسَّسُوا وَ لاَ يَغْتَبْ بَّعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَ اتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ)) (سورة الحجرات ، الآيتان ١١ ، ١٢) .

ويأمر الله تعالى ألا يقول المؤمن إلا الكلام الطيب ، ولا يعمل إلا العمل الصالح فهو الذي يقبله : ((إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالعَمَلُ الصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُ)) (سورة فاطر ، الآية ١٠) . و قال تعالى : ((كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَـٰتِ وَاعْمَلُوا صَـٰلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ)) (سورة المؤمنون ، الآية ٥١) . و يأمر الله تعالى بالعدل و الصبر ، والعفو وكظم الغيظ ، و الإحسان إلى الناس ، و مقابلة السيئة بالحسنة ، ويأمر بأداء الأمانة إلى أهلها ... ويكفي أن الله تعالى أمر باقتداء رسوله محمد ﷺ في كل أموره ، وقد امتدح خلقه فقال عزَّ و جلَّ : ((وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ)) (سورة القلم ، الآية ٤) .

وحرص القرآن الكريم على ضبط الناحية الاجتماعية ، فحرم قذف الآخرين بصفة عامة ، وحرم قذف النساء المحصنات ظلماً وزوراً بصفة خاصة ، حفاظاً على تماسك البنية الاجتماعية ، و ضاعف عقاب القاذف دون شهود أربعة ، فجعل عقابه بدنياً و نفسياً ، فقال تعالى: ((وَالَّذِينَ يَرْمُونَ المُحْصَنَـٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَـٰنِينَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَـٰدَةً أَبَدًا وَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ الفَـٰسِقُونَ)) (سورة النور ، الآية ٤) .

و حرص الله تعالى على تكوين الأسر الشرعية ، و الأبناء من خلال هذه العلاقات الشرعية فقال تعالى : ((فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَ ثُلَـٰثَ وَ رُبَـٰعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلاَّ تَعُولُوا)) (سورة النساء ، الآية ٣) . فالله تعالى أوجب إقامة العلاقات الشرعية من خلال رابطة الزواج الشرعي ، بواحدة ، واثنتين ، وثلاث ، وأربع ، وحرص على المودة والمحبة بينهم ، فشرط العدل

بينهن لانتفاء الشقاق والبغضاء بينهن،فمن لم يستطع العدل فالاكتفاء بواحدة هو الأفضل. و لضمـــان دوام العشرة بين الزوجين ليعيش في كنفهما الأولاد ، أوجد الله تعـــالى بين الزوجين المودة والألفة ، قال تعـــالى : ((وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَّوَدَةً وَرَحْمَةً)) (سورة الروم ، الآية ٢١) . وزيادة في تقوية أواصر المجتمع ، أمر بصلة الرحم : ((وَ اتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ)) (سورة النساء ، الآية ١) . وأمر بالإحسان إلى الوالدين وذوي القربى فقال: ((وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُلْ لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا)) (سورة الإسراء ، الآيتان ٢٣ ، ٢٤) . وعن ذي القربى قال تعالى : ((إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَـٰنِ وَإِيْتَاءِ ذِي القُرْبَىٰ وَ يَنْهَىٰ عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)) (سورة النحل ، الآية ٩٠) .

كمـــا أمر بالتأدب بالآداب الاجتماعية كالتعاون ، و التناصح ، و حسن التعامل بين البعض ، والاستئذان قبل دخول بيوت الآخرين ، و اجتناب المنكرات الاجتماعية كالغيبة و النميمة والتنابز بالألقاب السيئة ، والسخرية بالآخرين ، و أمر بالتآخي في ظل الإيمان ، والإصلاح بين المتخاصمـــين فقال تعـــالى : ((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَ اتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)) (سورة الحجرات ، الآية ١٠) . و قد بيَّن الله تعالى الحدود ، و أمر بإقامتها على من يتعدى حدود الله و ينتهك محارمه ، كل ذلك من أجل ضبط جميع نواحي الحياة الدينية والخلقية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

هذه بعض الآثار التربويـــة التي نجمت عن تطبيق مبدأ الإيمان بالكتب المنزلة من الله تعالى . وسيليه – بعون الله وتوفيقه – مبدأ الإيمان بالرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام ، وآثاره التربوية الناجمة من تطبيقه .

مبدأ الإيمان بالرســـل

ذكر الله تعالى في سورة " المؤمنون " أخبار بعض من أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام : نوح وهود وموسى وعيسى عليهم السلام ، وجميعهم يدعون الناس إلى الإيمان بالله الواحد القهار ، وحده لا شريك له ، فآمن بكل رســـول القليل من قومه ، وكفر به الكثير ، ونجى الله تعالى المؤمنين وعذب المكذبين . قال عز وجل : ((ثُمَّ أَرْسَلْنا رُسُلَنا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضاً وَ جَعَلْنَـــٰهُم أَحَادِيثَ فَبُعْداً لِقَومٍ لاَ يُؤْمِنُونَ)) (سورة المؤمنون ، الآية ٤٤) .

معنى الرسول في اللغة :

الرسول في اللغة معناه : الذي يتابع أخبار الذي بعثه ، و محمد رسول الله : أي محمد مُتابِعٌ للإخبار عن الله عز و جل .

و سمي الرسول رسولاً لأنه ذو رسالة . و الرسول مفرد ، و الجمع رسل .

(ابن منظور ، ١٣٠٠هـــ ، ج١١، ص ٢٨٤) .

معنى الرسول اصطلاحاً :

الرسول هو الذي أوحى الله تعالى إليه بشرع وأمره بتبليغه . (ابن أبي العز ، ١٣٩٩هـــ ، ص ١٦٧) .

ويجـــب الإيمان بالرسل جميعاً ، أي التصديق الجازم بأن الله تعـــالى بعث في كل أمة رسولاً يدعوهم إلى عبادته وحده لا شريك له ، و الكفر بما يُعبد من دونه . و أن جميعهم صادقون كرام برررة،هداةٌ مهتدون،وأنهم بلَّغواجميع ما أرسلهم الله به لم يكتموا و لم يُغيِّروا.

الصلة بين الإيمان بالله والإيمان بالرسل :

إن الإيمان بالرسل جميعاً وثيق الصلة بالإيمان بالله تعالى ، فمن يكفر بالرسل أو ببعضهم فقد كفر بالله ، قال تعالى : ((إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللهِ وَ رُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَ نَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً أُوْلَـــٰئِكَ هُمُ الكَـــٰفِرُونَ حَقّاً وَ أَعْتَدْنَا لِلكَـــٰفِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً)) . (سورة النساء ، الآيتان :

١٥٠ ، ١٥١) . فقد نصت الآية الكريمة على « أن التفريق بين الله تعالى و رسله كفر و إنما كان كفراً لأن الله فرض على الناس أن يعبدوه بما شرعه على ألسنة رسله ، فإذا جحدوا الرسل ردُّوا عليهم شرائعهم ، و لم يقبلوها منهم ، فكانوا ممتنعين من التزام العبودية والطاعة التي أمروا بالتزامها ، وكذلك التفريق بين رسله في الإيمان بهم كفر » . (القرطبي ، ١٣٧٢هـ ، ج ٦ ، ص٥) . فيجب الإيمان بالرسل جميعاً دون تفريق بينهم وهذا ما كان عليه رسول الله ﷺ والسلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم ، فقد قال تعالى في محكم كتابه : ((ءَامَنَ الرسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَّبِه وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌ ءَامَنَ بِاللهِ وَ مَلَـٰئِكَتِه وَكُتُبِه وَرُسُلِه لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُّسُلِه وَ قَالُوا سَمِعْنا وَ أَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنا وَإِلَيْكَ المَصِير)) (سورة البقرة ، الآية ٢٨٥) .

والإيمان بالرسل أحد أركان الإيمان الستة التي ذكرها محمد ﷺ في جوابه لسؤال جبريل عليه السلام عن الإيمان ، فقال ﷺ :{ أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره } (النووي ، ١٤١١هـ ، ج١، كتاب الإيمان ، باب١ : بيان الإيمان والإسلام والإحسان ، ص ١٥٧، برقم : ٨١) .

عدد الرسل :

وقد أخبرنا رسول الله ﷺ بعدد الرسل الذين أرسلهم الله تعالى ، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ، كم المرسلون ؟ قال ﷺ : { ثلاثمائة و بضعة عشر جماً غفيراً } . و في رواية : { ثلاثمائة و خمسة عشر جماً غفيراً }. (ابن حنبل ، ١٤١٣هـ ، ج ٥ ، ص ٢١١ ، برقم : ٢١٦٠١) .

وقد ذكر الله تعالى في كتابه الكريم خمسة و عشرون نبياً و رسولاً ، فذكر في مواضع متفرقة آدم وهوداً وصالحاً وشعيباً وإسماعيل وإدريس وذا الكفل ومحمد عليهم السلام . قال تعالى ((إِنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ..)) (سورة آل عمران ، الآية٣٣) . وقال : ((وَ إِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً)) (سورة هود ، الآية٥٠) . ((وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً)) (سورة هود ، الآية ٦١) . ((وَ إِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً)) (سورة هود ، الآية ٨٤) . ((وَ إِسْمَـٰعِيلَ وَ إِدْرِيسَ وَذَا الكِفْلِ كُلٌ مِنْ الصَّـٰبِرِينَ)) . (سورة الأنبياء ، الآية ٨٥) . وقوله تعالى : ((مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ..)) (سورة الفتح ، الآية ٢٩) .

وذكر ثمانية عشر منهم في موضع واحد في قوله عزَّ وجلَّ : ((وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَـٰهَا إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّنْ نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَـٰقَ وَ يَعْقُـوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَ سُلَيْمَـٰنَ وَ أَيُّوبَ وَ يُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَ زَكَرِيَّا وَ يَحْيَ وَ عِيسَىٰ وَ إِلْيَاسَ كُلٌّ مِنْ الصَّـٰلِحِينَ * وَ إِسْمَـٰعِيلَ وَ الْيَسَعَ وَ يُونُسَ وَلُوطاً وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَىٰ الْعَـٰلَمِينَ)) (سورة الأنعام ، الآيات ٨٣ : ٨٦) . (الأشقر ، ١٤٠٥هـ ، ص ١٨) .

أما في سورة " المؤمنون " موضوع الدراسة فقد ذُكرت خمسة رسل ، في قوله تعالى : ((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَـٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَالَكُمْ مِنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ)) (سورة المؤمنون ، الآية ٢٣) . وفي قوله تعالى : ((فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ مَالَكُمْ مِنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ)) (سـورة المؤمنون ، الآية ٣٢) . قال الإمام فخر الدين الرازي يرحمه الله تعالى في تفسيره : أن ابن عباس رضي الله عنهما وأكثر المفسرون قالوا : هي قصة هود عليه السلام ، واحتجوا بحكاية الله تعالى قول هود عليه السلام ((وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَـاءَ مِنْ بَعْدِ قَـوْمِ نُوحٍ)) (سورة الأعراف ، الآية ٦٩) ، ومجيء قصة هود عقيب قصة نوح في سورة الأعراف وسورة هود وسورة الشعراء . وقال بعضهم : المراد بهم صالح عليه السلام وثمود ، لأن قومه الذين كذبوه هم الذين هلكوا بالصيحة . (فخر الرازي ، ١٤١١هـ ، ج ٢٣ ، ص ٨٥) . و زاد القرطبي يرحمه الله تعالى فقال : وممن أخـذ بالصيحة أيضاً أصحاب مدين قوم شعيب عليه السلام فلا يبعد أن يكونوا هم والله أعلم . (القرطبي ، ١٣٧٢هـ ، ج ١٢ ، ص ١٢١) .

وذُكر موسى وأخوه هارون عليهما السلام في قولـه تعالى : ((ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَ أَخَاهُ هَـٰرُونَ بِآيَـٰتِنَا وَ سُلْطَـٰنٍ مُبِينٍ)) (سورة المؤمنون ، الآية ٤٥) .

وذكر عيسى عليه السلام في قوله تعالى : ((وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ ءَايَةً ..)) (سورة المؤمنون ، الآية ٥٠) . وقد ذكرت قصص الخمسة وعشرين رسولاً في القرآن الكريم حيناً مجملـة وحيناً مفصلـة . و بقية الرسل لم يقصهم الله تعالى علينا لقوله : ((وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ)) (سورة النساء ، الآية ١٦٤) . وقال تعالى: ((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّنْ لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ)) .

(سورة غافر ، الآية ٧٨) . « و بناءً على هذه الآيـــة يتبين أن كل من ذُكِرَ في القرآن من الأنبياء فهو رسول » (العثيمين ، ١٤١٤هـــ ، ج١ ، ص ٤٢) .

أولوا العزم من الرسل :

قال الله تعـــالى لرسوله ﷺ : ((فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ)) (سورة الأحقاف ، الآية ٣٥) . وأولوا العزم : أي أرباب الثبات والحزم وشدة الصبر .

واختلف في عدد أولي العزم من الرسل فمنهم من قال أربعة ومنهم من قال خمسة ، وقـــيل ستة وقيل هم اثنا عشر ، وقيل ثمانية عشر ، والمشهور أنهم خمسة ، قال ابن عباس رضـــي الله عنه : أولوا العزم من الرسل النبي محمد ﷺ ونوح و إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام أي خمسة . (الشوكاني ، ١٣٨٣هـــ ، ج٥ ، ص٢٧) .

خاتم الرسل وعالمية الرسالة :

قال الله تعالى في كتابه العزيز: ((مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِّجالِكُمْ وَلَكِنْ رَّسُولُ اللهِ وَ خَاتَمَ النَّبِيِّـــينَ)) (سورة الأحزاب ، الآية ٤٠) . خاتم النبيـــين أي : لا نبي بعده ﷺ (القرطبي ، ١٣٧٢هـــ ، ج ١٤ ، ص١٩٦) . وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : { مثلي ومثل الأنبيـــاء من قبلي كمثل رجل بنى بنياناً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زوايـــاه ، فجعل الناس يطوفون به و يعجبون له و يقولون هلاَّ وُضِعَت هذه اللبنة . قال : فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين . } (مسلم ، ١٤٢٠هـــ ،كتاب الفضائل ، باب ٧ : ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين ، ص ١٠٠٣ ، برقم : ٢٢٨٦٢٢) .

وأرسل محمد ﷺ إلى الناس كافة من زمن بعثته إلى أن تقوم الساعة . قال تعالى : ((وَمَا أَرْسلنَـــاكَ إِلاَّ كَافَةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ)) (سورة سبأ الآية ٢٨) . وقال أيضاً : ((وَ مَا أَرْسَلنَـــاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلعَـــلَمِينَ)) (سورة الأنبياء ، الآية ١٠٧) . وقال أيضاً : ((قُلْ يَـــأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً)) (سورة الأعراف الآية ١٥٨) . وقال تعالى أيضاً : ((تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلعَـــلَمِينَ نَذِيراً)) (سورة الفرقان ، الآية ١) وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:{فُضِّلتُ على الأنبياء بستٍ : أُعطيتُ جوامع الكلم ونُصِرتُ بالرعب و أُحِلت لي الغنائم و جعلت

لي الأرضُ طهوراً و مسجداً و أُرسلتُ إلى الخلق كافةً و خُتِمَ بي النبييون } . (مسلم ، ١٤٢٠ هـ ،كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، ص ٢٤٦ ، برقم : ٥٢٣٥) .

و دعوته ﷺ بلغت إلى عالم الجن ، و هم مأمورون بالإيمان به ، و اتباعه ، و مجازون على إيمانهم بالجنة والمغفرة . ففي قوله تعالى : ((وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنْ الجِنِّ يَسْتَمِعُونَ القُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ * قَالُوا يَـٰقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَـٰباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الحَقِّ وَ إِلَىٰ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ * يَـٰقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللهِ وَ ءَامِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَ يُجِرْكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * وَمَنْ لاَ يُجِبْ دَاعِيَ اللهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ وَ لَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَـٰئِكَ فِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ)) (سورة الأحقاف ، الآيات ٢٩ : ٣٢) . وقوله عز وجل : ((قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنْ الجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَاناً عَجَباً * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً)) (سورة الجن ، الآيتان ١ ، ٢) . ومن هذه الأدلة العديدة يتضح أن الرسول محمد ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين ودعوته عالمية ، للعالمين : عالم الإنس والجن إلى أن تقوم الساعة .

وجوب الإيمان بالرسول ﷺ ومحبته أكثر من المال والأهل والولد :

قال تعالى : ((فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَ كَلِمَـٰتِهِ وَ اتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)) (سورة الأعراف ، الآية ١٥٨) . وقال الله تعالى : ((يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالكِتَـٰبِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالكِتَـٰبِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلَـٰئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلاً بَعِيداً)) (سورة النساء ، الآية ١٣٦) . ففي الآية أمر للمؤمنين بالإقامة على الإيمان و الثبات عليه . و أمر للكافرين – الذين آمنوا باللات و العزى و الطاغوت – بالإيمان بالله وملائكته وكتبه و رسله و اليوم الآخر و بالرسول محمد ﷺ و بالقرآن الكريم على وجه الخصوص . (القرطبي ١٣٧٢هـ ، ج٥ ، ص٤١٥) .

ولقد أخذ الله تعالى من الأنبياء السابقين العهد والميثاق بأن يؤمنوا ويصدقوا بمحمد ﷺ وينصرونه . قال تعالى : ((وَ إِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَـٰقَ النَّبِيينَ لَمَا ءَاتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ

إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِّنَ الشَّـٰهِدِينَ)) (سورة آل عمران ، الآية٨١) وعلى هذا فالدين الذي جاء به محمد ﷺ ناسخ للأديان السماوية السابقة قال تعالى : ((وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَـٰمِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَ هُوَ فِي الآخِرَةِ مِنْ الخَـٰسِرِينَ)) . (سورة آل عمران ، الآية ٨٥) . وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : { و الذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت و لم يؤمن بالذي أُرسلتُ به إلا كان من أصحاب النار } . (مسلم ، ١٤٢٠هـ ،كتاب الإيمان ، باب٧٠: وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته ، ص١١٥ برقم : ١٥٣٢٤٠) .

و أمر الله عز وجل بطاعة رسوله ﷺ بلفظ " أطيعوا " في ستة وعشرين موضعاً من القرآن الكريم ، أحدها قوله تعالى : ((قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الكَـٰفِرِينَ)) . (سورة آل عمران ، الآية ٣٢) .

ويجب محبة الرسول ﷺ أكثر من محبة الإنسان لنفسه ، وأكثر من محبة الأهل والولد و الناس أجمعين . قال تعالى : ((قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَ أَبْنَاؤُكُمْ وَ إِخْوَانُكُمْ وَ أَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الفَـٰسِقِينَ)) (سورة التوبة ، الآية ٢٤) . وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : { لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين } . وفي رواية لأنس أيضاً قال ﷺ : { لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين } . (مسلم ، ١٤٢٠هـ ،كتاب الإيمان ، باب١٦: وجوب محبة الرسول ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين وإطلاق عدم الإيمان على من لم يحبه هذه المحبة ، ص ٨٠ ، الحديثان برقم : ٤٤٦٩ ، ٤٤٧٠) . ومما لا شك فيه أن في تطبيق مبدأ الإيمان بالأنبياء والرسل جميعاً دون تفريق بينهم آثاره التربوية العظيمة .

الآثار التربوية الناجمة عن تطبيق مبدأ الإيمان بالرسل :

١ – اتباع الرسل :

إن من لزوم الإيمان الصادق بالرسل إتباعهم فيما يشرعون للناس ، وتصديقهم

في كل ما يخبرون ، دون أن يخالط ذلك أدنى شك في التصديق ، ودون أن يساوره أقل زيغ في الاتباع ، وهو من أهم الآثار الناجمة عن تطبيق مبدأ الإيمان بالرسل . وإلا فما نفع الإيمان بهم دون أن يكون هناك إتباع لهم . و الله تعالى عليم خبير بأمور عباده و ما فيه خيرهم إذ يأمرهم بالإيمان برسوله ﷺ ويأمرهم باتباعه أيضاً ، إذ أن ما يبلغهم به من التشريعات والأخبار إنما هو من نور الله و وحيه . قال الله تعالى : ((فَآمِنُوا بِاللهِ وَ رَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَ كَلِمَـٰتِهِ وَ اتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)) (سورة الأعراف ، الآية ١٥٨) . وفي اتباع الرسل الهداية في الدنيا والنجاة من النار في الآخرة . وقد أخبر الله تعالى أن سبب هلاك الناس يوم القيامة هو عدم الإيمان به وبرسله وعدم اتباعهم ، قال تعالى : ((وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ العَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنا أَخِّرْنا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَ نَتَّبِعِ الرُّسُلَ)) (سورة إبراهيم ، الآية ٤٤) .

و باتباع الرسول ﷺ يكون الأب المثالي ، و المربي الفاضل ، و الطبيب الناجح ، والسياسي المحنك ، و الداعية القدوة ، و المصلح الاجتماعي ، و الفقيه العابد ، و القائد الفاتح ، و القاضي الراجح .

٢ – نيل محبة الله تعالى :

قال الله تعالى : ((قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ اللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَ الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الكَـٰفِرِينَ)) (سورة آل عمران ، الآيتان ٣١ ، ٣٢) . ومحبة الله تعالى تقتضي طاعة أوامره و اجتناب نواهيه ، و الحرص على التقرب إلى الله عز و جل بفعل الواجبات و النوافل ، وتحمل المشاق ، والصبر على الشهوات في ذلك . فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : { وما تقرب إلي عبدي بشيءٍ أحب إلي مما افترضته عليه . وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه و لئن استعاذ بي لأعيذنه } (البخاري ، ١٤٢٢هـ ،كتاب الرقاق ، باب ٣٨ : التواضع ، ص ١١٥٧ ، برقم : ٦٥٠٢) .

٣ – تذوق حلاوة الإيمان :

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : { ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يُقذف في النار } . (النووي ، ١٤١١هـ ، ج٢ ، كتاب : الإيمان ، باب١٥: بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان ، ص١٣ ، برقم : ٤٣٦٧) . و معنى حلاوة الإيمان : استلذاذ الطاعات و تحمل المشقات في رضى الله عزَّ وجلَّ ورسوله ﷺ و إيثار ذلك على عرض الدنيا . ومحبة العبد ربه سبحانه وتعالى بفعل طاعته وترك مخالفته ، وكذلك محبة رسول الله ﷺ . ومحبة الله تعالى و رسوله ﷺ وحب الآدمي في الله و رسوله ﷺ وكراهية الرجوع إلى الكفر لا تتم إلا لمن قوي بالإيمان يقينه ، واطمأنت به نفسه ، وانشرح له صدره ، وخالط لحمه ودمه ، وهذا الذي وجد حلاوة الإيمان . (المرجع السابق ، نفس الصفحة) .

٤ – تحقق التربية بالقدوة الحسنة :

إن الله تعالى اصطفى من البشر رسلاً هم من أفضل الناس خَلقاً وخُلُقاً ، ومن أنقاهم سريرة وأحسنهم ظهيرة ، فهم خيرة خلق الله تعالى ، ولذلك جعلهم أهلاً لرسالته. قال تعالى : ((اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ)) (سورة الأنعام ، الآية ١٢٤) . أي الله تعالى أعلم بمن هو مأمون عليها وموضع لها . فالله أعلم بأهل رسالته . (القرطبي ، ١٣٧٢هـ ج ٧ ، ص ٨٠) . والله تعالى أعلم بأزكى النفوس وأطهرها وأكملها في الخلقة والخلق ، فاصطفاهم ليكونوا أهلاً لرسالته ، ولتحمل مسئولية هداية البشرية إلى طريق الفلاح بأمانة وعزم وصبر .

وجميع الرسل هم قدوة للناس جميعاً ، قال تعالى مخبراً عن رسوله محمد ﷺ : ((لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَ الْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا)) (سورة الأحزاب ، الآية ٢١) . وقال تعالى عن رسوله إبراهيم عليه الصلاة والسلام : ((قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ)) (سورة الممتحنة ، الآية ٤) . وقد اصطفى الله تعالى رسله جميعاً وهداهم إلى صراط مستقيم ، وأمر رسوله محمد ﷺ بالاقتداء بهم ، فكانوا قدوة له ﷺ . وهم جميعاً قدوة لباقي البشر . والدليل على هذا هو قول الله تعالى :

((وَ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَـٰقَ وَ يَعْقُوبَ كُلاً هَدَيْنَا وَ نُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَ سُلَيْمَـٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَ وَعِيسَىٰ وَ إِلْيَاسَ كُلٌ مِنِ الصَّـٰلِحِينَ * وَ إِسْمَـٰعِيلَ وَالْيَسَعَ وَ يُونُسَ وَلُوطاً وَكُلاً فَضَّلْنَا عَلَىٰ الْعَـٰلَمِينَ * وَمِنْ ءَابَائِهِمْ وَ ذُرِّيَّـٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ وَاجْتَبَيْنَـٰهُمْ وَهَدَيْنَـٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُسْتَقِيمٍ * ذَلِكَ هُدَىٰ اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ لَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ * أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ الْكِتَـٰبَ وَالْحُكْمَ وَ النُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَـٰؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً لَّيْسُوا بِهَا بِكَـٰفِرِينَ * أُولَـٰئِكَ الذِينَ هَدَىٰ اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ)) (سورة الأنعام ، الآيات ٨٤ : ٩٠) . أي بهداهم اقتدِ واتبع ، وإذا كان هذا أمراً للرسول ﷺ فأمته تبع له فيما يشرعه ويأمرهم به . (ابن كثير ، ١٣٨٨هـ ، ج٢ ، ص١٥٥) .

٥ – تحقيق التربية بالممارسة والعمل :

لقد دأب جميع الرسل صلوات الله وسلامه عليهم على أن يعملوا بما كلفهم الله تعالى وأمرهم بالقيام به وممارسته باستمرارية . سواء كان هذا الأمر يخص الإيمان أم العبادة ، أم الأخلاق ، أم المعاملات . فكانوا هم أول من يعمله ، ثم يطالبون أممهم بالعمل به . إن رسول الله ﷺ علم أمته أمور دينهم ودنياهم بالممارسة والعمل ، فعلمهم الوضوء لحديث عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه أنه قال رأيت رسول الله ﷺ توضأ فأحسن الضوء ثم قال : { من توضأ هكذا ثم خرج من المسجد لا يَنْهَزُهُ إلا الصلاة غُفر له ما خلا من ذنبه } . (النووي ،١٤١١هـ ، ج ٣ ، كتاب الطهارة ، باب ٤: فضل الوضوء و الصلاة عقبه ، ص ١١٦ ، برقم : ٢٣٢١٢) . وكان يطلب ممن لم يحسن وضوءه إعادة الوضوء وإحسانه عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أن رجلاً توضأ فترك موضع ظفر على قدمه ، فأبصره النبي ﷺ فقال : { ارجع فأحسن وضوءك } فرجع ثم صلى . (المرجع السابق ، باب١٠: وجوب استيعاب جميع أجزاء محل الطهارة ، ص١٣١، برقم ٢٤٣٣١) . وكان ﷺ يعلمهم الصلاة عملياً أمامهم ، وكان يقول ﷺ : {صلوا كما رأيتموني أصلي } . (البخاري ، ١٤٢٢هـ ، كتاب الأدب ، باب ٢٧ : رحمة الناس و البهائم ، ص ١٠٨١ ، برقم : ٦٠٠٨) . وكان ﷺ يحرص على تعليم الصلاة للمسيء فيها بتكرار الصلاة و إعادة المحاولة حتى يصل إلى الصواب برغبة ذاتية منه في التعلم ،

في حديث «المسيء صلاته» (مسلم ، ١٤٢٠هـ ، كتاب الصلاة ، باب ١١: وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ، ص ٢٠٤ ، برقم : ٣٩٧٤٥) .

وكان ﷺ يكثر من التنفل في الصلاة وقيام الليل حتى تتورم قدماه (البخاري ، ١٤٢٢هـ ،كتاب التهجد ، باب ٦ : قيام النبي ﷺ بالليل ، ص ٢٠٧، برقم :١١٣٠).

و قد أدى ﷺ العمرة والحج وكان يقول : { لتأخذوا مناسككم فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه } . و بيان قوله : لتأخذوا مناسككم هو : أن هذه الأمور التي أتيت بها في حجتي من الأقوال والأفعال والهيئات هي أمور الحج وصفته وهي مناسككم فخذوها عني واقبلوها واحفظوها واعملوا بها وعلموها الناس . (النووي ، ١٤١١هـ ، ج ٩ ، كتاب الحج ، باب٥١: استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكباً وبيان قوله لتأخذوا مناسككم ، ص٤٤ ، برقم : ١٢٩٧٣١٠) .

و كان ﷺ كثير الاستغفار - مع علمه أن الله قد غفر له ذنوبه جميعاً - (مسلم ، ١٤٢٠هـ ، ج١٧ ، كتاب الذكر و الدعاء و التوبة والاستغفار ، باب ١٢ : استحباب الاستغفار والاستكثار منه ، ص ١١٤٣، الحديثان برقمي : ٤١،٤٢/٢٧٠٢).

وفي صلح الحديبية حين رجع ﷺ عن تأدية العمرة ، قال لأصحابه رضوان الله تعالى عليهم : { قوموا فانحروا ثم احلقوا } . فما قام منهم رجل حتى قام ونحر بُدْنَه وحلق فقام الصحابة يعملون بعمله . (البخاري ، ١٤٢٢هـ ، كتاب الشروط ، باب١٥: الشروط في الجهاد و المصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط ، ص ٤٨٤ ، برقم : ٢٧٣٢) .

وسُئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها عن خلقه ﷺ فقالت : كان خلقه القرآن . (مسلم ، ١٤٢٠هـ ،كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب ١٨: جامع صلاة الليل ، ص ٣٢٨ ، برقم : ٧٤٦١٣٩) . إجابة دقيقة عجيبة مختصرة شاملة : كان خلقه القرآن . كان الترجمة الحية لروح القرآن و حقائقه و توجيهاته (قطب ، ١٤٠٨هـ ، ص ١٨١) .

و كان ﷺ يحارب بنفسه في الغزوات ، و يرسم الخطط ، و يتشاور مع أصحابه في أمور الحرب ، وشارك في حفر الخندق بيده الكريمة ، فمارس دور القائد الظافر ، ومارس دور الداعية الزاهد ، و دور الزوج المثالي ، و دور الأب الرحيم ، والفقيه العابد ، لذلك

كان رسول الله ﷺ أكبر قدوة للبشرية في تاريخها الطويل . وكان مربياً وهادياً بسلوكه الشخصي قبل أن يكون بالكلام الذي ينطق به — قرآناً كان أم حديثاً — .

٦ — تربية المجتمع بالموعظة :

الموعظة هي من الأساليب الناجعة في تربية الأمة ، وتذكيرها بالحق والخير على الوجه الذي يرق له القلب ، و يبعث على العمل . فأهل الإيمان تخشع قلوبهم بالوعظ فيتحرون العمل به قبولاً لتأديب ربهم وطلباً للانتفاع به في الدنيا ، ورجاء مثوبته ورضوانه في الآخرة . (النحلاوي ، ١٣٩٩هـ ، ص٢٥٢) .

و الموعظة تجري دائماً على ألسنة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم لتذكير الأمم بالحق الذي هم عنه غافلون ، وبها ينتبهون من غفلتهم هذه فيرجعون إلى الحق والصواب ، وإلى الصراط المستقيم . وهذا أول الرسل نوح عليه السلام يعظ قومه فيقول : ((يَـٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ)) (سورة المؤمنون ، الآية ٢٣) . وكان يدعو قومه ليلاً ونهاراً إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له ، و يخوفهم من عذاب يوم عظيم ، ويبلغهم رسالات ربه فيقول : ((أُبَلِّغُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّي وَ أَنْصَحُ لَكُمْ وَ أَعْلَمُ مِنْ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُون)) (سورة الأعراف ، الآية ٦٢) . وحين لا يجدي معهم النصح والوعظ يقول لهم ((وَ لاَ يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُّ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَ إِلَيهِ تُرْجَعُونَ)) (سورة هود ، الآية ٣٤) .

كما أرسل الله تعالى موسى وهارون عليهما السلام يعظان قومهما ويذكرانهم بآيات الله ، فقال تعالى : ((ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَـٰرُونَ بِآيَـٰتِنَا وَ سُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ)) (سورة المؤمنون ، الآية ٤٥) . و يقول رسول الله هود عليه السلام لقومه عاد : ((أُبَلِّغُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ)) (سورة الأعراف ، الآية ٦٨) . وموعظة أخرى في قوله تعالى : ((اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ)) (سورة المؤمنون ، الآية ٣٢) ويعظ رسول الله صالح قومه ثمود فيقول : ((يَـٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَ نَصَحْتُ لَكُمْ وَ لَكِنْ لاَ تُحِبُونَ النَّـٰصِحِينَ)) (سورة الأعراف ، الآية ٧٩) . و يقول شعيب عليه السلام لأصحاب مدين : ((يَـٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَـٰفِرِينَ)) (سورة الأعراف ، الآية ٩٣) . والموعظة في هذه الآيات بمعنى

النصيحة فهي النصح والتذكير بالعواقب وبما يلين القلب من ثواب وعقاب . (ابن منظور ١٣٠٠هـ ، ج٧ ، ص٤٦٦) . و أرسل الله تعالى محمداً ﷺ للعالمين يعظهم ويدعوهم إلى الإيمان بالله تعالى وسلوك الطريق السوي ، وعن هذا أخبر تعالى : ((وَ إِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)) (سورة المؤمنون ، الآية ٧٣) . و ما ذلك إلا امتثالاً لأمر الله تعالى له ﷺ بأن يسلك طريق الموعظة الحسنة في قوله تعالى : ((ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَ المَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَ جَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)) (سورة النحل ، الآية ١٥٢) . وتفسيرها : ادع يا محمد الناس كافة إلى الإسلام بالمقالة المحكمة الصحيحة ، وقيل هي الحجج القطعية المفيدة لليقين ، وبالموعظة والنصيحة الحسنة لانتفاع السامع بها ، وقيل هي الحجج الظنية المقنعة الموجبة للتصديق بمقدمات مقبولة ، وقد يحتاج الداعي مع الخصم الألد إلى استعمال المعارضة والمناقضة ونحو ذلك من الجدل ، وبأحسن طرق الجدل لهذا قال سبحانه : ((وَ جَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنَ)) . (الشوكاني ، ١٣٨٣هـ ، ج٣ ، ص٢٠٢) .

وفي موضع آخر يأمره عز وجل بذلك أيضاً : ((وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَّهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً)) (سورة النساء ، الآية ٦٣) . و ها هو رسول الله ﷺ يعظهم و ينذرهم فيقول : ((إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَ احِدَة)) (سورة سبأ ، الآية ٤٦) . وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : { كان رسول الله ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا } أي : كان يتعهدنا بالموعظة والنصح والتذكير وكان يراعي الأوقات في تذكيرنا ، ولا يفعل ذلك كل يوم لئلا نمل . (ابن حجر ، ١٤٢١هـ ، ج١ ،كتاب العلم ، باب١١: ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا ، ص٢١٤ ، برقم : ٦٨) .

ورغم تكذيب الأمم لرسلهم وإعراضهم عن مواعظهم ونصائحهم إلا أنهم صلوات الله و سلامه عليهم يستمرون في الوعظ و النصح ، لرحمتهم بالأمة و خوفهم عليهم من عذاب الله الأليم في الدنيا والآخرة . حتى بعد أن عرفوا أن الله تعالى حكم عليهم بالهلاك والعذاب كما أخبرت الآية الكريمة: ((وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ)) (سورة الأعراف ، الآية ١٦٤)

والموعظة لها أثر تربوي عظيم وثمرة مفيدة ، قد وضحتها هذه الآية الكريمة : ((وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوْعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً)) (سورة النساء ، الآية ٦٦) .

ولذلـــك نجد أن الموعظـــة لا تجري فقط على ألسنة الرسل ، بل يجب أن تكون على ألسنـــة المربين جميعهم ، وعلى اختلاف فئاتهم ، بصورة دائمة . فهذا لقمان الحكيم يعظ ابنه موعظة بليغـــة فيقول : ((وَ إِذْ قَالَ لُقْمَـــانُ لابْنِه وَهُوَ يَعِظُهُ يَـــا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ * وَ وَصَّيْنَا الإِنْسَـــانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَىٰ وَهْنٍ وَ فِصَـــالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ * وَإِنْ جَـــاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا وَ صَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَـــا مَعْرُوفاً وَ اتَّبِعْ سَبِيـــلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * يَـــا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَـــاوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ * يَـــا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَوٰةَ وَ أْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَ انْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ اصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ * وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ)) (سورة لقمان الآيات من١٣: ١٩) . وبذلك تعتبر الموعظـــة من أبلغ أساليب التربية الإسلامية ، وأقواها أثراً في نفوس السامعين .

٧ – تربية الأمة بضرب الأمثال :

ضـــرب الأمثال أسلوب تربوي بليـــغ استخدمه الرسول ﷺ لتحريك عواطف المتعلمين والتأثـــير في وجدانهم ، لتتحرك إرادتهم وتندفـــع إلى عمل الخيرات ، واجتناب المنكرات ، وأداء الواجبات . كما تقرب الأمثـــال المعاني المجردة ، و توضحها بالاستعانة بصور محسوسة من الواقع ، لتفهمها العقول وتدرك أبعادها . (النحلاوي ، ١٣٩٩هـــ ، ص٢٢٥) . ففـــي الحديث التالي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول :{ أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء ؟ قـــال : فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا . } (النووي ، ١٤١١هـــ ، ج٥ ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب٥١: المشي إلى الصلاة تمحى بـــه الخطايا وترفع به الدرجات ، ص١٦٩ ، برقم : ٦٦٧٢٨٣) . نجد أن الرسول ﷺ يوضـــح أثر المداومـــة على أداء الصلوات الخمس في إزالـــة الخطايا و محوها ، كما تزال

كما تزال الأوساخ من الجسم حين يغسل خمس مرات في النهر كل يوم .

وللحث على ذكر الله تعـــالى والإكثار منه نجد هذا المثل في قوله ﷺ : { مثل البيت الذي يُذكر الله فيه و البيت الذي لا يُذكر الله فيه مثل الحيِّ والميت } (النووي ، ١٤١١ هـــ ، ج٦ ،كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب ٢٩: صلاة النافلة في بيتـــه و جوازها في المسجد .. ، ص ٦٨ ، برقم : ٧٧٩٢١١) .

وللترغيب في تلاوة القرآن الكـــريم وبيان فضيلة حافظ القرآن ضرب رسول الله ﷺ هذا المثل فقال : { مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأُتْرُجَة ريحها طيب وطعمها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو ، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر } . (المرجع السابق ، باب ٣٨: فضيلة حافظ القرآن ، ص ٨٤ ، برقم : ٧٩٧٢٤٣) .

وفي الحـــث على التصدق وعدم الرجوع في الصدقة ضرب رسول الله ﷺ هذا المثل : { مثل الذي يرجـــع في صدقته كمثل الكلب يقيء ثم يعود في قيئه فيأكله } . (المرجع السابق ، ج١١ ، كتاب الهبات ، باب٢: تحريم الرجوع في الصدقة والهبة بعد القبض إلا ما وهبه لولده وإن سفل ، ص٦٤ ، برقم : ١٦٢٢٥) .

وفي الحث على الجهاد في سبيل الله تعـــالى ، وبيان فضل الشهادة في سبيله تعـــالى ، وعظم ثواب الشهيد ، يضرب رسول الله ﷺ هذا المثل عندما سئل : ما يعدل الجهاد في سبيل الله عز وجل ؟ قال : { لا تستطيعونه قال : فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثاً ، كل ذلك يقول : لا تستطيعونه . وقال ﷺ في الثالثة : مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام و لا صلاة حتى يرجع المجاهد في سبيل الله تعالى } .
٩: فضل الشهادة في سبيل الله تعـــالى ، ص ٢٤ ، برقم : ١٨٧٨١١٠) .

وفي الحث على التعاون والتعاضد والتراحم بين المسلمين يضرب رسول الله ﷺ هذين المثلين فيقول : { المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً } . (المرجع السابق ، ج١٦ كتاب البر والصلة والآداب ، باب١٧: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ، ص١٣٩

برقم : ٢٥٨٥٦٥) . أما المثل الثاني فهو قوله ﷺ : { مثل المؤمنين في توادهم و تراحمهم و تعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر و الحمى } .
(المرجع السابق ، باب١٧: تراحم المؤمنين .. ، ص١٤٠ ، برقم : ٢٥٨٦٦٦) .

و السنة النبوية المشرفة مليئة بالأمثال البليغة المؤثرة ، المثيرة للانفعالات و العاطفة والوجدان ، لكن يُكتفى بهذا القدر من الأمثال للدلالة على الموضوع .

٨ – فرضية طلب العلم :

بيَّنَ الرسول ﷺ منزلة العلم وحض على طلبه ، فعن معاوية رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : { من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين } (النووي ، ١٤١١هـ ، ج١٣ ، كتاب الإمارة ، باب ٥٣: قوله ﷺ :لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق..، ص٦٧ ، برقم : ١٠٣٧١٧٥) . وجعل العلم ركناً من أركان الخير ، وميز الناس به ، فقال ﷺ : { الناس معادن كمعادن الفضة و الذهب ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا } (المرجع السابق ، ج١٦ ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب ٤٩: الأرواح جنود مجندة ، ص ١٨٥ ، برقم : ٢٦٣٨١٥٩) . و جعل طلب العلم الشرعي الذي يحتاج إليه المسلم ليقيم أمور دينه فريضة على المسلم ، فقال ﷺ : { طلب العلم فريضة على كل مسلم } (ابن ماجه ، د.ت ، ج١ ، المقدمة ، باب١٧: فضل العلماء والحث على طلب العلم ، ص ٨١ ، برقم : ٢٢٤) .

ولزيادة ترغيب المسلم في طلب العلم جعل الرسول ﷺ الطريق إلى العلم طريقاً في نفس الوقت إلى الجنة ، فيعطي العلم بذلك من التقدير والاهتمام ما يجعله لا يقل شأناً عن تلك الفروض التي فرضها الإسلام على المسلمين وجعل الذين يؤدونها من أصحاب الجنة ، و لذا قال ﷺ : { من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة } .
(النووي ، ١٤١١هـ ، ج١٧ ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب١١: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن والذكر ، ص٢١ ، برقم : ٢٦٩٩٣٨) .

وجعل ﷺ العلم من الأمور التي يغتبط فيها ويتنافس في مضمارها ، فقال ﷺ : { لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق ، و رجل آتاه الله

حكمـــة فهو يقضي بها ويعلمها } (النووي ، ١٤١١هـــ ، ج٦ ،كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب٤٧: فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه .. ، ص٩٧ ، برقم : ٨١٦٢٦٨) .

وكان الرسول ﷺ يحض أصحابه على تفهم أمور دينهم و دنياهم ، و يأمرهم أن يسألوا عما يجهلونـــه ، و يمنعهم أن يفتوا بغير علم . (ابن حنبل ، ١٤٠٩هـــ ، ج١ ، ص ٤٢٩ ، برقم : ٣٠٥٧) .

و لم يقتصر حض الرسول ﷺ لأصحابـــه على طلب العلم الشرعي من خلال القرآن و الســـنة ، بل دعاهم إلى كل علم يفيد المسلمين (علي ، ١٣٩٨هـــ ، ص٧٦) . فإنه أول مـــا قدم المدينة ، وسمع من زيد بن ثابت رضي الله عنه بضع عشرة سورة من القرآن وهـــو صغير السن أعجب به ، وأمره أن يتعلم لغة اليهود ، فقال ﷺ : { يا زيد تعلم لي كتاب اليهود ، فإني والله ما آمن يهود على كتابي } وفي رواية : { إني أكتب إلى قوم ، فأخاف أن يزيدوا عليَّ أو يُنقصوا ، فتعلم السريانية } وفي روايةٍ قال زيد : قال لي رسول الله ﷺ :{ تُحسن السريانيـــة ؟ إنها تأتيني كتب } قال: قلت لا . قال ﷺ :{ فتعلمها } فتعلمتـــها في سبعـــة عشر يوماً . (ابن حنبل ، ١٤١٣هـــ ، ج ٥ ، ص ٢١٧ ، برقم : ٢١٧٤٢) .

٩ – تبني الطريقة العلمية في التعليم :

إن الطـــريقة التي اتبعها الرسول الكريم ﷺ في دعوته للناس تشبه إلى حدٍ كبير الطـــريقة العلمية المعاصرة ، التي تقتضي ممن يريد القيام ببحث ، أن يمحـــو من نفسه كل رأي و كل عقيدة سابقة له في هذا البحث ، و التخلص من أي تعصب في الرأي الذاتي أو التعصب لرأي الآخرين ، وأن يبدأ الباحث بالملاحظة والتجربة ، ثم بالموازنة والترتيب ، ثم بالاســـتنباط القائم على هذه المقدمات ، فإذا وصل الباحث إلى نتيجة من ذلك ، كانت نتيجة علمية خاضعة بطبيعة الحال للبحث والتمحيص ، ولكنها تظل صحيحة ما لم يثبت بالبحـــث العلمي تسرب الخطأ إلى ناحية من نواحيها ، وهذه الطريقة العلمية هي أسمى ما وصلت إليه الإنسانية في سبيل تحرير الفكر . وهاهي ذي طريقة محمد ﷺ وأساس دعوته فكيف اقتنع الذين اتبعـــوه بدعوته وآمنوا بها ؟ نزعوا من نفوسهم كل عقـــيدة سابقة ، وبـــدأوا يفكرون فيما أمامهم . لقد كان لكل قبيلـــة من قبائل العرب صنم تعبده ، فأي

صنم هو الحق ؟ وأي صنم هو الباطل ؟ وكان في بلاد العرب وفي البلاد المجاورة من يعبد النار ومن يعبد الشمس ، فأي هؤلاء على حق ؟ و أيهم على الباطل ؟ . فلنترك هذا كله جانباً ولنمح أثره من نفوسنا ، ولنتجرد من كل رأي ومن كل عقيدة سابقة ، ولندع أي تعصب لأي إله أو لرأي الأباء والأجداد ، ولننظر ولندقق الملاحظة ، ونكتشف العلاقات ونجرب الاحتمالات ونوازن ونرتب و نستنبط لنصل إلى النتيجة المحضة الخالية من أي رأي ذاتي أو تعصب ما ، لنلاحظ الكون من حولنا ، إن لكل موجود بسائر الموجودات اتصالاً فالإنسان تتصل قبائلـــه بعضها ببعض ، و أممه بعضها ببعض ، و الإنسان يتصل بالحيوان و الجمـــاد ، و أرضنا تتصل بالشمس و بالقمر و بسائر الأفلاك ، و ذلك كله يتصل في سنن مطردة لا تحويل لها ولا تبديل ، ولا الشمس ينبغي أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار ولو أن إحدى موجودات الكون تحولت أو تبدلت ، لتبدل ما في الكون . وما دام ذلك لم يحدث ، فلابد لهذا الكون من روح تمسكه ، منه نشأ ، وبه تتطور ، وإليه يعود . هذا الروح وحده هو الذي يجب أن يخضع له الإنسان ، أما سائر ما في الكون فهو خاضع لهذا الروح كالإنسان سواء . و الإنسان و الكون و الزمان وحدة ، وهذا الروح مصدرها و جوهرها . إذن فلتكن لهذا الروح وحده العبـــادة . و لهذا الروح يجب أن تتجه القلوب والأفئدة . وفي الكون كله يجب أن نلتمس من طريق النظر والتدبر سننه الخالدة . وإذاً فما يعبد الناس من دون الله أصناماً وملوكاً وناراً وشمساً ومعبودات أخرى إنما هي وهم باطل غير جدير بالكرامة الإنسانية ، ولا هو يتفق مع عقل الإنسان وما كرم به من القدرة على استنباط سنة الله من طريق النظر في خلقه . (علي ، ١٣٩٨هـــ ، ص ٧٦) .

إن الرســـول ﷺ بطريقته هذه في إقناع الناس وتعليمهم الإسلام وتوحيد الله تعالى إنما يقدم للمسلمين و للعالم أجمع الطريقة العلمية الصحيحة للتربية و التعليم المتجرد من الزيف والتعصب والهوى ، ومن أية قيود تكبل العقل الإنساني من الوصول إلى الحقيقة المؤكدة .

١٠ – تعليم النساء :

إن الرجال كانوا يلازمون الرســـول ﷺ و يحيطون به للتعلم ، فلا تستطيع النســـاء مزاحمتهم عليه لطلب العلم ، وكن يجلسن في آخر صفوف المسجد ، فإذا تحدث الرسول ﷺ بالعلم بعد الصلاة لم يتمكّنَّ من كمال السماع ، ويغلب عليهن الحيـــاء عن

وِزْرَ أُخْرَىٰ * وَ أَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ * وَ أَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ * ثُمَّ يُجْزَاهُ الجَزَاءَ الأَوْفَىٰ)) (سورة النجم ، الآيات ٣٦ : ٤١) . و داود عليه السلام في قوله تعالى : ((وَ لَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ)) (سورة الأنبياء ، الآية ١٠٥) . وقد نال الثواب المؤمنين بنوح عليه السلام بالنجاة من الغرق في الطوفان ، ونزل العقاب بالمكذبين به فأُغرقوا بالطوفان في الحياة الدنيا . قال الله تعالى : ((وَ لاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ * فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَ مَنْ مَعَكَ عَلَى الفُلْكِ فَقُلِ الحَمْدُ للهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ)) (سورة المؤمنون ، الآيتان ٢٧ ، ٢٨) .

ومن أمثلة الثواب على فعل الخير و العقاب على فعل الشر ، قوله ﷺ : { من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها و وزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء } (النووي ، ١٤١١هـ ، ج٧ ، كتاب الزكاة ، باب ٢٠: الحث على الصدقة.. ، ص١٠٤ ، برقم : ١٠١٧٦٩) .

وقوله ﷺ : { من نفَّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسَّر على معسر يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة } (المرجع السابق ، ج١٧ ، كتاب الذكر والدعاء ..، باب١١: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن والذكر ، ص٢١ ، برقم : ٢٦٩٩٣٨) . ففي الحديث يثاب المؤمن على فعل الخير في الدنيا والآخرة .

وقوله ﷺ : { قال الله : أنفق يا ابن آدم أنفق عليك } (ابن حجر ، ١٤٢١هـ ، ج٩ ، القسم الثاني ، كتاب النفقات ، باب١:فضل النفقة.. ، ص٦٢١ ، برقم:٥٣٥٢). وقوله : { من يلي من هذه البنات شيئاً فأحسن إليهن كن له ستراً من النار } (المرجع السابق ، ج ١٠ ، كتاب الأدب ، باب ١٨ : رحمة الولد ، ص ٥٢٢ ، برقم : ٥٩٩٥) وقوله ﷺ : { ما من مسلم غرس غرساً فأكل منه إنسان أو دابة إلا كان له صدقة } . (المرجع السابق ، باب ٢٧: رحمة الناس والبهائم ، ص٥٣٧ ، برقم : ٦٠١٢) .

هذا مما كان في جانب الثواب ، أما ما كان في جانب العقاب ، فلم يثبت عن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أنهم غضبوا وعاقبوا على شيء ، إلا ما كان فيه انتهاك على

السؤال ، وكانت لهن رغبة في العلم مثل الرجال ، فكان منهن هذا الموقف مع رسول الله ﷺ ، فقد قالت النساء له : غلبنا عليك الرجـــال ، فاجعل لنا يوماً من نفسك . فوعدهن يوماً ، لقيهن فيه فوعظهن و أمرهن ، فكان فيما قال لهن : { ما منكن امرأة تقدم ثلاثة مـــن ولدها إلا كان لها حجاباً من النار } فقالت امرأة : واثنين ؟ فقال : { واثنين } . وفي رواية : فقال :{ موعدكن بيت فلانة } فأتاهن فحدثهن . (ابن حجر ، ١٤٢١هـــ ج١ ،كتاب العلم ، باب٣٥: للنساء يوم على حدة في العلم ، ص٢٦٠ ، برقم: ١٠١). ففي هذا الموقف حرص النساء على التعلم ، و حرص الرسول ﷺ على تعليمهن ، فأجاب طلبهن ، بتخصيص يوم لتعليمهن ، وذهابه بنفسه الطاهرة إليهن ، لا ذهابهن إليه .

كما أنه ﷺ يحث على تعليم المرأة و إحسان تأديبها ، فيقول : { ثلاثة لهم أجران : رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد ﷺ ، والعبد المملوك إذا أدى حق الله وحق مواليه ، و رجل كانت عنده أمـــة فأدبها فأحسن تأديبها ، و علمها فأحسن تعليمها ، ثم أعتقها فتزوجها ، فله أجران } وإذا كان حرصه ﷺ على إحسان تأديب وتعليم الأمة فهو على الأهل من الحرائـــر أولى وآكد . (المرجع السابق ، كتاب العلم ، باب ٣١: تعليم الرجل أمته وأهله ، ص٢٥٢ ، برقم : ٩٧) .

وكانـــت النساء حريصات على تعلم أمور دينهن ، حتى في أدق الجوانب المتعلقة بهن لا يمنعهن الحياء عن السؤال ، تقول عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها : نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين (المرجع السابق ، كتاب العلم ، باب ٥٠: الحياء في العلم ، ص ٣٠٤ ، برقم : ١٣٠) .

١١ – تقرير قاعدة الثواب والعقاب في التربية :

إن من القواعد العامة التي لابد أن تعيها البشريـــة في مختلف العصور ، قاعدة الثواب والعقاب ، وهي أن الإنسان يحاسب بعمله ، فيعاقب بذنوبه وأوزاره ، ولا يؤخذ بجريرة غيره ، و يثاب بسعيه وعمله الصالح وليس له سعي غيره ، إلا إن دله عليه فله أجره وأجر من فعله ، فالدال على الخير كفاعله . وهي سنة الله تعالى جارية في أنبيائه ورسله . و ممن وصلنا الخبر اليقيني عنهم ، موسى وإبراهيم و داود و محمد عليهم الصلاة والسلام . قال تعـــالى : ((أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ * وَ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ * أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ

دين الله وحرماته ، أو تهاون في تعليم شرائعه ، فقد أمر الرسول ﷺ بضرب الصبي على تركه الصلاة إذا بلغ عشر سنين لأنه حد يتحمل فيه الضرب غالباً ، ويكون ضرباً غير مبرح ، و أن يتقي الوجه في الضرب ، فقال : { مروا أولادكم بالصلاة و هم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين } . (آبادي ، ١٤١٠هـ ، ج٢ ، كتاب الصلاة ، باب٢٥: متى يؤمر الغلام بالصلاة ، ص١١٤ ، برقم : ٤٩١) .

وكان العقاب ممثلاً في التعزيرات والحدود التي حدها الله تعالى ، كحد الزنا وحد السرقة وحد شرب الخمر ، ونحوها ، و يغضب ﷺ في التهاون والتقصير في تطبيقها . (النووي ، ١٤١١هـ ، ج١١ ،كتاب الحدود ، باب٢: قطع السارق .. ، ص١٨٧ ، برقم : ١٦٨٨٩) .

١٢ – نشر العلم وممارسة التعليم :

إن العلم وُجِدَ ليُنقل ويبلغ وينتشر ، فيُصحح وينمو ، وتصح به حياة الناس وتتقدم وتتطور ، وإلا فما قيمة العلم وما وظيفة المتعلم إذا ظل مختزناً ما قرأ وعلم ، هل يغير ما في الكون شيئاً ؟ وهل بقاؤه يختلف عن فنائه ؟ كلا .. لذلك أمر الرسول ﷺ بنشر العلم ، و حرَّم كتمانه ، و ذكر ذلك في مناسبات كثيرة ، وشهد على هذا ألوف المسلمين ، قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه : سمعت رسول الله ﷺ يقول : { نضَّر الله امرئً سمع مقالتي فوعاها ، ثم أداها إلى من لم يسمعها ، فرُبَّ حامل فقهٍ لا فقه له ، ورُبَّ حامل فقهٍ إلى من هو أفقه منه .. } (ابن حنبل ، ١٤١٣هـ ، ج٤ ، ص٩٩ ، برقم : ١٦٧٤٣) .

وكان ﷺ يبلغ الوفود التي تفد إليه أن يحملوا الإسلام إلى من خلفهم ، و يفقهوهم في الدين ، ومن ذلك ما فعله عندما قدم وفد عبد القيس ، قال ﷺ : { من القوم ؟ } قالوا : ربيعة . قال : { مرحباً بالقوم – أو الوفد – غير خزايا ولا ندامى } قالوا : يا رسول الله إنَّا نأتيك من شقة بعيدة ، وإن بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر ، و إنَّا لا نستطيع أن نأتيك إلا في شهر حرام ، فمرنا بأمرٍ فصل نخبر به من وراءنا ندخل به الجنة . فأمرهم بأربع ، ونهاهم عن أربع.. قال ﷺ : { احفظوه وأخبروا به من ورائكم } . (النووي ،

١٤١١هـ ، ج١ ، كتاب الإيمان ، باب ٦: الأمر بالإيمان بالله تعالى و رسوله.. ، ص١٨٧، برقم : ١٧٢٤) .

و لم يترك رسول الله ﷺ طريقة من طرق التبليغ والإعلام في ذلك العصر إلا استعملها في سبيل تبليغ الإسلام – ونشر العلم به – فأرسل الرسل ، وطيَّر الكتب ، ووجَّه الأمراء والقضاة ، فكان مثالاً طيباً لنشر الرسالة وتبليغ الأمانة (علي ، ١٣٩٨هـ ، ص٨٠) .

و منع ﷺ كتمان العلم ، فقال ﷺ : { من سئل عن علم ، فكتمه ، ألجمه الله بلجام من نار } (ابن حنبل ، ١٤١٣هـ ، ج٢ ، مسند أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، ص ٤٦٩ ، برقم : ٨٦٥٩) .

هذه بعض الآثار التربوية الناجمة عن تطبيق مبدأ الإيمان بالرسل صلوات الله و سلامه عليهم ، والتي نرجو أن يعم نفعها سائر بلاد المسلمين ما إن التزموا بتطبيقها في حياتهم . وأن ننال بها النعيم المقيم الذي أعده الله تعالى لعباده المؤمنين في اليوم الآخر .

مبدأ الإيمان باليوم الآخر

قال الله سبحانه وتعالى:((ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ تُبْعَثُونَ)) (سورة المؤمنون ، الآية ١٦) تبعثون : أي ينشئكم الله تعالى النشأة الآخرة يوم القيامة يوم المعـــاد ، و قيام الأرواح إلى الأجساد ، فيحاسب الخلائق ، و يوافي كل نفس بعملها إن خيراً فخير ، و إن شراً فشر. (ابن كثير ، ١٣٨٨هـــ ، ج ٣ ، ص ٢٤٢) . و قال تعـــالى أيضاً : ((وَ مِنْ وَرَائِهِمْ بَـــرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ)) (سورة المؤمنون ، الآية ١٠٠) . و البرزخ : الحاجز ما بين الحياة الدنيا و الآخرة ، وهي المقابر يقيمون فيها إلى يوم يبعثون . (ابن كثير ، المرجع السابق ، ص ٢٥٦) .

و يقصـــد باليوم الآخر حياة ما بعد الموت ، وهي حياة البرزخ – الحياة في القبور – والحـــياة الآخـــرة الأبدية بعد البعث من القبور ، وما في الحياتين من أحداث . للحديث النبوي الشريف : { إن القبر أول منازل الآخرة ، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه ، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه } (ابن ماجه ، د.ت ، ج ٢ ،كتاب الزهد ، باب ٣٢ : ذكر القبر والبلى ، ص ١٤٢٦ ، رقم : ٤٢٦٧) .

فكان من المناسب أن يتم إيراد المعنى اللغوي لحياة البرزخ و المعنى اللغوي ليوم القيامة وبهما يكمل اليوم الآخر .

معنى اليوم الآخر في اللغة :

ليس في اللغـــة معنى للمصطلح – اليوم الآخر – كاملاً و إنما هناك تعريف للبرزخ ، وتعريف ليوم القيامة ، كلٌ على حدة .

أ) الـــبرزخ : الحاجز بين كل شيئين ، والبرزخ : ما بين الدنيا والآخرة ، قبل الحشر مـــن وقت الموت إلى البعث ، فمن مات فقد دخل البرزخ . (ابن منظور ، ١٣٠٠هـــ ، ج ٣ ، ص ٨) .

ب) يـــوم القيامة : يوم البعث ، وأصله مصدر قام الخلق من قبورهم قيامـــة . (ابن منظور ، المرجع السابق ، ج ١٢ ، ص ٥٠٦) .

معنى اليوم الآخر في الاصطلاح الشرعي :

الإيمـــان باليوم الآخر : هو الاعتقاد الجازم بصدق كل ما أخبر الله عزَّ وجلَّ في كتابه العزيز ، أو أخبر به رسوله ﷺ مما يكون بعد الموت ، من فتنة القبر وعذابه ونعيمه ، وما بعد ذلك من البعث و الحشـــر و الصحف و الحساب ، و الميـــزان و الحوض والصراط ، و الشفاعة والجنـــة والنار ، وما أعدَّ الله تعالى لأهلهما فيهما . (الحصان ، ١٤١٥هـــ ، ص٨١) . و (الأشقر ، ١٤١٢هـــ ، ص٨) . و (ياسين ، ١٤١٢هـــ ، ص٩٦) .

الأدلة على وجوب الإيمان باليوم الآخر :

الأدلة على وجوب الإيمان باليوم الآخر عديدة ، منها قول الله تعالى : ((لَيْسَ البِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ المَشْرِقِ وَ المَغْرِبِ وَ لَكِنَّ البِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللهِ وَ اليَوْمِ الآخِرِ وَ المَلَـٰئِكَةِ وَ الكِتَـٰبِ وَالنَّبِيينَ)) (سورة البقرة ، الآية ١٧٧) .

والإيمان باليوم الآخر عقيدة من قبلنا من المؤمنين بالله تعالى ، ومنهم اليهود والنصارى قال تعالى : ((إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَـٰرَىٰ وَالصَّـٰبِئِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ)) . (سورة البقرة ، الآية ٦٢) .

ومـــن الأحاديث الدالة على وجوب الإيمان باليوم الآخر حديث سؤال جبريل عليه السلام عن الإيمان ، فأجابه ﷺ { الإيمان هو أن تؤمن بالله ، و ملائكته ، وكتبه ، و رسله والـــيوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره } . (النووي ، ١٤١١هـــ ، ج١ ، كتاب الإيمان ، باب١: بيان الإيمان والإسلام والإحسان ، ص١٥٧ ، برقم : ١) .

من مظاهر الاهتمام باليوم الآخر :

اهـــتم القرآن الكريم بذكـــر اليوم الآخر كثيراً في مواقع عديدة ، و نبَّه إليه في كل موقف ، وأكد وقوعه بشتى الأساليب البيانية . ومن مظاهر هذا الاهتمام أيضاً ، أنه كثيراً ما ربط الإيمان به بالإيمان بالله تعالى في آيات عديدة ، منها قوله تعالى : ((ذَلِكَ يُوْعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ)) (سورة البقرة ، الآية ٢٣٢) .

ومـــن مظاهر الاهتمام به أيضاً ، إكثار القرآن الكريم من ذكر اليوم الآخر ، حتى لا تكاد تخلو صحيفة من صحائف القرآن إلا وفيها حديثاً عن اليوم الآخر ، وما سيكون فيه

مـــن الأحداث والأهوال والأحوال ، بأساليب كثيرة ومتنوعة . كذلك نجد القرآن الكريم يفصل أحوال ذلك اليوم تفصيلاً قلما نجده في أمور الغيب الأخرى .

ومـــن مظاهر الاهتمام به أيضاً ، كثرة ما سماه الله تعـــالى من الأسماء ، التي يدل كل واحد منها على ما سيقع فيه من الأهوال ، فمن أسمائـــه في القرآن : القيامة ، و الساعة ، و الآخرة ، يوم الدين ، يوم الحساب ، يوم التغابن ، ويوم الفتح ، يوم التلاق ، يوم الجمع يوم الخلود ، يوم الخروج ، يوم الحسرة ، يوم التناد ، و الآزفة ، الطامة ، الصاخة ، الحاقة الغاشية ، الواقعة ، وغيرها من الأسماء . (سابق ، ١٣٨٧هـــ ، ص٢٦١ : ٢٦٤) .

منهج القرآن الكريم في إثبات اليوم الآخر :

أثبت القرآن الكريم اليوم الآخر بإثبات حياة البرزخ ، والحياة الآخرة متخذاً في ذلك منهجاً منطقياً مقنعاً ، و مُورِداً أخباراً عديدة من الأمور الغيبـــية عنه . و تبدأ الباحثة هذا المنهج حسب تسلسل وقوعه ، مبتدئً بإثبات البرزخ ، قال تعالى : ((وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ)) (سورة المؤمنون ، الآية ١٠٠) . و هي الآية الوحيدة بالقرآن الكريم التي ذكرت لفظ البرزخ صراحة بمعنى الحياة في القبر .

وعـــن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه ، عن النبي ﷺ قال : ((يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ)) [سورة إبراهيم ، الآية ٢٧] قال:{نزلت في عذاب القبر ، فيقال له : من ربك ؟ فيقول : ربي الله و نبيِّ محمد ﷺ ، فذلك قول الله عزَّ و جلَّ ((يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ)) . } (النووي ، ١٤١١هـــ ، ج ١٧ ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب ١٧ : عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه ، وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه ، ص ٢٠٤ ، برقم : ٢٨٧١٧٣) .

و قال تعـــالى : ((النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَ عَشِيًّا وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ العَذَابَ)) (سورة غافر ، الآية ٤٦) . يعني يعرضون على النار في قبورهم ، ما دامت الدنيا ، فإذا قامت الساعة يقال لهم : أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ، وهو عذاب جهنم . وبهذه الآية يستدل على عذاب القبر ، والبرزخ . (القاسمي ، ١٤١٨هـــ ، ج٨ ، ص٣١٢) . وقانا الله تعالى وإياكم عذاب القبر ، آمين .

وبعد حياة البرزخ البعث ، قال الله تعالى : ((فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلاَ أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسَاءَلُونَ)) (سورة المؤمنون ، الآية ١٠١) . ولقد أنكر المشركون البعث استبعاداً لحدوثه لقصر أفهامهم عن إدراك ذلك وعدم استدلالهم على إمكانية وقوعه بعقولهم ، وقد جاء الاستدلال في القرآن الكريم على إثبات البعث و الرد على المنكرين بطرق مبرهنة باهرة تضطر العقول إلى التسليم والإذعان وأغلب تلك الطرق مُشاهَدٌ محسوس ، يُدرك ببداهة العقول ، وتلك الطرق أربعة هي : (١) الاستدلال بخلق الإنسان ابتداءً أولاً ، لأن من قدر على خلق الإنسان ابتداءً فهو على إعادة خلقه أقدر ، وجاء تقرير هذا في القرآن الكريم كثيراً ، منها ما جاء في قوله تعالى : ((وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلاَلَةٍ مِّنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ تُبْعَثُونَ)) (سورة المؤمنون الآيات من ١٢: ١٦) . وقوله تعالى:((وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ)) (سورة الروم الآية ٢٧) . وقال تعالى : ((أَوَلَمْ يَرَ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ * وَ ضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَ نَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ العِظَامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ)) (سورة يس ، الآيات من ٧٧ : ٧٩). وهذا التفاوت في الخلق الأول والآخر هو في حكم العقل والعادة بالنسبة للمخلوق ، أما بالنسبة لقدرة الله تعالى فليس شيء أهون من شيء ، بل كل شيء عليه يسير . (الحصان ١٤١٥هـ ، ص ٨٥) .

(٢) الاستدلال بخلق السماوات و الأرض ، تلك الأجرام العظيمة الشاهدة بما فيها من الدقة و الإتقان وعجيب الصنعة على قدرة الخالق جلّ وعلا المطلقة ، الأمر الذي يوجب قدرته على ما هو أهون من ذلك من باب الأولى ، قال الله تعالى مبيناً هذا : ((لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ)) (سورة غافر ، الآية ٥٧) . و الآيات في هذا كثيرة يبين تبارك وتعالى فيها كلها أن خلق الإنسان ، وإحيائه بعد موته أيسر وأهون من خلق هذه المخلوقات العظيمة ، مع أن خلق الكل هين عليه تعالى .

(٣) الاستدلال بإحيـــاء الأرض بعد موتها ، كما جاء ذلك في آيات كثـــيرة ، منها قوله تعـــالى : ((وَ هُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَـــاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَـــاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)) (سورة الأعراف ، الآية ٥٧) . فالله تعـــالى القادر على إحياء الأرض الميتة ، اليابسة الجرداء التي لا حياة فيها بإنزال المطر لها فتصبح خضراء نضرة ،تمت فيها الأشجار وازدهرت فيها الثمار ، قادر على إعادة الأجسام و إحيائها بعد بلائها و تفرقها وهو بكل خلق عليم (الحصان ، المرجع السابق ، ص ٨٦) .

(٤) هذا الاستدلال هو مما جاء الخبر عنه في القرآن الكريم من إحياء الله تعالى بعض الموتى في هذه الحياة الدنيا . في مواضع عديدة ، ومن ذلك ما أخبر به الله تعالى : ((أَوْ كَالَّذِي مَـــرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَـــامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَ شَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَ انْظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَ لِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَ انْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ)) . (سورة البقرة ، الآية ٢٥٩) . ولا شك أن دلالة هذه الأدلة قطعية على إثبات البعث ، وأن من أحيا نفساً واحدة بعد موتها قادر على إحياء جميع النفوس ،كما أكد هذا تبارك وتعالى بقوله : ((مَا خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ)) (سورة لقمان ، الآية ٢٨) .

والدليل على الحشر قوله تعالى : ((وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَّمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ)) (سورة يونس ، الآية ٤٥) . وهذه إحدى الآيات الدالة على أن الحشر من حقائـــق الآخرة ، وهو جمعهم إلى أرض المحشر من أماكن بعثهم على صفات مختلفة . وهناك يقف الخلق وقوفاً طويلاً انتظاراً لفصل القضاء ، ويصيبهم كرب شديد ، فقد روى المقداد بن الأسود رضي الله تعالى عنه عـــن رسول الله ﷺ أنه قال : { تُدنى الشمس يوم القيامـــة من الخلق حتى تكون منهم كمقـــدار ميل ، فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق ، فمنهم من يكون إلى كعبيه ، ومنهم من يكون إلى ركبتـــيه ، و منهم من يكون إلى حقويه ، و منهم من يلجمه العرق

إلجاماً و أشار ﷺ بيده إلى فيه } (النووي ، ١٤١١هـ ، ج ١٧ ، كتاب الجنة و صفة نعيمها وأهلها ، باب ١٥ : صفة يوم القيامة ، ص ١٩٦ ، برقم : ٢٨٦٤٦٢) .

وفيه ينقسم الناس إلى قسمين : متقين ، و مجرمين . قال تعالى : ((يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَىٰ الرَّحْمَنِ وَفْدًا * وَ نَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا)) (سورة مريم ، الآيتان ٨٥،٨٦) . فإذا اشتدَّ الأمر بالناس وعظُم الكرب في هذا الموقف العظيم ، استشفعوا إلى الله عزَّ وجلَّ بالرسل والأنبياء أن ينقذهم مما هم فيه ، ويعجل لهم فصل القضاء ، وكل رسول يُحيلهم على من بعده ، حتى يأتون محمداً ﷺ فيشفع فيهم و يقبل الباري عزَّ وجلَّ شفاعته ، فينصرف الناس إلى القضاء . (ياسين ، ١٤١٢هـ ، ص١٠١) .

و الشفاعة لمن يأذن الله تعالى له أن يشفع ، قال تعالى : ((مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ)) (سورة البقرة ، الآية ٢٥٥) . والشفاعة على ثمانية أنواع هي :

- الشفاعة العظمى : وهي خاصة بنبينا محمد ﷺ وهي المقام المحمود الذي وعده الله تعالى بقوله : ((عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا)) (سورة الإسراء ، الآية ٧٩) . وهي التي يشفع فيها للناس في الموقف ، فيقبل الله تعالى شفاعته وينصرف الناس إلى القضاء .
- الشفاعة لأهل الجنة في دخولها ، فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : { أنا أول الناس يشفع في الجنة ، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً } . (النووي ، ١٤١١هـ ، ج ٣ ، كتاب الإيمان ، باب ٨٥ : قول النبي ﷺ أنا أول الناس يشفع في الجنة .. ، ص ٧٣ ، برقم : ١٩٦٣٣٠) .
- الشفاعة في أقوام تساوت حسناتهم وسيئاتهم ، فيشفع فيهم لدخول الجنة .
- الشفاعة في درجات أقوام من أهل الجنة ، فوق ما تقتضيه أحوالهم .
- الشفاعة في أقوام قد أُمر بهم إلى النار ، أن لا يدخلوها .
- الشفاعة في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب ، ومن أدلة هذا النوع قول الرسول ﷺ لعكاشة بن محصن رضي الله تعالى عنه ، لما طلب منه أن يدعو الله تعالى أن يجعله من السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بلا حساب . (النووي ، ١٤١١هـ ج ٣ ، كتاب الإيمان ، باب ٩٤ : الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة

بغير حساب ولا عذاب ، ص ٨٨ ، برقم : ٢١٦٣٦٧) . و { يقول الله تعالى لمحمد ﷺ في حديث الشفاعة : « أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة » وهذا بعد قبول شفاعته . (النووي ، ١٤١١هـ ، ج ٣ ، كتاب الإيمان ، باب ٨٤ : أدنى أهل الجنة منزلة فيها ، ص ٦٩ ، برقم : ١٩٤٣٢٧) .

- الشفاعة في أهل الكبائر من الموحدين ممن أُدخِلوا النار فيخرجون منها . كما جاء ذلك صريحاً في الأحاديث الكثيرة التي بلغت حد التواتر ، و هي عامة و تتكرر من الرسول ﷺ مرات ، ويشفع أيضاً الملائكة و النبيون والمؤمنون كما صرحت بذلك الأحاديث الواردة فيها . (النووي ، ١٤١١هـ ، ج٣ ، كتاب الإيمان ، باب٨١ : معرفة طريق الرؤية ، ص ٣٢ ، برقم : ١٨٣٣٠٢) .
- شفاعة الرسول ﷺ في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب ، لما روى البخاري و مسلم بسنديهما عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ عنده عمه أبو طالب قال : { لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة ، فيجعل في ضحضاح من نار يغلي منه دماغه } (النووي ، ١٤١١هـ ، ج ٣ ، كتاب الإيمان ، باب ٩٠ : شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب و التخفيف عنه بسببه ، ص ٨٤ ، برقم : ٢٠٩٣٥٧) أي لا تنفعه الشفاعة في الخروج من النار لكونه مات غير موحد ، بخلاف أهل التوحيد . والله تعالى أعلم . (الحصان ، ١٤١٥هـ ، ص ١٠٧) .

ثم يبدأ الله تعالى العرض والحساب : فيُطلِع الإنسان على أعماله في الدنيا ويقرره بذلك ، كما يقتص لبعض الخلق من بعض ، و يقضي بينهم و ذلك على الله تعالى يسير . و أدلة القرآن الكريم و السنة الشريفة على هذا كثيرة جداً . منها قوله تعالى : ((وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ)) (سورة الكهف ، الآية ٤٨) . وقوله : ((إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ)) (سورة الغاشية ، الآيتان :٢٥،٢٦) .

والله سبحانه هو الذي يتولى حساب خلقه بنفسه ، لقول رسول الله ﷺ : { ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان } (النووي ،١٤١١هـ ، ج٧ ، كتاب الزكاة ، باب ٢٠ : الحث على الصدق .. ، ص ١٠١ ، برقم : ١٠١٦٦٦) .

ويُؤتى بالكتب التي دونتها الملائكة الحفظة على ابن آدم ، ليقرأ ما كتب بها ، وليقف كل إنسان على عمله كما أخبر تبارك وتعالى عن هذا بقوله : ((وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَ نُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُورًا * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ اليَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا)) (سورة الإسراء ، الآيتان ١٣ ، ١٤) . ويجد الإنسان أنه قد دُوّن عليه كل صغيرة وكبيرة ، قال تعالى : ((وَوُضِعَ الكِتَابُ فَتَرَىٰ المُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَ وَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا)) (سورة الكهف ، الآية ٤٩) .

ويعرف كل إنسان حاله عند توزيع الصحف أي الكتب ، فمن أوتي كتابه باليمين فهو من المفلحين ، وحسابه سهل يسير ، ومن أوتي كتابه بشماله من وراء ظهره ، فإن حسابه شاق وعسير ، ومن فضل الله تعالى ولطفه بالمؤمنين أنه لا يناقشهم الحساب على أعمالهم ، وإنما يعرضها عليهم ، ويقررهم بها ، وهي مما ستره عليهم في الدنيا ، وكذلك لا يطلع عليها أحداً في هذا الموقف ، و يقول لهؤلاء إني قد سترت ذلك في الدنيا و أنا أغفرها اليوم . بخلاف الكفار فيُنادى بهم على رؤوس الأشهاد . لما جاء عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه سُئل :كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى ؟ قال : سمعته يقول : { يُدنَى المؤمن يوم القيامة من ربه عزَّ وجلَّ حتى يضع عليه كنفه ، فيقرره بذنوبه ، فيقول : هل تعرف ؟ . فيقول : أي ربِّ أعرف . قال : فإني قد سترتها عليك في الدنيا ، و إني أغفرها لك اليوم ، فيعطى صحيفة حسناته . وأما الكفار والمنافقون ، فيُنادى بهم على رؤوس الخلائق :هؤلاء الذين كذبوا على الله } . (النووي ، ١٤١١هـ ، ج١٧ ، كتاب التوبة ، باب ٨ : سعة رحمة الله تعالى على المؤمنين ، ص٨٦ ، برقم : ٢٧٦٨٥٢) .

ولا مجال للإنكار في ذلك اليوم ، لأن الأرض تخبر بما عمل عليها كل إنسان ، وتنطق الجوارح بما كسبت ، قال تعالى : ((إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَ أَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الإِنْسَانُ مَالَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا)) (سورة الزلزلة ، الآيات ١ : ٤) أي تحدّث بما عمل العاملون على ظهرها . (ابن كثير ، ١٣٨٨هـ ، ج٤ ، ص٥٣٩) .

وقال تعالى : ((اليَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَ تُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَ تَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)) (سورة يس ، الآية ٦٥) .

والحوض مورد ماء عظيم ترده أمة محمد ﷺ يوم القيامة ، إلا من خالف هديه وبدَّل بعده . و لم يذكر في القرآن الكريم ، ولكن مما ورد من صفته في أحاديث كثيرة بلغت حد التواتر أنه : حوض عظيم ، ومورد كريم ، يمد من شراب الجنة ، من نهر الكوثر ، الذي هو أشد بياضاً من اللبن ، وأبرد من الثلج ، وأحلى من العسل ، وأطيب ريحاً من المسك ، وهو في غاية الاتساع ، عرضه وطوله سواء ، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر ، فسبحان الخالق الذي لا يعجزه شيء . (ابن أبي العز ، ١٣٩٩هـ ، ص ٢٥١) .

والميزان يوضع لوزن أعمال العباد بعد انقضاء الحساب و التقرير بالأعمال و عرضها على ابن آدم ، فتوزن الأعمال خيرها وشرها ، إظهاراً لعدل الله تعالى ، قال تعالى : ((وَ نَضَعُ المَوَازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَ إِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ)) (سورة الأنبياء ، الآية ٤٧) . وبعد معرفة مقادير الأعمال يكون الجزاء عليها ، فيقول تعالى : ((فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * وَ أَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌ)) (سورة القارعة ، الآيات ٦ : ١١) . ثم يعبر الناس على الصراط قبل دخول الجنة أو النار .

و الصراط : هو الطريق وهو الجسر المنصوب على جهنم ، طريقاً إلى الجنة ، والمرور على الصراط عام لجميع الناس ، ولا يمكن الوصول إلى الجنة إلا بعد تجاوزه . قال تعالى : ((وَإِنْ مِّنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا)) (سورة مريم ، الآية ٧١) .

فالورود المذكور في الآية هو المرور على الصراط ، و لا ينجو منه أحد فقد أشار الرسول ﷺ إلى أن ورود النار لا يستلزم دخولها ، فالجميع يمرون من فوق جهنم على الصراط ، و ينجي الله تعالى المؤمنين ، و يذر الظالمين في النار لا يستطيعون تجاوزها . (النووي ، ١٤١١هـ ، ج ١٦ ، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، باب ٣٨ : من فضائل أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان رضي الله تعالى عنهم ، ص ٥٨ ، برقم : ٢٤٩٦١٦٣) .

والجنة والنار مخلوقتان من مخلوقات الله تعالى ، أعدهما للثواب والعقاب ، وأنه سبحانه وتعالى خلقهما قبل الخلق ، وأنهما موجودتان الآن ، وأنهما باقيتان ولا تبيدان ، يدل على هذا حديث الإسراء والمعراج (ابن حجر ، ١٤٢١هـ ، ج ١٢ ،كتاب التعبير باب ٤٨ : تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح ، ص ٥٤٢ ، برقم : ٧٠٤٧) . وقال الله تعالى : ((فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَٰوَٰتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ * وَ أَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَٰوَٰتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ)) (سورة هود ، الآيات ١٠٦ : ١٠٨) .

والآيات التي تصف نعيم الجنة كثيرة منها قوله تعالى: ((إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَ نَعِيمٍ * فَٰكِهِينَ بِمَا ءَاتَٰهُمْ رَبُّهُمْ وَ وَقَٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الجَحِيمِ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَ زَوَّجْنَٰهُمْ بِحُورٍ عِينٍ * وَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَ اتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَٰهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ * وَأَمْدَدْنَٰهُمْ بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ * يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لاَّ لَغْوٌ فِيهَا وَ لاَ تَأْثِيمٌ * وَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ)) (سورة الطور ، الآيات ١٧ : ٢٤) .

والآيات التي تصف عذاب جهنم كثيرة منها قوله عزَّ وجلَّ: ((فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَ الجُلُودُ * وَ لَهُمْ مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ * كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الحَرِيقِ)) (سورة الحج ،الآيات ١٩ : ٢٢) .

هذه بعض الحقائق التي وردت عن اليوم الآخر بما فيه من حياة القبر ، والبعث والحشر والصحف والحساب ، والميزان ، و الشفاعة والحوض ، و الصراط و الجنة و النار ، ونعوذ بك اللهم من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال ، آمين . ومن يؤمن بنعيم الجنة وأن فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر فإنه يعمل بموجباتها ليكون بها من الفائزين . ومن يؤمن بعذاب النار التي وقودها الناس والحجارة ، فحتماً يسعى لتجنب موبقاتها .

الآثار التربوية الناجمة عن تطبيق مبدأ الإيمان باليوم الآخر :

لما كان الإنسان مفطوراً على طلب المصلحة لنفسه ، ودفع المفسدة عنها ، كان الإيمان باليوم الآخر مقوياً للوازع النفسي عنده ، ذلك الذي يرغّب في الخير ، ويصد عن الشر . ولذلك جاءت عناية القرآن الكريم بكثرة التذكير باليوم الآخر ، حتى يتعمق ذلك الوازع في قلب المؤمن ويشتد تأثيره ، وتظهر آثار تطبيق مبدأ الإيمان باليوم الآخر بوضوح وجلاء في حياة المؤمنين ، ومن هذه الآثار التربوية ما يلي : -

١ - تربية العقل على المنطق السليم :

إن كل إنسان يفكر في هذا الكون بدون تحيز إلى أهوائه سيصل إلى حقيقة أن كل ما في الكون من حياة وموت ، أو ضعف بعد قوة ، يدل على أنه صائر إلى زوال ، ومُسيَّر بغير إرادته . ومن الناس من هو محسن وصالح ، ومن هو ظالم وفاسد ، كلهم إلى الموت سواء ، من غير تمييز بين المحسن و المسيء ، فهل يستوي ذلك كله ؟ هل يُترك المسيء دون عقاب ؟ و يموت المحسن دون ثواب ؟ فما الحكمة إذن من هذه الحياة ؟ وما الحكمة من هذه التكاليف فيها ؟ أيكون كل هذا الكون البديع خُلقَ عبثاً ؟ كلا . قال الله تبارك و تعالى : ((أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَ أَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ)) (سورة المؤمنون ، الآيتان ١١٥ ، ١١٦) .

« إن العقل السليم و الفطرة السليمة لا تستسيغان ذلك ، و لا تستسيغان أن يكون هذا الكون المنظم البديع مصيره إلى الفناء بغير هدف ولا غاية . فالكون الذي يدل على خالق مبدع حكيم ، يدل على أن وراء وجوده غاية من أجلها أوجده الله تعالى ، وهذه النتيجة يتوصل إليها العقل السليم بفطرته النقية ، و بالقياس المنطقي على خلق الله لهذا الكون وللإنسان يستلزم العقل الصحيح الخالي عن التحيز للهوى ، أن الذي خلق الكون أول مرة قادر على إعادته خلقاً جديداً ، و كذلك خلق الإنسان . هذه السلسلة من التفكير كل حلقة مرتبطة بسابقتها هي التي بنى عليها القرآن أدلته على وجود الله تعالى ، ثم على اليوم الآخر ، و التربية الإسلامية تنمي عقل الإنسان دائماً على هذا التفكير السليم و الارتباط المنطقي بين المقدمات و النتائج ، كما تربيه على ألا يستسيغ العبث و انعدام الغاية ، والخضوع للمصادفة ، فكل ذلك ليس من الفطرة العقلية السليمة في شيء ، والله تعالى لا يرضى لنا أن يكون عقلنا معوجاً سقيماً لذلك قال : ((وَلاَ يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ)) .

(سـورة الزمر ، الآية ٧) . لأن الكفر بوجود الله تعالى وباليوم الآخر معناه خضوع العقل للعبث والمصادفة وعدم التعليل الصحيح » . (النحلاوي ، ١٣٩٩هـ ، ص ٩٢).

٢ – تربية الإنسان الصالح :

إن الإيمان باليوم الآخر يربي في الإنسان حب العمل الصالح ، وكثيراً ما يربط القرآن الكريم بين الإيمان باليوم الآخر والعمل الصالح ، ومن ذلك قوله تعالى : ((إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللهِ وَ اليَوْمِ الآخِرِ وَ أَقَامَ الصَّلَوٰةَ وَ ءَاتَىٰ الزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللهَ)) (سورة التوبة ، الآية ١٨) . وقوله تعالى : ((مَنْ ءَامَنَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ)) (سورة البقرة الآية ٦٢) . فالإيمان باليوم الآخر له أثر عظيم في حياة الإنسان ، ذلك أن الإيمان به و بما فيه من جنة ونار وحساب وعقاب وثواب،وفوز وخسران له أشد الأثر في توجيه الإنسان وانضباطه والتزامه بالعمل الصالح وتقوى الله عزَّ وجلَّ ، وشتان ما بين اثنين : أحدهما لا يعتقد ببعث ولا حساب على أعماله وأقواله ، ولا يقيده غير مصلحته الشخصية ومنفعته الذاتية ، وآخر يعتقد بيوم يحاكم فيه الإنسان على أعماله وأقواله أمام أعدل العادلين ، فيثاب على الخير ويعاقب على الشر ، فالأول منفلت من أي ضابط سوى هواه وشهوته ، والغاية عنده غاية أنانية تبرر أية وسيلة وأي خلق وأي عمل مهما كان ضرره . والآخر منضبط في حدود الحق والخير والصلاح ، وهي الأمور التي لها وزن واعتبار عند الله تعالى في ذلك اليوم ، كما قال تعالى : ((وَالوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَ زِينُهُ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ * وَ مَنْ خَفَّتْ مَوَ زِينُهُ فَأُوْلَـٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ)) (سورة الأعراف ، الآيتان ٨ ، ٩) .

وينفي الله تعالى صدور العمل الصالح ممن لا يؤمن باليوم الآخر كما في قوله تعالى : ((أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ اليَتِيمَ * وَ لاَ يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ المِسْكِينِ)) (سورة الماعون ، الآيات ١ : ٣) . و قوله عزَّ و جلَّ : ((لاَ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ)) (سورة المجادلة ، الآية ٢٢) .

٣ – تربية الشعور الحقيقي بالمسئولية :

إن الإيمان باليوم الآخر يُولِّد في النفس الإحساس بالمسئولية وأن كل شيء هو أمانة سوف نُحاسب عليها ، و نسأل عنها ، هل أديناها على الوجه الصحيح ؟ أم تهاونَّا

في أدائها ؟ حافظنا عليها ؟ أم فرَّطنا فيها ؟ . ذلك أنه لا تُترك صغيرة و لا كبيرة إلا و قد كتبتها عنا الملائكـــة الكتبة الكرام في الصحف ، وتعرض على الله تعالى في اليوم الآخر ، يوم لا تخفى عنه خافية . و الإيمان باليوم الآخر هو الوازع و الدافع الحقيقي الذي يكمن وراء الشعور بالمسئولية الجديَّة الحقَّة ، وأن لا شعور بالمسئولية حقاً بدون هذا الإيـــمان ، و بهذا المبدأ يتقبَّل المسلمون التشريع الإسلامي طواعية ، و دون حاجة لاستعمال السياط و أقسى العقوبات ، و دون تهرب أو احتيال على هذا القانون الإلهي ، لأنهم يؤمنون أنهم في اليوم الآخر لن يمكنهم الإفلات من الحساب والعقاب من الله تعـــالى رب العباد ، قال الله تعـــالى : ((وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَّسْئُولُونَ)) (سورة الصافات ، الآية ٢٤) . أي يُسألون عن أقوالهم وأعمالهم في الدنيا (الرازي ، ١٤١١هـــ ، ج ٢٦ ، ص ١١٦) . وقال سبحانه وتعالى : ((وَ لاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَ البَصَرَ وَ الفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـــئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً)) (سورة الإسراء ، الآية ٣٦) . و هذا نهي من الله تعالى عن أن يتبع الإنسان أي قول أو عمل لا يعلم صحته أو فساده ، و عن أن يعمل بما لا يعلم صوابه .فإن أعضاء السمع و البصر و الفؤاد تُسأل ، و تشهد على صاحبهـــا يوم القيامـــة عما نُسِبَ إليها . (القاسمي ، ١٤١٨هـــ ، ج٦ ، ص٤٦٠) .

ويقول الرسول ﷺ : { لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأَلَ عن عمره فيم أفناه وعن علمه فيم فعل ، وعن ماله من أين اكتسبه و فيم أنفقه ، وعن جسمه فيم أبلاه } . (الترمذي ، ١٣٥٧هـــ ، ج٤ ،كتاب صفة يوم القيامة ...،باب١: في القيامة ،ص٥٢٩ بـــرقم: ٢٤١٧) . و إنا لمحاسبون و مسئولون عن النعيم قلَّ أم كثُرَ ، قال تعالى : ((ثُمَّ لَتُسْـــئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ)) (سورة التكاثر ، الآية ٨) .

وينمي الإيـــمان باليوم الآخر المسئولية عن مبدأ تربوي هام هو الوفاء بالعهد . فيقول تعالى : ((وَأَوْفُوا بِالعَهْدِ إِنَّ العَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً)) (سورة الإسراء ، الآية ٣٤) . فكل عهد وعقـــد بين طرفين يجب عليهما الوفاء بمقتضاه ، ومنه عقد البيع والشركة ،وعقد اليمين والنذر ، وعقد الصلح ، وعقد النكاح ، فصاحب العهد والعقد مسئول عنه يوم القيامة . (الرازي ، ١٤١١هـــ ، ج ٢٠ ، ص ١٦٤) .

٤ – الثبات على الأخلاق الفاضلة وأداء العبادات :

حـــين يؤمن الإنسان باليوم الآخر وما أعدَّ الله تعالى من الثواب العظيم والنعيم المقـــيم لمن تمسك بالأخلاق الفاضلـــة ، وثبت على أداء العبادات كاملة ، فإنه لن يتخلى عنها أبداً في سائر لحظات حياته ، ولن يقصّر أو يهمل في أدائها حرصاً منه على نيل هذا النعـــيم ، وخوفاً من عقاب الله تعالى للمفرّط فيها . قال تعالى مخبراً عن عظم جزاء الصبر وأنه لا حدود له : ((إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ)) (سورة الزمر،الآية١٠) وقال تعالى: ((إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ))(سورة المؤمنون،الآية١١١) وعن ثواب الثبات على خلق الصدق : ((قَالَ اللهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّـٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَـوْزُ الْعَظِيمُ)) (سورة المائدة ، الآية ١١٩) . و قال تعالى : ((وَ مَنْ يُطِعِ اللهَ وَ الرَّسُولَ فَأُوْلَـٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِّنَ النَّبِيِّـۧنَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّـٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَـٰئِكَ رَفِيقًا)) (سورة النساء ، الآية ٦٩) . ومما يشجع على الوفاء بالعهد وعدم نقض المواثيق ، و الخشية من الله تعالى ، وصلة الرحم ، و إقامة الصلاة ، والنفقة على المحتاجين سراً وعلانيةً ، و مقابلة السيئة بالحسنة ابتغاء وجه الله تعالى لا رياء في ذلك ولا نفاق ، ما أعده الله عزَّ و جلَّ لمن خافه واتقاه فقال تعالى : ((أُوْلَـٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ * جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَ أَزْوَٰجِهِمْ وَ ذُرِّيَّـٰتِهِمْ وَالْمَلَـٰئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِّنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ))(سورة الرعد،الآيات٢٢ :٢٤)

والجـــزاء على الأعمال الصالحة والعبادات يكون مستمراً من حياة البرزخ إلى الحياة الآخرة في جنات النعيم ، وتدفع عنه عذاب القبر ، فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال : { إن الميت إذا وضع في قبره يسمع خفق نعالهم حين يولـــون عنه ، فإن كان مؤمناً كانت الصلاة عند رأســـه ، وكان الصيام عن يمينه ، وكانت الزكاة عن شماله ، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجليه فيؤتى من قبل رأسه ، فتقول الصلاة : ما قبلي مدخل . ثم يؤتى عن يمينه ، فيقول الصيام : ما قبلي مدخل . ثم يؤتى عن يساره ، فتقول الزكاة : ما قبلي مدخل . ثم يؤتى من قبل رجليه ، فيقول فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس : ما قبلي

مدخل } (ابن حبان ، ١٤١٧هـ ، ج ٥ ، فصل في أحوال الميت في قبره ، ص ٤٥ ، برقم : ٣١٠٣) .

ومن العبادات التي تعصم من عذاب القبر أيضاً الشهادة في سبيل الله تعالى ، والمرابطة في سبيله،قال ﷺ : { للشهيد عند الله ست خصال : يغفر له في أول دفعة ، ويرى مقعده في الجنة ، و يجار من عذاب القبر ، و يأمن من الفزع الأكبر ، و يوضع على رأسه تاج الوقار ؛ الياقوتة منها خير من الدنيا و ما فيها ، و يزوج اثنتين و سبعين زوجة من الحور العين ، ويشفع في سبعين من أقربائه } (الترمذي ، ١٣٥٧هـ ، ج ٤، كتاب فضائل الجهاد ، باب ٢٥: في فضائل الشهيد ، ص١٦١ ، برقم : ١٦٦٣) . وعن المرابطة في سبيل الله تعالى ، يقول ﷺ : { كل ميت يختم على عمله إلا الذي مات مرابطاً في سبيل الله فإنه ينمَّى له عمله يوم القيامة ، ويأمن فتنة القبر } (الترمذي ، ١٣٥٧هـ ، ج ٤ ، كتاب فضائل الجهاد ، باب ٢: ما جاء في فضل من مات مرابطاً ، ص ١٤٢ ، برقم : ١٦٢١) .

وهناك الكثير من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة الدالة على عظم جزاء الثبات على أداء العبادات والأخلاق الفاضلة ، والتي لا يؤمن بها إلا من آمن باليوم الآخر وما فيه من نعيم مقيم ، ولذا فهو يحرص على المداومة على فعل الواجبات وعمل الصالحات .

د - البعد عن الإفساد والرذائل :

إن الإيمان باليوم الآخر يستلزم منه الإيمان بنعيم الله عزَّ وجل للمؤمنين ، والإيمان بعقابه للكافرين والمفسدين في الأرض ، ومن هم على شاكلتهم ، وقد ذكر الله تعالى من أنواع العذاب صوراً كثيرة في كتابه الكريم ، و على لسان نبيه المصطفى ﷺ ، ومن هذا العذاب ما ذكر في قوله تعالى : ((إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَ يَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِّنْ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ)) (سورة المائدة ، الآية ٣٣) . والمفسد في الأرض لا يترك حرثاً ولا نسلاً إلا أفسده ، حتى وإن وجد من يسدي له النصح والتوجيه فلا يتقبل منه ، قال تعالى : ((وَ إِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَ يُهْلِكَ الحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَ اللهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ * وَ إِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ أَخَذَتْهُ العِزَّةُ بِالإِثْمِ

فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ)) (سورة البقرة ، الآيتان :٢٠٥ ، ٢٠٦) . والذي يؤمن باليوم الآخر حقاً يخاف ما ينتظره من العقاب الأليم جزاء إفساده إن هو أفسد في الأرض ، لذا نجده يبتعد عن الإفساد بجميع صوره ، ويترفع عن ظلم الآخرين ، وعن الدنايا وارتكاب الفواحش ، فنجده يبتعد عن ارتكاب الزنا مخافة التعرض لعذاب الله تعالى ، ولا يتعامل بالربا ، و لا يلجأ إلى الكذب ، و قد أخبر الرسول ﷺ عن شدة عذاب مرتكبي هذه المفاسد والفواحش في اليوم الآخر في حديث طويل رواه الإمام البخاري يرحمه الله تعالى . (ابن حجر ، ١٤٢١هـ ، ج ١٢ ، كتاب التعبير ، باب ٤٨ : تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح ، ص ٥٤٢ ، برقم : ٧٠٤٧).

وعدم الاستتار من البول تأباه النفس الزكية ، ويعاقب عليه المسلم في قبره وهو أول منازل الآخرة و هو القبر ، كما يعاقب على النميمة و الغلول ، و الربا ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : مرَّ النبي ﷺ على قبرين ، فقال : { إنهما ليعذبان ، وما يعذبان في كبير ، ثم قال : بلى ، أمّا أحدهما فكان يسعى بالنميمة ، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله ، ثم قال : ثم أخذ عوداً رطباً فكسره باثنتين ، ثم غرز كل واحدة منهما على قبر ، ثم قال : لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا } (ابن حجر ، ١٤٢١هـ ، ج ٣ ،كتاب الجنائز ، باب ٨٨ : عذاب القبر من الغيبة والبول ، ص ٣١٠ ، برقم : ١٣٧٨) .

أما العذاب لغلول فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أهدى رجل لرسول الله ﷺ غلاماً فلما نزلنا الوادي قام عبد رسول الله ﷺ يحل رحله فرمي بسهم فقتله ، فقال الناس : هنيئاً له الشهادة . فقال الرسول ﷺ :{ كلا ، والذي نفسي بيده إن الشملة التي أخذها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم ، لتشتعل عليه ناراً} فلما سمع ذلك الناس جاء رجل بشراك أو شراكين إلى النبي ﷺ ، فقال : { شراك من نار أو شراكين من نار } (النووي ١٤١١هـ ، ج ٢ ، كتاب الإيمان ، باب ٤٨: غلظ تحريم الغلول .. ، ص ١٢٨ ، برقم : ١١٥١٨٣) .

وحرم الله تعالى البخل وشدد عقوبته ، فقال سبحانه وتعالى : ((وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ لِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)) (سورة آل عمران ،

الآية ١٨٠) . كما حرم اكتناز الذهب والفضة ، فقال تعالى : ((وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ وَلاَ يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَـاهُهُمْ وَ جُنُوبُهُمْ وَ ظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِـكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ)) (سورة التوبة ، الآيتان :٣٤ ، ٣٥) .

وقد توعد الله تعالى بالعذاب الأليم يوم القيامة للمطففين ، وهم الذين ينقصون الكيل والميزان لمصلحتهم هم ، فيأكلون حقوق الآخرين بغير حق قلَّ ذلك أو كثر ، فقال تعالى : ((وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَىٰ النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَ إِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ * أَلاَ يَظُنُّ أُوْلَـٰئِكَ أَنَّهُمْ مَّبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العَـٰلَمِينَ)) (سورة المطففين ، الآيات من١ : ٦) . و جميع الأعمال السيئة و الفواحش قد أعـد الله تعالى لفاعليها العذاب الأليم والوعيد الشديد فمن آمن بذلك حق الإيمان ، وأنه واقـع يوم القيامة لا محالة ، فإنه يبتعد عن ارتكاب المحرمات ويتقي الله تعـالى ويخشاه في السر والعلانية . فاللهم اختم بالصالحات أعمالنا ، وبالحسنات آجالنا . آمين .

٦ – إيثار الآخرة على الدنيا والصبر على الشدائد :

قال الله تعالى في كتابه العزيز : ((فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ * وَ ءَاثَرَ الحَيَـوٰةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الجَحِيمَ هِيَ المَأْوَىٰ * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَىٰ * فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأْوَىٰ)) (سورة النازعات ، الآيات من ٣٧ : ٤١) . فنعيم الآخرة دائم ، لم تره عين ، و لم تسمع به أذن ، و لم يخطر على قلب بشر ، والمؤمن يؤثر نعيم الآخرة على ملذات الدنيا و خيراتها الفانية ، ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسـنة في الزهد وإيثار الآخرة على الدنيا ، وكذلك نساء أمهات المؤمنين رضي الله عنهن ، فحين اجتمعن ليطالبن رسول الله ﷺ بأن يمـتعهن بزينة الحياة الدنيا نزل قول الله تعالى : ((يَـٰأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَٰجِكَ إِنْ كُنْـتُنَّ تُرِدْنَ الحَيَوةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً * وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا)) (سورة الأحزاب ، الآيـتان ٢٨ ، ٢٩) . فما كان من أمهات المؤمنين رضي الله تعالى عنهن إلا أن آثرن الله تعالى و رسوله ﷺ والآخرة على متاع الحياة الدنيا و مغرياتها .

فمـــا مـــن شيء أقوى على الإنسان من مغالبة الدنيا والهوى والصبر على مجاهدتها ، وعلى العناء والجهاد في سبيل الدعوة إلى الله تعـــالى ، وتكفل الله سبحانه وتعالى بثوابه في الدنيا والآخـــرة فقال عزَّ وجلَّ : ((فَأَتَـــاهُمْ اللهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَ اللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)) (سورة آل عمران ، الآية ١٤٨) .

أما من أخلد إلى الهوى وحب ملذات الدنيا ، واستجاب لمشـــاعر الضعف والتردد ، وآثـــر محبة متاع الدنيا الزائف على محبة الله تعالى ونعيم اليوم الآخر فقد همدت فيه حماسة الإيـــمان ، وخمدت شعلة اليقين ، وهو حينئذ منحرف عن السبيل ، متعرض لسخط الله و عقابه كما في قوله تعالى : ((قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَ أَبْنَاؤُكُمْ وَ إِخْوَانُكُمْ وَ أَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَ أَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَ تِجَـــارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَ مَسَـــاكِنَ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللهِ وَ رَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَـــاسِقِينَ)) (سورة التوبة ، الآية ٢٤) . إن الإنسان حين يعتـــبر بهذا الوعيـــد في جميع لحظات حياته ، وحين يجعل نعيم الآخـــرة نصب عينيه دائماً وأبداً ، تستيقظ مشـــاعره ويتحرك وجدانه فيعمل في دنياه غير مفتون بها ولا مغرور ، و يعمل لآخرته غير غافل ولا عابث ولا متباطئ ، وهذا سر الإيمان باليوم الآخر وأثره في حياة المؤمن .

٧ – غرس الطمأنينة والثقة في النفس للإيمان بالعدل الإلهي في اليوم الآخر :

لقد شهدت الحياة وما تزال تشهد دماءً سُفكت بغير حق ، وحقوقاً اغتصبت بالعدوان والقهر ، كما شهدت طغيان الشهوات و تصارع الرغبات و انتهاك الحرمات ، و لا يزال الظلم موجود ما دامت الحياة الدنيا ، و من العبث أن يموت كلٌ منهم دون أن ينتصر الحق وينهزم الباطل ، ودون أن ينتصر المظلوم ويندحر الظالم ، وقد قال الله تعالى : ((أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ)) (سورة القلم ، الآية ٣٥) . فكان لابد من يوم يظهر فيه الحـــق وتتضح فيه الحقائق ، و يفصل في القضايا التي طال فيها الخلاف ، ويقام فيه العدل وتصحح فيه الأوضاع . فلابد من اليوم الآخر الذي يقتص الله الملك الحق فيه من الظالمين وينتصـــر فيه المظلومون ، كما يتم فيه تعويضهم عن هذا الظلم ، و إثابتهم جزاء صبرهم وثباتهم على تعذيب الظالمين إياهم في الدنيا ، قال تعـــالى : ((إِنَّ الَّذِينَ فَـــتَنُوا الْمُؤْمِـــنِينَ وَالْمُؤْمِنَـــاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ)) (سورة البروج،الآية ١٠)

وقال تعالى يصف حال الظالمين : ((وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُ فَأُوْلَـٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ * تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَـٰلِحُونَ * أَلَمْ تَكُنْ ءَايَـٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ * قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَّـالِّينَ * رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَـٰلِمُونَ * قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلاَ تُكَلِّمُونِ * إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّٰحِمِينَ * فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَ كُنْتُمْ مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ * إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ)) (سورة المؤمنون ، الآيات ١٠٣ : ١١١) . وفي سرد هذه الأخبار تسلية وتثبيت للمضطهدين المجاهدين في سبيل الله تعالى فلا يأبهون لما يلاقونه من الآلام والمصاعب فقد اطمأنت نفوسهم ثقة منهم وإيماناً بأن الله تعالى معهم وناصرهم يوماً ما ، وسيجازيهم على صبرهم وثباتهم أوفى الجزاء وأوفر الحظ والنعيم .

٨ – إقامة العدل في الحياة الدنيا :

إن من يؤمن باليوم الآخر وما سيلحق بالظالمين من عقوبة وخيمة وعذاب أليم سيبتعد عن ظلم الآخرين ، وسيحرص على العدل ، وعلى نشره بين الناس ، وامتثالاً لأمر الله تعالى فقد قال عزَّ وجلَّ : ((إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَ الإِحْسَـٰنِ وَإِيْتَاءِ ذِي القُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الفَحْشَـاءِ وَ المُنْكَرِ وَ البَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)) (سورة النحل ، الآية ٩٠) . لا يثنيهم عن إقامة العدل كون الآخرين على غير دينهم ، فقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يحكم بالعدل بين اليهود فقال تعالى : ((وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالقِسْطِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُقْسِطِينَ)) (سورة المائدة ، الآية ٤٢) . كما لا يثنيهم عن العدل في الآخرين بغضهم ، فقد أمر الله تعالى بذلك : ((يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالقِسْطِ وَ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَئَانُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَ اتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)) (سورة المائدة ، الآية ٨) .

ومن يؤمن باليوم الآخر يحرص على نيل ثواب العادلين فقد أخبر أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :{سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله تعالى ، ورجل قلبه معلق في المساجد ، ورجلان تحابَّا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب و جمال فقال إني أخاف الله ، ورجل تصدق

بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، و رجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه } (النووي ، ١٤١١هـ ، ج ٧ ،كتاب الزكاة ، باب ٣٠ : فضل إخفاء الصدقة ، ص ١٢٠ ، برقم : ١٠٣١٩١) .

و إن العادلين في الجنة خالدون ، قال رسول ﷺ : { أهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مقسط موفَّق ، و رجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى و مسلم ، و عفيف متعفف ذو عيال } (النووي ، ١٤١١هـ ، ج ١٧ ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب١٦: الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار ، ص ١٩٧ ، برقم : ٢٨٦٥٦٣) وقال رسول الله ﷺ :{ إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عزَّ وجلَّ وكلتا يديه يمين ، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وَلُوا } و المقسطون هم العادلون (النووي ، ١٤١١هـ ، ج ١٢ ، كتاب الإمارة ، باب ٥ : فضيلة الأمير العادل ، ص ٢١١ ، برقم : ١٨٢٧١٨) .

٩ – ضبط جميع الدوافع والغرائز :

إن الإيمان باليوم الآخر يعمل على انضباط جميع الدوافع و الغرائز ، فالإيمان بوجود النعيم لمن هو أهل له ، ووجود العذاب الأليم لمن يستحقه في حياة البرزخ وفي دار المقام ، يكون رادعاً قوياً للإنسان المؤمن يردعه عن أن يُفلت الزمام لغرائزه و دوافعه و شهواته فلا ينحط بها إلى درك الحيوانية ، بل يضبطها و يسمو بها إلى مستوى الإنسانية الكريمة . و الله عزَّ وجلَّ وضع العقاب في الحياة الدنيا لمن ترك العنان لدوافعه تسيره كيف تشاء ، فأمر بإقامة الحدود والتعزيرات التي لها آلامها المادية والمعنوية علىمن انتهك محارم الله عزَّ و جلَّ ، إضافةً إلى عقاب الله الأليم في اليوم الآخر ، و ما ذلك إلا زيادةً في ضبط الدوافع والغرائز ، وإعانةً للإنسان على التحكم فيها . « والتحكم في هذه الغريزية الجامحة إنما يتم خوفاً من الله تعالى ، و طمعاً في جنته ، و الإسلام وضع لكل دافع غريزي من الترغيب والترهيب ، ومن التسامي به ما يخضعه لشريعة الله تعالى ، فيجعله طاقات مثمرة في حياة الفرد و المجتمع ، بدلاً من أن يعاكس الإنسان هذه الدوافع فتنقلب إلى طاقات مبددة عندما يصطدم بالكبت والإحباط ، فتوجيه الدوافع في الإسلام خير ألف مرة من

كبتها أو تناسيها ،كما في العقائد الأخرى التي تبالغ في الزهد فيها ، والتي لاتراعي الفطرة الإنسانية » (النحلاوي ، ١٣٩٩هـ ، ص ٩٠) .

ومن ضبط دوافعه وغرائزه فلم ينساق وراءها ، و لم يقمعها بالكبت ، فقد امتثل لأمر الله تعالى : ((وَ ابْتَغِ فِيمَا ءَاتَـاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَ لاَ تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا)) (سورة القصص ، الآية ٧٧) ونال رضاه ، وأمِنَ غضب الله تعالى وعذابه في الدنيا والآخرة .

١٠ – تربية تقوى الله عزَّ وجلَّ وخشيته في قلوب المؤمنين :

إن كـل إنسان يلقى كتابه يوم القيامـة منشوراً ، وقد سجلت عليه الملائكة أقوالـه وأعماله جميعها ، فلا يغادر الكتاب صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، وسيحاسب علـيها إن شراً فشر ، وإن خيراً فخير . فكيف يجرؤ من آمن بأن الله تعالى لا تخفى عليه خافية و أن عقابه هو العذاب الأليم على فعل المعاصي و ارتكاب المحرمات . إنه يتقي الله تعالى في كل لحظات حياته ويخشاه من أن تسجل عنه ملائكته ما يوجب غضب الله عليه و عقابه في اليوم الآخر . فحال المؤمنين دائمـاً يقول بأنهم : ((يَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا)) (سورة الإنسان ، الآية ٧) . وألسنتهم دوماً تقول : ((إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا)) (سورة الإنسان ، الآية ١٠) .

كيف لا تنمو تقوى الله تعـالى وخشيته في نفس المؤمن وهو يعلم أن أعضاء جسده وما يغطيها من جلد ستشهد عليه بما ارتكب من جُرمٍ وخطيئة قال تعالى : ((يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَ أَيْدِيهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)) (سورة النور ، الآية ٢٤) . وقوله تعالى : ((حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُـهُمْ وَ أَبْصَـارُهُمْ وَ جُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَ قَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَ هُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُـونَ * وَ مَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَ لاَ أَبْصَـارُكُمْ وَلاَ جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللهَ لاَ يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ)) (سورة فصلت ، الآيات ٢٠ : ٢٢) . كيف لا تنمو تقوى الله تعـالى وخشيته في نفس المؤمن وقد ذُكرت أهوال اليوم الآخر وعذابه في مواضع كثيرة من كتاب الله العزيز حتى تكاد لا تخلو صفحة من صفحاته المكرمة إلا وفيها ذكر وإشارة لليوم الآخر ، ليكون ماثلاً أمام عيون المؤمنين مثيراً للخشية من الله تعالى في نفوسهم ، مؤثرة في أعمال قلوبهم وجوارحهم ، حتى لتلين

جلودهم و قلوبهم من خشية الله عند تلاوة آيات القرآن الكريم ، أو الإنصات إليها . قال تعالى : ((اللهُ نَـزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّـتَـشَـٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللهِ)) (سورة الزمر ، الآية ٢٣) . هكذا تكون تربيـــة التقوى و الخشية من الله عزَّ و جلَّ في نفوس المؤمنين ثمرة من ثمرات التذكير الدائم بعذاب الله وعقابه في اليوم الآخر ، اللهم إنا نعوذ بك من عذاب القبر ومن عذاب جهنم ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال ، آمين .

هذه بعض الآثار التربوية الناجمة عن تطبيق المبادئ التربوية المتعلقة في جانب العقيدة ، وهي سلسلة من المبادئ العظيمة القيمة التي تقوم عليها تربية المجتمع المسلم القوي الأركان و التي لا تنفصل عن بعضها البعض بأي حال ، و كذلك آثارها التربويـــة لا يمكن فصل بعضها عن بعض ، وإن حدث الفصل بينها فلتسهيل الدراسة والتبيان ، أعاننا الله وإياكم في جني ثمرات الإيمان ، بكل توفيق وإحسان .

الفصـــل الرابـــع

المبادئ التربوية المتضمنة في جانب العبادة :

* المبدأ الأول : الخشوع في الصـلاة .
* المبدأ الثاني : إيتاء الزكـاة .
* المبدأ الثالث : التـقـوى .
* المبدأ الرابع : الـدعـاء .
* المبدأ الخامس : الـخـشـية .

تمهيد :

إن من العبـــادات التي وردت في سورة " المؤمنون " : الصلاة ، الزكاة ، التقوى ، الدعاء ، الخشية . ولكل مبدأ من هذه المبادئ آثاره التربويـــة الواضحة في بلورة شخصية المسلم ، حيث أن مقومات الشخصية المسلمة هي : العقيدة والعبادة والأخلاق . والعبادة مظهر متلازم والمقوم الأول : العقيدة ؛ إذ العقيدة الصادقـــة الصحيحة لابد وأن تصاحبها عبادة صادقة صحيحة ، ظاهرة دالة على ما في القلب من عقيدة .

ولا تعتبر أي عبادة صادقة وصحيحة إلا إذا وافقت ما جاء في كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ ، و لم تكن ابتداعاً من البشر . فالعبادة هي : طاعة الله تعالى بامتثال ما أمر به على ألسنة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم . وقد عرَّفها الشيخ ابن تيمية يرحمه الله تعـــالى فقال : العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله تعالى و يرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة . فالصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، وصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وبر الوالدين ، و صلة الأرحام ، و الوفاء بالعهود ،... وجهاد الكفار و المنافقين ، و الدعاء ، وخشية الله ، ... وأمثال ذلك هي من العبادات . (ابن تيمية ، ١٤٠١هـــ ، ص ٤) .

ولأهمية العبادة جعلها الله تعالى الغاية التي من أجلها خلق الخلق لها ، فقال تعالى : ((وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونَ)) (سورة الذاريات ، الآية ٥٦) . و قال سبحانه و تعالى : ((وَ لَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَ اجْتَنِبُوا الطَّـــاغُوتَ)) (سورة النحل ، الآية ٣٦) . و لا يكون المؤمن صادق الإيمـــان بالله تعـــالى إلا إذا صدقت عقيدته عـــبادته ، إذ كيف يؤمن أن الله تعالى خالقه ورازقه ومدبر أمره ثم هو يحمد ويعبد غيره ، أو يصرف شيئاً من أنواع العبادة لغيره ، أو راءى بها الناس ، و لم يخلص نيته لله تعالى .

ولأهمـــية العبادة لم يترك كيفية تعلمها على هدي عقل الإنسان وهواه ، بل أرسل الرسل لكل أمة تعلمهم كيفية العبادة وشروطها وأوقاتها وكل ما يتعلق بها . ومن عبد الله تعالى على هواه ، و لم يكن مقتفياً سنة نبيه ﷺ ، كان مبتدعاً مُعاقبًا على ابتداعه هذا . قال ﷺ : { من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد } فهو رد أي باطل . (النووي ١٤١١هـــ ، ج ١٢ ، كتاب الأقضية ، باب ٨ : نقض الأحكام الباطلـــة و رد محدثات الأمور ، ص ١٦ ، برقم : ١٧١٨١٧) .

ولأهمية العبادة اشترط لقبولها اليقظـــة الدائمة في إخلاص النية لله تعالى ، فكل عمل صالح يقوم به المؤمن يبتغي به وجه الله تعالى والتقرب إليه وطلب مرضاتـــه يكون عبادة كالكلمة الطيبة ، و التبسم في وجه المسلم ، والأكل والشرب و النوم هو عبادة إن نوى التقرب بها إلى الله عزَّ وجلَّ ، والتقوية على طاعته وبذل المزيد من النوافل في عبادته.

ومن العبادات الظاهرة الصلاة والزكاة ، والحج والجهاد ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، و الدعاء والذكر ، و قراءة القـــرآن الكريم ، و إماطـــة الأذى عن الطريق ، والكلمة الطيبة ، و التبسم في وجه المسلم ، والذبح والطواف بالبيت ، والسعي بين الصفا والمروة ، والعمرة وهناك من الأعمال الظاهرة الجبلِّية التي يؤديها الإنسان لحفظ النفس من الهلاك كتناول الطعام والشراب ، والنوم والنكاح ، واللباس إن أخلص النية فيها لله كانت له أجر العبـــادة . لقوله ﷺ : { إنما الأعمال بالنية ، و إنما لامرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه } (مسلم ، ١٤٢٠هـــ ، كتاب الإمارة ، باب ٤٥ : قوله ﷺ إنما الأعمال بالنية ... ، ص ٨٥٥ ، برقم : ١٩٠٧١٥٥) .

ومن العبادات الباطنـــة : حب الله تعالى ، وحب رسوله محمد ﷺ ، وحب الدين ، وإنكار المنكر بالقلب ، والدعاء به ، وحسن الظن بالله ، وحسن الظن بالناس ، والتوكل على الله تعالى والخشوع له ، والتقوى والخشية منه ، والإنابة والتوبة إليه ، والصبر . وكل هذه الأعمال الظاهرة والباطنة إذا أخلصها العبد لله تعـــالى وحده دون سواه ، و لم يطلب في ذلك رياء و لا سمعة كانت عبادة خالصة له ، قال تعالى : ((قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَ نُسُكِي وَمَحْيَايَ وَ مَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ العَـــلَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ المُسْلِمِينَ)) . (سورة الأنعام ، الآيتان ١٦٢ ، ١٦٣) .

فإخلاص النية لوجه الله تعالى و ابتغاء مرضاته شرط أساسي لقبول الله هذه العبادة ، و الرضا عنه و الفوز بجنته . فإن لم يخلص العبد نيـــته في أعماله بأن كان يريد من صلاته وصدقته وصيامه مراءاة الناس ليقال أنه مُكثر للصلاة مطيل لها ،كريم جواد ، صوام قوام ، لم يكـــن نصيبه من ذلك إلا التعب ، و دخول النار ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : { إن أول الناس يُقضَى يوم القيامـــة عليه رجل استشهد

فأُتيَ به فعرَّفَه نعمَه فعرفها . قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت . قال : كذبت ، ولكنك قاتلت لأن يُقال جرئ ، فقد قيل . ثم أُمِرَ به فسُحِبَ على وجهه حتى أُلقِيَ في النار . ورجل تعلَّم العلم وعلَّمه وقرأ القرآن فأُتيَ به فعرفه نعمه فعرفها . قال فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم و علمته ، و قرأت فيك القرآن . قال : كذبت ، ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم ، و قرأت القرآن ليقال هو قارئ ، فقد قيل ، ثم أُمِرَ به فسحب على وجهه حتى أُلقِيَ في النار . و رجل وسَّعَ الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأُتيَ به فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن يُنفَقَ فيها إلا أنفقت فيها لك ، قال : كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد ، فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار } (النووي ، ١٤١١هـ ، ج١٣ ، كتاب الإمارة ،باب ٤٣:من قاتل للرياء والسمعة استحق النار،ص ٥٠ ،برقم : ١٩٠٥١٥٢) .

و العبادة [بمعناها الواسع] تجعل حياة المسلم في صلة دائمة بالله تعالى ، وخضوع دائم لأوامر الله ، فالمسلم يستيقظ لذكر الله عند الفجر ، وينام بأمر الله بعد صلاة العشاء ويأكل ما أباحه الله ، ويمسك عن الطعام عندما يمنعه الله عن الطعام ، ويعطي من المال ما توجبه شريعة الله و يتمتع بالمال كما يسمح له الله ، و يأتي شهوته من حيث أمره الله ، و يمتنع عن الشهوات الدنيئة الضارة التي حمانا منها الله ، فإذا خرج من بيته ذكر الله بدعاء خاص ، وإذا دخله ذكر الله بدعاء آخر ، وإذا نام ذكر الله ، وإذا رُزِقَ مولوداً ذكر الله ، وإذا دخل السوق للكسب ذكر الله .. وهكذا يقضي المؤمن يومه كله في عبادة الله .

(النحلاوي ، ١٣٩٩هـ ، ص ٥١) .

والعبادة تربي المؤمن على الارتباط الدائم بالجماعة المسلمة حيث أن أغلب العبادات تؤدى في جماعة كالصلوات ، والحج والطواف والسعي والصوم ، تحت لواء عقيدة واحدة يناجون رباً واحداً . والعبادة تربي في المؤمن قدراً من الفضائل الثابتة المطلقة ، لا تقف عند حدود الأرض أو القوم أو المصلحة القومية ، أو الحزب الحاكم ، و لكنها فضائل تعم التعامل مع البشرية جمعاء ، فالمسلم هو المسلم بأخلاقه و إنسانيته أنَّى سار وحيثما حل ، لأنه يؤمن أن له رباً واحداً يراقبه حيثما كان . كل هذا في ظل حياة قائمة على الشورى والتناصح والتعاون والمساواة والعدل أمام الله تعالى .

مبـــدأ الخشوع في الصـــلاة

قـــال الله تعالى في مستهل سورة " المؤمنون " : ((قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَـٰشِعُونَ)) (الآيتان ١ ، ٢) . ثم قال عزَّ وجلَّ : ((وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُوْلَـٰئِكَ هُمُ الوَٰرِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ)) (الآيات ٩ : ١١) . تبيّن هذه الآيات الكريمات مبدأً تربوياً عظيماً يستحق من تمسك به وطبقّه في حياته أن يرث جنة الفردوس ويخلد فيها ، ألا وهو الصلاة بخشوع ، والمحافظة عليها .

معنى الصلاة في اللغة :

الصلاة لغةً معناها : الدعاء والاستغفار . (ابن منظور، ١٣٠٠هـــ ،ج١٤،ص٤٦٤)

معنى الصلاة في الشرع :

الصلاة هي : أقوال وأفعال مخصوصة مفتـــتحة بالتكبير ، مختـــتمة بالتسليم ، وسميت صلاة لاشتمالها على الدعاء . (البهوتي ، د.ت ، ص ٣٨) .

والصلاة هي العبادة الوحيـــدة التي فرضها الله تعالى في السماء ليلة الإسراء ، مباشرة بدون وحي بينه وبين نبـــيه محمد ﷺ ، وفُرضت خمس صلوات في اليوم والليلـــة . وهي واجبة في أوقات محددة ، قال تعالى : ((فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ * إِنَّ الصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا)) (سورة النساء ، الآية ١٠٣) . وهي الركـــن الثاني من أركان الإسلام ، قال ﷺ :{ بُني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصـــلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان } (النووي ، ١٤١١هـــ ، ج ١ ، كتاب الإيمان ، باب ٥ : بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام ، ص ١٧٧ ، برقم : ١٦٢١) . و الصـــلاة لا تسقط عن المسلم بأي حالٍ من الأحوال ؛ فلا تسقط في حال الخوف من عدو أو غيره ، كما لا تسقط بالمرض أو السفر و نحوهما ، فلكل حال صفـــة معينة للصلاة ولا تسقط عنه أبداً .

و الصلاة هي العبادة الوحيدة التي يجب تعليمها للأولاد في سن مبكر ، لقوله ﷺ : {مروا أولادكم بالصلاة و هم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين ، وفرقوا بينهم في المضاجع } (آبادي ، ١٤١٠هـــ ، ج ٢ ، كتاب الصلاة ، باب ٢٥:

متى يؤمر الغلام بالصلاة ، ص ١١٤ ، برقم : ٤٩١) .

و إن أول ما يحاسب عنه العبد يوم القيامة صلاته ، فإن صلَحَت وقُبِلَت فاز ونجا ، وإن فسَدَت خاب وخسر ، لقوله ﷺ : { أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة ، فإن صلَحَت صلح له سائر عمله ، وإن فسَدَت فسد سائر عمله} (الألباني ، ١٤٠٨هـ ج ١ ، ص ٥٠٣ ، برقم : ٢٥٧٣) . و من ترك الصلاة فقد كفر ، قال ﷺ : { إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة } (النووي ، ١٤١١هـ ، ج ٢ ، كتاب الإيمان باب ٣٥ : بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة ، ص ٧٠ ، برقم : ٨٢١٣٤) .

و إن ترك الصلاة أول الأسباب لدخول سقر – جهنم – قال الله تعالى : ((مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ)) (سورة المدثر ، الآيتان ٤٢ ، ٤٣) .

و من أقام الصلاة و حافظ عليها ، و أدَّاها بخشوع ورث جنة الفردوس و هي أعلى الجنات و أفضلها قال عنها ﷺ : { .. فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة ، وفوقه عرش الرحمن } (ابن حجر ، ١٤٢١هـ ، ج ٦ ، كتاب الجهاد والسير، باب ٤ : درجات المجاهدين .. ، ص ١٣ ، برقم : ٢٧٩٠) .

الخشوع في الصلاة :

ومعنى الخشوع في اللغة : أي السكون (ابن منظور ، ١٣٠٠هـ ،ج٨ ، ص٧١) .

و الخشوع في تفسير ابن عباس رضي الله عنهما لكلمة خاشعون : خائفون ساكنون . ويقول ابن كثير يرحمه الله تعالى : والخشوع في الصلاة إنما يحصل لمن فرغ قلبه لها واشتغل بها عما عداها ، وآثرها على غيرها وحينئذٍ تكون راحة له وقرة عين (ابن كثير ، ١٣٨٨ هـ ، ج ٣ ، ص ٢٣٨) كما قال ﷺ : { وجعلت قرة عيني في الصلاة } (ابن حنبل ، ١٤١٣هـ ، ج ٣ ، ص ٣٤٩ ، برقم : ١٤٠٤٥) . وكان يقول رسول الله ﷺ : { يا بلال أرحنا بالصلاة } (ابن حنبل ، ١٤١٣هـ ، ج ٥ ، ص ٤٢٧ ، برقم : ٢٣١٥١)

واختُلِفَ في تفسير الخشوع فمنهم من جعله من أفعال القلوب كالخوف والرهبة ، ومنهم من جعله من أفعال الجوارح كالسكون و ترك الالتفات ، و منهم من جمع بين الأمرين وهو الأولى . (الرازي ، ١٤١١هـ ، ج ٢٣ ، ص ٦٨) . وترجح الباحثة رأي الإمام فخر الدين الرازي يرحمه الله تعالى أن الجمع بين الأمرين هو الأولى ، فإن الخشوع

يكون في القلوب والجوارح معاً .

ويقول الإمام أبو الحسن الندوي يرحمه الله تعالى : «وتفاضل الناس في الصلاة تفاضلاً حتى كانت صلاة الواحد منهم لا تقاس بصلاة الآخر ، وكانت صلاة رسول الله ﷺ أفضل وأكمل وأسمى وأرقى وأثقل في الميزان عند الله من كل صلاة . . والناس يتفاضلون في الصلاة قبل أن يتفاضلوا في غيرها – من فضل علم أو ذكاء – و هي المقياس الصحيح وبها يُحكم على دين الرجل ومكانته في الإسلام » (الندوي ، ١٣٨٩هـ ، ص ٨٧) .

ثم يقول ناصحاً المؤمنين و المؤمنات : «وهكذا يجب أن تتوارث هذه الأمة روح الصلاة وحقيقتها وخشوعها وإنابتها وحرارتها ورقتها . وقد كانت صلاة الرسول ﷺ جامعة بين أوضاع وأحكام وبين روح وحقيقة ، وخشوع ورقة ، وقد كانت صلاة الخلفاء الراشدين والصحابة وكثير من التابعين ومن جاء بعدهم من المخلصين والربانيين وأهل القلوب الصادقة الخاشعة صورة للصلاة النبوية ومرآة لها . وقد روت كتب التاريخ والطبقات والتراجم الشيء الكثير من طولها وجمالها وخشوعها ورقتها .. ومن واجبات هذه الأمة وعلمائها ومربيها أن لا ينقطع هذا الإرث وأن لا تضيع هذه الثروة المباركة وأن لا ينطفئ هذا النور مهما تغيرت الأوضاع وغزت المادية القلوب والنفوس ، فإنها خسارة لا تعوض بشيء ، وفراغ لا يملأ بأكبر قسط من الأحكام الفقهية ، ولا أمل في إصلاح إلا إذا أُلهبت جذوة الإيمان وأعادت للأمة حقيقة تلك الصلاة الخاشعة الرقيقة التي امتازت بها القرون المشهود لها بالخير » (الندوي ، ١٣٨٩هـ ، ص ٩٠:٩١) .

والمحافظة على الصلوات : هو التعهد لشروطها من وقتٍ ، وطهارةٍ وغيرهما ، والقيام على أركانها ، وإتمامها حتى يكون ذلك دأبه في كل وقت. (الرازي ، ١٤١١هـ ج٢٣ ، ص ٧٢) . وكان من الصفات الحميدة المذكورة في أول سورة " المؤمنون " الخشوع في الصلاة و المحافظة عليها ، ومن تمسك بذلك كان من ورثة الفردوس ، و قد افتتح الله تعالى هذه الصفات الحميدة بالصلاة و اختتمها بالصلاة فدل على أفضليتها (ابن كثير ، ١٣٨٨هـ ، ج٣ ، ص ٢٣٩) .كما قال ﷺ :{ استقيموا ولن تحصوا ، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ، و لا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن } (ابن ماجه ، د.ت ج١،كتاب الطهارة وسننها ، باب١٤:المحافظة على الوضوء ، ص١٠١ ، برقم: ٢٧٧) .

الآثار التربوية الناجمة عن تطبيق مبدأ الخشوع في الصـــلاة :

إن الصلاة فُرضت على المؤمن خمس صلوات في اليوم والليلة ، يتفرغ المؤمن أثناءها من أعماله ومسئولياته ليقف أمام ربه خالياً من أي تفكير يشغله ويبعده عن مناجاة خالقه و رازقه ، فهو في صلاته يقف بين يديه خاشعاً له راجياً رحمته ، مناجياً له ليس بينه و بين الله تعالى أحد ، فلابد أن تكون لهذه الصلاة المتكررة في اليوم والليلة خمس مرات ، إضافةً إلى الصـــلوات النافلة تأثيراً مباشراً ، وفاعلاً في نفس المؤمن ، تسمو بها روحه وتطمئن بها نفسه ، وتظهر آثارها العظيمة في تصرفاته وأعماله وأقواله ، وفيما يلي بعضاً منها : –

١ – الصلة الوثيقة بين المؤمن وخالقه عزَّ وجل :

تتجلى الحكمة من فرض الصلاة على المؤمن في أوقات خمس متفرقة في اليوم والليلة في أن يكون على صلة دائمة غير منقطعة بخالقه و هاديه ، فالصلاة هي الصلة التي وثَّق الله تعالى عُراها بينه وبين عبده ، وأمره بتعلم وصلها من سن السابعة من عمره حتى يحين أجله ، و لم يرضَ بقطعها في أي وقت وعلى أي حال . ومن ثَمَّ على العبد أن يحرص أشد الحرص على هذه الصلة ، فيؤدي صلاته المفروضة في حال الصحة و المرض ، و في حال الإقامة و السفر ، و في حال الأمن والخوف ، و في السلم والحرب ، و في وجود ماء للوضوء أو عدمه ، كما أمره الله تعالى ، وما ذلك إلا ليكون دائماً ليله ونهاره في قربٍ من الله تعالى ، يستمد من نوره وهديه ما يشاء الله له ، ويحصل من عونه وكرمه ما قدَّر الله له و ليزدد تقرباً إلى الله تعالى بالصلاة النافلـــة التي سنَّها الله تعالى قبل الصلاة المفروضـــة أو بعدها ، وصلاة الضحى ، وصلاة قيام الليل والوتر ، وهناك الصلوات التي فُرضت لمناسبة ما كصلاة العيـــدين ، و صلاة الاستسقاء ، و الصلاة على الميت ، و صلاة الاستخارة ، و صلاة الخسوف و الكســـوف ، وجميع هذه الصلوات تزيد الصلة بالله تعالى و تدنيه إلى جواره المنيع ؛ فيزداد علواً ومكانة وعزة ومنعة . ويكون المؤمن أقرب إلى ربه وهو ساجد فليكثر من الدعاء والاستغفار ، لقوله ﷺ : { أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، فأكـــثروا الدعاء } (النووي ، ١٤١١هـــ ، ج ٤ ، كتاب الصلاة ، باب ٤٢ : ما يقال في الركوع والسجود ، ص ٢٠٠ ، برقم : ٤٨٢٢١٥) . ويقول الله تعالى : ((وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ)) (سورة العلق ، الآية ١٩) . أي : اسجد وابتغِ بسجودك قرب المنزلة من ربك .

(الرازي ، ١٤١١هـ ، ج ٣٢ ، ص ٢٦) .

٢ – تربية النفس الإنسانية على البعد عن الفحشاء والمنكر :

إن المحافظة على الصلاة في أوقاتها ، وأداءها بخشوع تنهى النفس عن ارتكاب الفواحش و المنكرات ، قال الله تعالى : ((وَ أَقِمِ الصَّلَوٰةَ إِنَّ الصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ الفَحْشَاءِ وَ المُنْكَرِ)) (سورة العنكبوت ، الآية ٤٥) . إن العبد إذا صلى وسجد صارت له قربة ما لقوله تعالى ((وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ)) (سورة العلق ، الآية ١٩) فإن ذلك القدر من القربة يمنعه من المعاصي والمناهي ، فبتكرر الصلاة والسجود تزداد مكانته ، حتى يرى على نفسه من آثار الكرامة ما يستقذر معه من نفسه الصغائر فضلاً عن الكبائر (الرازي ، ١٤١١هـ ، ج ٢٥ ، ص ٦٥) . فالمصلي بعد انتهائه من الصلاة ينكر على نفسه أن تقوم بمعصية الله تعالى وقد كانت قبل دقائق في مناجاة له وتذلل بين يديه ، وهو بعد لحظات سيقف لتأدية صلاة أخرى ، فإن نفسه حتماً ستنهاه مرة ثانية وثالثة عن أن يقوم بمعصية فهو يستحي أن يقابل الله تعالى بعد لحظات في صلاته و قد ارتكب فاحشة و منكراً ، فكيف يقدر على الوقوف بين يديه ؟ وكيف يقوى على لقائه ؟ ومن كانت حاله هذه لا يجرؤ على فعل الفاحشة والمنكر ، فنفسه ناهية له عنها ، آمرة له بفعل الخير والمعروف .

ثم إن الله تعالى أمر في الآية بإقامة الصلاة ، و لم يقل صل ، لأن إقامة الشيء هو : الإتيان به إتياناً كاملاً يتحقق المقصود به وهو التوجه الكلي إلى الله تعالى ، والخشوع الحقيقي ، وتمثّل رحمته و عظمته ، مما ينقل النفس من أرجاس الدنيا إلى عالم الطهر ، فالمصلي إذا أقام الصلاة على وجهها الحقيقي صغُرت في عينه الدنيا وما فيها من اغراءات و لم تستطع أن تخدعه بزينتها وشهواتها ، و لهذا نرى في القرآن الكريم أن كل موضع مدح الله تعالى فيه الصلاة ، أو حث عليها ذُكِرَ بلفظ الإقامة نحو قوله تعالى : وأقاموا الصلاة ، وأقيموا الصلاة ، فالقرآن خص الصلاة بلفظ الإقامة تنبيهاً إلى أن المقصود من فعلها توفية حقوقها وشروطها أي الامتناع عن الفحشاء والمنكر ، لا الإتيان بهيئتها فقط . (طبّاره ، ١٣٩٩هـ ، ص ٣٣) . حقاً إن الصلاة بخشوع تنهى صاحبها عن فعل السيئات وتبعده عن ارتكاب المحرمات وتنهاه عن الفحش في القول والفعل ، فتجد لسانه رطبة بذكر الله تعالى ، بعيدة عن الغيبة والنميمة والكذب والفسوق والسباب واللعن والسخرية بالناس ،

فيجد المصلي بخشوع نفسه عامرة بالإيمان ، مطمئنة بذكر الله تعـــالى ، بعيدة عن الحقد ، و الحسد والظلم والغش ، والخداع والخيانة والزنا ، وكل فاحش قبيح من قول أو فعل أو عمل . متنـــزهة عن أيّ سوء ظن بالآخرين .

٣ – تنـــزيه النفس عن صفة الهلع والجزع والبخل :

إن الصلاة ما هي إلا تمهيد للنفس وإعداد لها إعداداً خاصاً لتصبح قادرة للتخلي عن أنانيتها وشحها وجشعها ، فالإنسان في طبيعته يـــبخل ويبطر عندما يصيبه الغنى كما أنه يصيبه الجزع و يسيطر عليه الهلع و الخوف عندما يصيبه الفقر و المرض ، ولكن المؤمن القائم بالصلاة المستوعب لمعانيها و روحها تقوى نفسه في كافة الأحوال لأنه اعتمد على ركن مكين هو خالق البشر ورازقهم . فينفق من أمواله في سبيل المنفعة العامة امتثالاً لأمر الله تعالى غير خائف من الفقر ، وعند حلول مصيبة ما لا تنهار قواه و تتحطم أعصابه فله من يقينه بالله تعالى الذي غرسته الصلاة في نفسه ما ينشله مما هو فيه ، فقد استثنى الله عزَّ وجلّ المصلين من الاتصاف بهذه الصفات المذمومـــة ، فقال تعالى : ((إِنَّ الإِنْسَـــٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُ جَزُوعًا * وَ إِذَا مَسَّهُ الخَيْرُ مَنُوعًا * إِلاَّ المُصَلِّينَ)) (سورة المعارج ، الآيات ١٩ : ٢٢) . و قال الإمام فخر الدين الرازي يرحمه الله تعالى : الهلـــوع هو شديد الحرص وقليل الصبر وكثير الضجر ، فإذا ناله شر أظهر شدة الجزع ، وإذا ناله خير بخل به و منعه الناس . و استثنى الله تعالى المؤمنـــين المصلين الذين جاهدوا أنفسهم في ترك هذه الخصلة المذمومة ، ثم وصفهم الله بثمانية خصال ، منها اثنـــتان متعلقتان بالصلاة وهي في قوله تعالى : ((الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاَتِهِمْ دَائِمُونَ)) (سورة المعارج ، الآية ٢٣) و ((وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ)) (سورة المعارج ، الآية ٣٤) . دائمون على الصلاة أي : أنهم لا يتركوها في شيء من الأوقات ، ومحافظتهم عليها : ترجع إلى الاهتمام بحالها حتى يؤتى بها على أكمل الوجـــوه ، و هذا الاهتمام إنما يحصل بأمور سابقة على الصلاة ، و بأمور مقترنة بها ، و بأمور متراخية عنها ، أما الأمور السابقـــة فهو أن يكون قبل دخول وقتها متعلق القلب بدخول أوقاتها ، ومتعلق بالوضوء ، و ستر العورة ، وطلب القبلة ، و وجود الثوب و المكان الطاهرين ، و الإتيان بالصلاة في الجماعة ، و في المساجد المباركة ، و أن يجتهد قبل الدخول في الصلاة تفريغ القلب من الوساوس والالتفات إلى ما سوى الله تعالى

و أن يبالغ في الاحتراز عن الرياء والسمعة . وأما الأمور المقترنة بها فهو ألا يلتفت يميناً ولا شمالاً وأن يكون حاضر القراءة ، فاهماً للأذكار ، مطلعاً على حكم الصلاة ، [مجتنباً جميع المكروهات أثناءها] . وأما الأمور المتراخية فهي ألا يشتغل بعد إقامة الصلاة باللغو واللهو واللعب ، وأن يحترز كل الاحتراز عن الإتيان بشيء من المعاصي (الرازي ، ١٤١١هـ ، ج ٣٠ ، ص ١١٤) .

٤ – تنمية الملكة العقلية « حصر الذهن » في الإنسان :

إن في المداومة على الصلاة و المحافظة عليها مع حضور القلب و صرف الذهن إلى الصلاة و ترك مشاغل الدنيا والتفرغ الكامل للصلاة تعويد على تركيز الذهن و حصر الاهتمام نحو هدف واحد فقط ، هو مناجاة الله تعالى و التقرب إليه ، لدرجة أن المصلي بخشوع لا يشعر بما يحدث حوله ، و هو ما يسمى بملكة حصر الذهن ، و تكرار ذلك في اليوم خمس مرات أو أكثر يؤدي إلى تقوية هذه الملكة ، و التي يترتب عليها حدوث الخشوع في الصلاة والحصول على الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة .

وقد كتب د.عفيف طبّاره عن أثر ملكة حصر الذهن في نجاح الإنسان ما قاله وليم مولتون مارستن – الأخصائي في علم النفس – في مجلة المختار من ريدرز دايجست : – « القدرة على تركيز الخواطر تجري مجرى العادة عند كل رجل بارز في كل باب من أبواب الحياة . ففي أية لحظة معينة يركز الزعيم أو الرجل الفائق في أمر ما ، خواطره كلها في العمل المفرد الذي يكون عليه أن ينهض به . وأكثرنا تنقصه هذه القدرة على التركيز ، ويحيره و يفسد عليه أمره الاضطراب و الشواغل والأهواء المتعارضة » ثم يقول : « و العقل الإنساني يصبح أداة مدهشة الكفاءة إذا رُكِّزَ تركيزاً قوياً حاداً » و نقل عن وليم جيمس وهو أبو علم النفس الحديث أنه قال : « إن الفرق بين العباقرة و غيرهم من الناس العاديين ليس مرجعه إلى صفة أو موهبة فطرية للعقل ، بل إلى الموضوعات و الغايات التي يوجهون إليها هممهم وإلى درجة التركيز التي يسعهم أن يبلغوها » . ثم يقول وليم مولتون في كيفية اكتساب هذه الصفة : « و هذه القدرة تكتسب بالمرانة ، و المرانة تتطلب الصبر ، فإن الانتقال من الشرود إلى حصر الذهن حصراً بيّناً محكماً هو ثمرة الجهد المُلِّح فإذا استطعت أن ترد عقلك مرة بعد أخرى ، وخمسين مرة ، ومائة مرة إلى الموضوع الذي اعتزمت

معالجته فإن الخواطر التي تتنازعك لا تلبث أن تخلي مكانها للموضوع الذي آثرته بالاختيار و العناية ، ثم تلفي نفسك آخر الأمر قادراً على حصر ذهنك بإرادتك فيما تختار » . ثم يقول وليم : «و خير ما يمسك الالتفات ويمنعه أن يتوزع هو أن يعمل العقل والجسم معاً بالاتحاد فيما بينهما» . و الصلاة في الإسلام يعمل فيها العقل والجسم معاً ، فالمصلي يركع ويسجد وهو يقوم بتأدية الصلاة (طبَّاره ، ١٣٩٩هـ ، ص ٣١ ، ص ٣٢) .

إن الصلاة بخشوع نور ، نعم نور ، كما ثبت في قول الرسول ﷺ :{ والصلاة نور} (النووي ،١٤١١هـ ، ج ٣ ، كتاب الطهارة ، باب ١ : فضل الوضوء ، ص ٩٩ ، برقم:٢٢٣١) نور يهدي به الله تعالى من يشاء ويفتح له به أبواباً للعلم موصدة ، ويسهل له به طرقاً إلى علوم مختلفة ، و يحصل به صفاء الأذهان فتكون قادرة على الحفظ و الفهم و الاستيعاب و النبوغ والتفوق .

٥ – الشعور بالأمن النفسي والاطمئنان القلبي :

إن المحافظ على الصلاة والمداوم عليها يجد الراحة النفسية والطمأنينة في قلبه مصداقاً لقوله ﷺ : { يا بلال أرحنا بالصلاة } (ابن حنبل ، ١٤١٣هـ ، ج ٥ ، ص ٤٢٧ ، برقم : ٢٣١٥١) . إن وقوف الإنسان في الصلاة بجسمه الضئيل الضعيف أمام قوة الله العظيم القادر على كل شيء ، المتحكم بكل ذرة في الوجود ، الذي بيده الحياة والموت ، والرزق والفقر ، و الصحة والمرض ، والذي يتم بأمره القضاء والقدر وكل ما يصيبنا في هذه الحياة من خير أو شر ، و مناجاته في خشوع و تضرع يمده بطاقة روحية تبعث فيه الشعور بالصفاء الروحي ، والاطمئنان القلبي ، والأمن النفسي ؛ ففي الصلاة إذا ما أداها الإنسان كما ينبغي أن تؤدى ، يتوجَّه المصلي بكل جوارحه و حواسه إلى الله عزَّ وجلَّ و ينصرف عن كل مشاغل الدنيا ومشكلاتها ، ولا يفكر في شيء إلا في الله سبحانه وتعالى ، وما يردده من آيات القرآن الكريم التي هي نور و رحمة وشفاء للصدور ، إن هذا الانصراف التام لله تعالى و الخشوع التام بين يديه من شأنه أن يبعث في النفس حالة من الاسترخاء التام ، وهدوء النفس ، و راحة العقل ، ولهذه الحالة التي تحدثها الصلاة أثرها العلاجي الهام في تخفيف حدة التوترات العصبية الناشئة عن ضغوط الحياة اليومية ، و في خفض القلق الذي يعاني منه بعض الناس . (نجاتي ، ١٤١٤هـ ، ص ٢٨٥) .

و يقول الطبيب توماس هايسلوب : « إن أهم مقومات النوم التي عرفتها في خلال سنين طويلة قضيتها في الخبرة والتجارب هو الصلاة ، وأنا ألقي هذا القول بوصفي طبيباً ، إن الصلاة أهم أداة عُرفت حتى الآن لبث الطمأنينة في النفوس،وبث الهدوء في الأعصاب » (كارينجي ، ١٣٧٧هـ ، ص ٣٥٩) .

وكان ﷺ يقول : { وجعلت قرة عيني في الصلاة } (ابن حنبل ، ١٤١٣هـ ، ج٣ ص ٣٤٩ ، برقم : ١٤٠٤٥) . و كان ﷺ إذا حزَّ به أمر صلى : أي أراد أمراً و لم يكن مطمئناً إليه ، فيصلي ليحصل له الاطمئنان والانشراح لهذا الأمر (ابن حنبل ، ١٤١٣هـ ج ٥ ، ص ٤٥٤ ، برقم : ٢٣٣٦١) .

إن الاسترخاء من الوسائل التي يستخدمها بعض المعالجين النفسيين المحدثين في علاج الأمراض النفسية . و الاسترخاء عادة يمكن أن يتعلمها الإنسان بالتدريب ، و تمدنا الصلاة خمس مرات في اليوم بأحسن نظام للتدريب على الاسترخاء و تعلمه ، و إذا تعلم الإنسان عادة الاسترخاء فإنه يستطيع التخلص من التوتر العصبي الذي تسببه ضغوط الحياة و همومها . و حالة الاسترخاء والهدوء النفسي تستمر عادة فترة بعد الانتهاء من الصلاة وقد يواجه الإنسان و هو في هذه الحالة بعض الأمور أو المواقف المثيرة للقلق ، أو يتذكرها ، و تكرار تعرض الفرد أو تذكره لهذه المواقف أثناء وجوده في حالة الاسترخاء و الهدوء النفسي عقب الصلوات إنما يؤدي إلى الانطفاء التدريجي للقلق ، و بهذه الطريقة يتخلص المرء من القلق الذي كانت تثيره هذه المواقف . وهذا ما يماثل أسلوب العلاج النفسي الحديث الذي يعرف باسم العلاج بالتقليل من الحساسية الانفعالية أو الكف المتبادل ، أو العلاج الاسترخائي . (نجاتي ، ١٤١٤هـ ، ص ٢٨٦) .

وبالصلاة يغفر الله تعالى ذنوب عبده ، ويرفع درجاته في الجنة ، فيشعر برحمة الله ورضاه عنه ، فيطمئن قلبه و تهدأ نفسه ، و بذكر الله تطمئن القلوب ، والصلاة كلها ذكر وتسبيح ، قال الله تعالى : ((الَّذِينَ ءَامَنُوا وَ تَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)) (سورة الرعد ، الآية ٢٨) . وقد ذكر رسول الله ﷺ أثر الصلاة فعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال : سألت رسول الله ﷺ أخبرني بعمل أعمله يدخلني به الله الجنَّة . قال :

{ عليك بكثرة السجود لله فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحطَّ عنك بها خطيئة } . (النووي ،١٤١١هـ ، ج ٤ ،كتاب الصلاة ، باب ٤٣ : فضل السجود والحث عليه ، ص٢٠٥ ، برقم : ٤٨٨٢٢٥) .

٦ – الحفاظ على نشاط الجسم وصحته :

إن أثر الصلاة يفوق كثيراً أثر العلاج النفسي ، ففضلاً عن تحرر طاقة الإنسان من قيود القلق ، فإن الاتصال الروحي بين الإنسان و ربه أثناء الصلاة يمده بطاقة روحية تجدد فيه الأمل و تقوي فيه العزم و تطلق في نفسه قدرات هائلة تمكنه من تحمل المشاق و القيام بجليل الأعمال . و قد لاحظ الطبيب الفرنسي ألكسيس كاريل أن الصلاة تحدث نشاطاً روحياً معيناً يمكن أن يؤدي إلى الشفاء السريع لبعض المرضى في أماكن الحج و العبادات . و قال سيرل بيرت عالم النفس الإنجليزي في تأثير الصلاة : إننا بالصلاة نستطيع أن نلج باب ذخيرة كبيرة من النشاط العقلي لا نستطيع إليها وصولاً في الظروف العادية ، و لقد كانت هذه فكرة أحد أشهر علماء النفس وليم جيمس . (نجاتي ، ١٤١٤هـ ، ص ٢٨٩) .

إن أبرز ما تشتمل عليه الصلاة هو الركوع و السجود ، و قد سئل الطبيب مصطفى الحفار الأخصائي في أمراض الجهاز الهضمي و عضو المجلس الوطني اللبناني للبحوث العلمية والأستاذ بكلية الطب الفرنسية عن فوائد الركوع والسجود في الصلاة فقال : إن الركوع يفيد في تقوية عضلات جدار البطن ، ثم إنه يساعد المعدة على تقلصها و من ثَم على قيامها بوظيفتها الهضمية . كذلك الأمعاء يسهل لها أن تدفع بالفضلات الهضمية بصورة طبيعية . أما السجود فيدفع بالهواء من جوف المعدة إلى الفم ، فيريحها من وطأة التمدد وما ينتج عنه من مضايقات هضمية و انعكاسات قلبية ، و السجود و هو يُعرف بوضع (الركبي) ينصح به الأطباء لمعالجة التحقن في أسفل البطن عند المرأة الناجم عن التواء خلفي في بيت الرحم . (طبَّاره ، ١٣٩٩هـ ، ص ١٣٧) .

ويقول الطبيب فارس عازوري الأخصائي في الأمراض العصبية والمفاصل من جامعات أميركا : إن الصلاة عند المسلمين و ما تحتويه من الركوع والسجود تقوي عضلات الظهر و تلين تحركات فقرات السلسلة الظهرية ، و خصوصاً إذا قام الإنسان بالصلاة في سن

مبكـــرة ، و يترتب على ذلك مناعة ضد الأمراض التي تنتج عن ضعف في العضلات التي تجاور العمود الفقري ، و التي تنشأ من ضعفها أنواع من أمراض الجهاز العصبي ، تسبب الآلام الشديدة و التشـــنج في العضلات . هذا و قد أحدث بعض العلماء تمارين لتقويـــة عضلات أسفل الظهر تشبه حركات الصلاة في بعض صورها . (طبَّاره ، ١٣٩٩هـــ ، ص ١٣٧) كما أن حركات القيام و القعود عدة مرات في كل صلاة خير وسيلة لتنشيط الدورة الدموية التي تنشط كافة الأجهزة . و لذا تعتبر الصلاة منشطة للهضم فاتحة للشهية ... و الركوع والقيام منه يقوي عضلات الظهر و المعدة ، ويزيل ما قد يتكون على جدار المعدة من دهون و شحوم (نوفل ، د.ت ، ص ٥٦ ، ص ٥٧) .

ثم إن الصلاة تبعد الكسل و الخمول ، لتكرار تأديتها خمس مرات في اليوم ، وبمجافاة النوم والراحة في تلبية لنداء صلاة الفجر والعصر ، وأثناء قيام الليل .

٧ – اكتساب الشجاعة والثبات والصبر :

قال الله تعالى في كتابـــه الكريم : ((يَـــأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلَوٰةِ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّـــبِرِينَ)) (سورة البقرة ، الآية ١٥٣) . أي استعينوا أيها المؤمنون على سائر ما يشق عليكم من مصائب الحياة بالصبر و الصلاة التي تزيد بها الثقة بالله تعالى وتصغر بمناجاته فيها كل الهموم . و قد اقترنت الصلاة بالصبر في عدة مواضع من القرآن الكـــريم إشارة إلى الصلـــة الوثيقة بينهما ؛ فإذا كان الصبر أم الفضائل لأنه توجيه كل الجهد في سبيل تحمل المشاق والمصائب والصمود في مواقف الخطر ، وعدم الانقياد للنفس الأمارة بالسوء ، فإن الصلاة عامل لإشاعة الطمأنينة في النفس و تقوية معنوياتها وانتصارها على أهوائها و شهواتها . كما أن النفس تتفاوت في قدرتها على الصبر و لها حداً معيناً من الطاقة على تحمل الصبر ، فقد يكون نزول الكوارث على النفس أقوى مما تستطيع تحمله ، فكانـــت الصـــلاة متممة لما تعجز عنه النفس من الصبر ، و كان في اقتران الأخذ بالصبر والصلاة معاً أحسن علاج لتحمل مصائب الحياة وهمومها (طبَّاره ،١٣٩٩هـــ ، ص٤١).

والصلاة تكسب الإنسان الشجاعة والثبات ، ودليل ذلك أن الله تعالى لم يرخص في تركها في الحرب و عند التحام الجيوش مع العدو ، فالله تعالى لم يشرع الصـــلاة في هذه الحالة على نحو مخصوص إلا لأن للصـــلاة أثراً فعَّالاً في تقوية معنويات الجيش التي هي من

الأسباب الرئيسية للنصر . ففي الصلاة إقرار بعظمة الله تعالى وإيمان لا يخالطه شك بقدرته على نصر عباده المؤمنين ، و ترسّخ اليقين بلقائه بعد الموت ، و ما أعده الله تعالى من أجر للذين يقاتلون في سبيله ولمن يستشهدون ، مما يؤثر في نفسية المجاهد و يمده بالصبر والثبات والشجاعة والإقدام ، ويحول بينه وبين الجبن والخوف والفرار من وجه العدو .

٨ – تحقيق الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة :

إن الصلاة بخشوع سبب لمغفرة الذنوب و محو الخطايا ، و قد قال الله تعالى : ((وَ أَقِمِ الصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَ زُلَفًا مِّنَ الَّيْلِ إِنَّ الحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ)) (سورة هود ، الآية ١١٤) . و قال ﷺ : { ما من مسلم يتطهر فيتم الطهور الذي كتب الله عليه فيصلي هذه الصلوات الخمس إلا كانت كفارات لما بينها} (النووي ١٤١١هـ ، ج ٣ ، كتاب الطهارة ، باب ٤ : فضل الوضوء والصلاة عقبه ، ص ١١٥ برقم : ٢٣١١٠) . و قال النبي ﷺ : { الصلوات الخمس و الجمعة إلى الجمعة كفارات لما بينهن ما لم تُغْشَ الكبائر } (المرجع السابق ، باب ٥ : الصلوات الخمس ... ، ص ١١٧ ، برقم : ٢٣٣١٤) . و الإنسان عندما تنمحي جميع خطاياه يشعر بالسعادة و أنه حقق الفوز و الفلاح في الدنيا ، و يحس أنه سيحقق ذلك في الآخرة ، سيما أن الله تعالى أخبر أن من أسباب نيل الفلاح في الدنيا و الآخرة الصلاة بخشوع و المحافظة عليها ، قال تعالى : ((قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ)) . (سورة المؤمنون ، الآيتان ١، ٢) . ثم قال الله تعالى : ((وَ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُوْلَـٰئِكَ هُمُ الوَٰرِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ)) (سورة المؤمنون ، الآيات ٩ : ١١) فاكتبنا اللهم من ورثة الفردوس أعلى جناتك يا رب العالمين ، آمين .

مبدأ إيتاء الزكـاة

ذكر الله تعالى أن من الصفات التي تورث الإنســـان جنة الفردوس أن يكون المؤمن مؤدياً الزكاة الواجبة عليه ، فقال الله تعالى : ((وَ الَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَـــوٰةِ فَـــٰعِلُونَ)) (سورة المؤمنون ، الآية ٤) . والمقصود هنا من الزكاة أي الزكاة الواجبة ، وهو قول أكثر المفسرين وهو الحق الواجب في الأموال خاصة . (الرازي ، ١٤١١هـــ ، ج ٢٣ ، ص ٧٠) .

معنى الزكاة في اللغة :

أصل الزكاة في اللغـــة : الطهارة والصلاح و المدح و النَّماء والزيادة ، و كله قد استعمل في القرآن الكريم و الحديث الشريف .

قال الله تعالى : ((وَ تُزَكِّيهِمْ بِهَا)) (سورة التوبة ، الآية ٩) أي تطهرهم بها .

وفي قال تعالى : ((وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً)) (سورة مريم ، الآية ١٣) أي صلاحاً .

وقوله تعالى : ((فَلاَ تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ)) (ســـورة النجم ، الآية ٣٢) أي لا تمدحوا أنفسكم .

و يقال زكا الزرع أي نما و زاد ، فالزكاة النماء و الزيادة . (ابن منظور ، ١٣٠٠هـــ ، ج ١٤ ، ص ٣٥٨) .

معنى الزكاة في الاصطلاح الشرعي :

معنى الزكاة في الشرع : حق مالي واجب ، في مال خاص ، لطائفة مخصوصة ، في وقت مخصوص . (البهوتي ، د.ت ، ج ١ ، ص ١٠٧) .

الزكاة ركن من أركان الإسلام :

الزكاة واجبة لقوله تعالى : ((وَ أَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَ ءَاتُوا الزَّكَوٰةَ)) (سورة النور ، الآية ٥٦) . و لحديـــث : بني الإسلام على خمس و ذكر ﷺ : { إيتاء الزكاة } (النووي ، ١٤١١هـــ ، ج ١ ، كتاب الإيمان ، باب ٥ : بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام ، ص ١٧٧ ، برقم : ١٦٢١) . ومن امتنع عن أدائها جحوداً لوجوبها عالماً حكمها فهو كافر و إن كان جاهلاً عُرِّفَ فإن أصرَّ تُؤخذ منه ، و يستتاب ثلاثاً فإن لم يتب يقتل . أما من منعها بخلاً من غير جحد ، فتؤخذ منه قهراً ، و يُعزَّر إن علم تحريم ذلك . و إن كان مانع الزكاة خارجاً عن قبضة الحاكم قاتله ، لأن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم قاتلوا مانعيها

(ابن قدامة ، د.ت ، ج ٢ ، ص ٥٧٣) .

وتوعد الله تعالى مانعي الزكـــاة بالعذاب الشديد ، فقال عزَّ و جلَّ : ((... وَ وَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ * الَّذِينَ لاَ يُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَ هُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ)) (سورة فصلت ، الآيتان ٦ ، ٧) .

أهل الزكاة :

قال الله تعالى : ((إِنَّمَا الصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَاءِ وَ الْمَسَـٰكِينِ وَالْعَـٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَ فِي الرِّقَابِ وَ الْغَـٰرِمِينَ وَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللهِ وَ اللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)) (سورة التوبة ، الآية ٦٠) . فهؤلاء الثمانيـــة هم مستحقو الزكـــاة ، و لا يجوز صرفها في غير ذلك من وجوه البر الكثيرة .

فالزكاة مساهمة واجبة من الموسرين يدفعونها " للفقراء والمساكين " لتحسين مستواهم المعيشي ، وفرصة للقضاء على العمالة العاطلة بتوظيف " العاملين عليها " ، و وسيلة لنشر الديـــن الإسلام و حمايته ، و تكثير الأمَّة الإسلامية بدفعها " للمؤلفة قلوبهم " ، و مساهمة لتحرير الأرقاء بدفعها " في الرقاب " ، و مساهمة في فك الدين عن " الغارمين " ، و تأمين و تجهيز الجيوش الإسلامية " في سبيل الله " لنشر الدين الإسلامي ، و الاهتمام بـــ " ابن السبيل " لتنشيط الناس على السفر المشروع ، لطلب الرزق والعلم ونشر الدعوة ، فالزكاة تعتبر مورد مالي ضخم لتحسين مرافق الدولـــة في السلم و الحرب ، و ازدهار المجتمعات الإسلامية حتى تفيض أمناً و رخاءً ، ولقد وصل بالأمة في عصر من عصورها الزاهرة أنهم لم يجدوا فقيراً في طول البلاد الإسلامية وعرضها يأخذ منهم الزكاة .

ويستحب صرف الزكاة في جميع الأصناف الثمانيـــة ، لكل صنف ثُمنُها إن وُجد ، و لا يجب الاستيعاب ، و يجوز الاقتصار على صنف واحد ، لقولـــه ﷺ لمعاذ رضي الله تعالى عنه ، لما بعثه ﷺ إلى اليمن : {... أخبرهم أن الله قد فرض عليهم زكاة تُؤخذ من أغنيائهم فتُرَدُّ على فقرائهم ... } (النووي ، ١٤١١هـــ ، ج ١ ، كتاب الإيمان ، باب ٧ : الدعاء إلى الشهادتـــين وشرائع الإسلام ، ص ١٩٩ ، برقم : ١٩٣١) .

و إن اقتصر على واحد من صنف أجزأه ذلك ، لأن النبي ﷺ أمر بني زُريق بدفع صدقتهم إلى سلمة بن صخر (الترمذي ، ١٣٥٧هـــ ، ج ٥ ، كتاب تفسير القرآن ، باب ٨ :

من سورة المجادلة ، ص ٣٧٨ ، برقم : ٣٢٩٩) .

من لا تجوز الزكاة إليهم :

هناك أحد عشـــر صنفاً لا يجوز دفع الزكـــاة إليهم ، وهم : الكافر، الغني ، القوي القادر على الكسب ، آل محمد ﷺ ، و مواليهم ، الوالدان و إن علوا ، الولد و إن نزل ، الرقيق ، الزوج الزوجة ، ومن تلزمه نفقته (البهوتي ، د.ت ،ج ١،ص ١١٩،ص١٢٠).

مكان توزيع الزكاة :

توزع الزكاة على الفئات الثمانية و هم أهل الزكاة في نفس البلد ، لقول النبي ﷺ في الحديث السابق : { تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم } أي تؤخذ من أغنياء هذا البلد وترد في فقراء ذات البلد وعلى هذا كان فعل الخلفاء والصحابة رضوان الله تعالى عليهم .

ولا يجوز نقل الزكاة عن بلدها إلى بلد آخر على مسافة تقصُرُ فيها الصلاة ــ أي بلد يبعد حوالي ثمانين كيلو متر عن البلد الذي يوجد فيه مال الزكاة ــ و لو كان النقل لرحم وشـــدة حاجة . وإذا خالف ونقل الزكاة إلى بلدٍ تقصر فيه الصلاة أجزأه ، لعمـــوم قوله تعالى : ((وَ ءَاتُوا الزَّكَوٰةَ)) (سورة النور ، الآية ٥٦) . و إذا كانت الزكاة بمكان خلا من المحتاجـــين ، فيجب تفريقها في أقرب البلاد إليه الأقرب فالأقرب . (ابن قدامة ، د.ت ، ج ٢ ، ص٦٧٢ ، ص ٦٧٣) .

و ذكرت الزكاة في مواضع كثيرة من القرآن الكريم الحديث الشريف ، كما ذكرت كثيراً مقترنة بالصلاة ، فدل ذلك على عظم أهميتها ، و علو مكانتها بين أنواع العبادة .

الآثار التربوية الناجمة عن تطبيق مبدأ إيتاء الزكاة :

إن الله تعـــالى لم يفرض على عباده أمراً إلا كان فيه خيراً لهم في دنياهم وأخراهم ، و قد فرض الزكاة عليهم لما لها من آثار تربوية جليلة ، وعوائد اجتماعية واقتصادية عظيمة على الفرد والمجتمع منها : ــ

١ ــ تربية الأخلاق الاجتماعية الحسنة في النفس الإنسانية :

إن الله تعالى أوجب الزكـــاة على المال إذا حال عليه الحول ، و في كل مرة يحول عليه الحول يدفع ما عليه من زكاة ، و في هذا تدريب للمؤمن على البذل والعطاء ، وتربية للنفوس على خلق الجود و الإيثار ، و تعويداً لهم على التعاون و التآزر والتضامن ،

وتفقد أحوال الآخرين ، وحب الضعفاء والمساكين ، والإحساس بأنهم أخوة لهم في الإيمان يشـــاركونهم أفراحهم و أتراحهم ، ينفقونها لهم عن طيب نفس ، و انشراح صدر وطيب خاطر منه ، بل و يبذلون لهم أطيب ما يملكون زكـــاة لأموالهم ولأنفسهم ، فإن الله تعالى طيب لا يقبل إلا الطيب . قال الله تعالى : ((يَـــأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَـــيِّـــبَـــٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَ مِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِّنَ الأَرْضِ وَ لاَ تَيَمَّمُوا الخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَ لَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ)) (سورة البقرة ، الآية ٢٦٧) . و في ذلك يقول الدكتور محمد عثمان في كتابه " القرآن وعلم النفس " :

((وفريضة الزكاة التي تفرض على المسلم إخراج نصيب معلوم من ماله كل عام لإنفاقه على الفقراء إنما هي تدريب للمسلم على العطف على المحتاجـــين من الناس ، و مد يد العون إليهم و مساعدتهم على سد حاجاتهم الضرورية . إنها تقوي في المسلم الشعـــور بالمشاركـــة الوجدانية مع الفقراء والمساكين ، وتبث فيه الشعـــور بالمسئولية نحوهم ، و تدفعه إلى العمل على إسعادهم و الترفيه عنهم . إنها تعلم المسلم على حب الآخرين ، .. مما يقوي فيه الشعور بالانتماء الاجتماعي ويشعره بدوره الفعال المفيد في المجتمع ، مما يجعله يشعر بالرضا عن نفسه ، وهو أمر له أهميته في صحة الإنسان النفسية)) .

(نجاتي ، ١٤١٣هـــ ، ص ٢٩٥) .

٢ – تحقيق التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع :

إن دفع الزكاة لجميع الفئات الثمانية من أهل الزكاة في المجتمع يعمل على إلغاء الفوارق الاقتصادية بين فئات المجتمع إلى حدٍ ما . مما يُشعر بأن هذا المجتمع كتلة واحدة متماسكة ، يتعاون أفرادها في تحقيق الرخاء و السعادة لبعضهم البعض ، مما يحقق نوعاً من التكافل والتضامن الاجتماعي فيما بينهم ، وتسود رابطة المودة والإخاء في المجتمع .

((إن الزكاة عنصر تكافلي فعَّال ، و مؤثر اجتماعي قوي ، بها تتآلف القلوب ، و منها تنبثق معاني المحبة و الوفاء ، و تنطلق آيات المودة و الصفاء فهي تقريب للأفئدة و تجميع للنفوس ، بها تزداد الروابط بين المجتمع متانة و تقوى الأواصر وتعتلي المكانة ، هي صفة يتصف بها كل مسلم ، و يتسم بها كل مؤمن هدفه إرضاء ربه و التمثل لأوامره ، يزداد بها المجتمع تماسكاً و قربى ، و ترابطاً و حباً ، بفعلها يعتلي المسلم أعلى مراتب المجـــد ، و يتصف بصفة التقوى ، قال الله تعالى : ((الٓمٓ * ذَلِكَ الكِتَـــٰبُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَ مِمَّا رَزَقْنَـــٰهُمْ يُنْفِقُونَ)) .

(سورة البقرة ، الآيات ١ : ٣) . » (الخيري ، ١٤١٧هـ ، ص ٧١) .

إن الزكاة تدريب صادق ناجح على البذل والعطاء ، تؤدي إلى ألوان أخرى من التضامن و التعاون و التكافل الاجتماعي . فلا يتوقف الأمر بالمؤمن عند أداء زكاة ماله بحدها المفروض ، بل إن أمامه باب التطوع يرغبه فيه الإسلام و يحضه على ولوجه في كل وقت ، وبأي مقدار ، قال ﷺ : { اتقوا النار ، ولو بشق تمرة . فمن لم يجد فبكلمة طيبة } (النووي ، ١٤١١هـ ، ج ٧ ، كتاب الزكاة ، باب ٢٠ : الحث على الصدقة ولو بشق تمرة ... ، ص ١٠١ ، برقم : ١٠١٦٦٨) .

٣ – تزكية النفس الإنسانية والمجتمع وتطهيرهما من الرذائل والأمراض :

قال الله تعالى : ((خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)) (سورة التوبة ، الآية ١٠٣) أي أن هذه الزكاة تطهرهم من الذنوب والآثام ، وتزكيهم التزكية معطوفة للمبالغة في التطهير ، وصلِّ عليهم أي ادع لهم فالصلاة هنا بمعنى الدعاء ، فإن دعاءك لهم فيه سكون نفوسهم إليك و رحمة و طمأنينة لهم . (الرازي ، ١٤١١هـ ، ج ١٦ ، ص ١٤١ : ص ١٤٦) .

و الزكاة تطهير للنفوس من دنس البخل والطمع والقسوة على الفقراء . و « تزيل عن القلوب الأثرة والأنانية وحب الذات ، وضيق الصدر وعبودية المال وما إليها من الصفات الدنيئة الأخرى ، والزكاة تروض المسلم على التضحية بالمال و الإيثار وتجعله قابلاً لئلا يثاقل إلى أمواله ، ولا يجعل يده مغلولة إلى عنقه إذا بلغ الأمر مبلغ الجد واقتضى بذل المال بل ينفقها بكل انشراح و طيب خاطر منه » (المودودي ، د.ت ، ص ١٤٩) .

والزكاة تطهير للمُزكَى إليهم من مشاعر البغض والحسد والحقد نحو الأغنياء في حال امتناعهم عن تأدية الزكاة وعدم مواساتهم ، كما أن الزكاة تمنع عنهم ذل المسألة ، ومرارة الفقر والحرمان . فتتبدل هذه المشاعر بالزكاة إلى مشاعر الحب و التعاطف ، والدعاء لهم بالخير والمغفرة ، وإلى الشعور بالعزة والكرامة ، والاكتفاء والاستغناء .

وفي الزكاة تطهير للمجتمع من القلاقل وجرائم السطو والسرقة ، والنهب والغصب والقتل و التزوير و الكذب ، و الزنا وما ينتج عنه من أمراض نفسية و مرضية و اجتماعية و خلقية ، و غيرها من الجرائم و الرذائل الخلقية التي يكون الدافع إليها غالباً هو الفقر

و العوز وضعف الوازع الديني . فإذا أدى الموسرين ما فرضه الله تعـــالى عليهم من الزكاة لإغاثـــة الفئات الفقيرة المعدمة وإصلاح حالها ، ازدهر المجتمع ، وتآلفت قلوب أفراده ، و توحدت صفوفه ، و علت كلمته ، وعزَّ شأنه ، و ساد فيه الأمن و الرخاء .

٤ – سعة الرزق ونماء المال وتطهيره :

قال رسول الله ﷺ : { قال الله تبارك و تعالى يا ابن آدم أَنْفِقْ أُنْفِقْ عليك } . (الـــنووي ، ١٤١١هـــ ، ج ٧ ، كتاب الزكاة ، باب ١١ : الحث على النفقة و تبشير المنفق بالخلف ، ص ٧٩ ، برقم : ٩٩٣٣٦) فقوله تعالى أَنْفِقْ أُنْفِقْ عليك يتضمن الحث على الإنفاق في وجوه الخير و التبشير بالخلف من فضل الله تعالى و سعته . وهو معنى قوله تعالى : ((وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ)) (سورة سبأ ، الآية ٣٩) .

فالمال نعمة من الله تعالى أنعم بها على الموسرين فإن أدوا حق الله تعالى فيه أثابهم من فضله وزادهم غنى فوق غناهم ، قال ﷺ :{ ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعطِ منفقاً خلفاً ، ويقول الآخر اللهم أعطِ ممسكاً تلفاً } (النووي ، ١٤١١هـــ ، ج ٧ ، كتاب الزكاة ، باب ١٦ : في المنفق و الممسك ، ص ٩٥ ، برقم : ١٠١٠٥٧) . ويقول الله تعالى : ((يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَوٰا وَ يُرْبِي الصَّدَقَـــٰتِ)) (سورة البقرة الآية ٢٧٦) .

و في الزكاة تطهير للمال المزكى منه من تبعة الحق الذي جعله الله تعالى فيه للمساكين فقد قال تعالى : ((وَ فِي أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ)) (سورة الذاريات ، الآية ١٩) . (طاحون ، ١٤٠٣هـــ ، ص ٥٧) .

٥ – تربية النفس الإنسانية على العزة والكرامة :

إن الله تعالى أوجب الزكـــاة على القادرين ، يدفعونها لأهل الزكاة عن طيب خاطـــر ، صوناً لكرامتهم وحفظاً لعزتهم ، فينبغي على المزكين المبادرة و المسارعة في دفع الزكاة إلى المحتاجين دون تعريضهم لذُلِّ الســـؤال و هوان الحاجة . « و ينبغي للمزكي والمتصـــدق ألا يحشر الناس إليها ، بل يزكيهم ويتصدق عليهم في مواضعهم و مساكنهم بقدر ما يستطيع » (طاحون ، ١٤٠٣هـــ ، ص ٥٨) و في ذلك حفظ لكرامة الفقراء و المحتاجين و صوناً لعزتهم .

ويستحب للمزكي أن يقرن زكاته بدعاء جميل لمن يسلمها : اللهم اجعلها مغنماً ولا تجعلها مغرماً . (ابن ماجـــه ، د.ت ، ج ١ ، كتـــاب الزكاة ، باب ٨ : ما يقال عند إخراج الزكاة ، ص ٥٧٣ ، برقم : ١٧٩٧) ليشعر المحتاج أنه أخ له في الإسلام ، يعطيه حقاً له ، أوجبه الله عليه لا تفضلاً منه و لا منّة له في ذلك . فيبادله المحتاج مشاعر الحب والأخوة ، فيدعو له : آجرك الله فيما أعطيت ، وبارك لك فيما أبقيت وجعله لك طهوراً و مما يحفظ للفقراء ونحوهم كرامتهم و عزتهم عدم اتباع الزكاة والصدقة بالمن والأذى فإن الله تعالى أمر بذلك ، و أخبر أنه يبطل الزكـــاة و الصدقة ، قال تعالى : ((يَـــأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَـــتِكُمْ بِالْمَنِّ وَ الأَذَىٰ)) (سورة البقرة ، الآية ٢٦٤) .

٦ – نيل الأجر العظيم والأمن والسرور في الدنيا والآخرة :

إن المداومة على تأدية الزكاة تؤدي إلى انشراح نفس المزكي و طمأنينة قلبه ، لأنه قام بتأمين احتياجات المحتاجين من حوله ، و أسعدهم ورسم الابتسامة على وجوههم وأزاح عن نفوسهم الهمّ والضيق ، وضنك العيش ، و ذل السؤال ، فينام قرير العين سعيداً مطمئناً آمناً على نفسه وأهله وماله . فهو قد نال الأجر العظيم والأمن و السرور في دنياه وسينالها بمشيئة الله تعالى في آخرته ، قال تعالى : ((إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـــلِحَـــتِ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ)) (سورة البقرة ، الآية ٢٧٧) . ومضاعفة الأجر أضعافاً كثيرة في قوله تعالى : ((وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا)) (سورة المزمل ، الآية ٢٠) . وقال تعالى : ((وَمَا ءَاتَيْتُمْ مِّنْ زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ فَأُوْلَـــئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ)) (سورة الروم ، الآية ٣٩) . و ستنولهم رحمة الله تعالى : ((وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَـــتِنَا يُؤْمِنُونَ)) (سورة الأعراف ، الآية ١٥٦)

و يظلون في رحمة الله تعالى و رعايته حتى يُكتب لهم الفوز و الفلاح ويرثون الفردوس و يخلدون فيها ، لأن من صفات ورثة الفردوس أنهم للزكاة فاعلون ، و: ((أُوْلَـــئِكَ هُمُ الْوَٰرِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَـــلِدُونَ)) (سورة المؤمنون ، الآيتان ١٠، ١١)

مبـــدأ التقـــوى

إن تقوى الله تعالى عبادة يتقرب العبد بها إليه ، طالباً مرضاته ، والخلود في جناته ، وهـــي دعوة الرسل جميعاً لأقوامهم ، وقد ذكرها الله تعالى لعظم مقامها في مواضع كثيرة من القرآن الكريم ، منها أربعة مواضع في ســـورة " المؤمنون " ، فالموضع الأول هو قوله الله تعالى : ((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَـٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ أَفَـــلاَ تَتَّقُونَ)) (سورة المؤمنون ، الآية ٢٣) . و الموضع الثاني هو قوله تعالى : ((فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُـــولاً مِّنْهُمْ أَنِ اعْبُـــدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَـٰـــهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ)) . (الآية ٣٢) . و الثالث هو قوله تعالى : ((وَ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّـــةً وَ‌ٰحِدَةً وَ أَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ)) (الآية ٥٢) . و الرابع هو قوله تعالى : ((سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ)) (الآية ٨٧) .

معنى التقوى في اللغة :

التقوى في اللغة من اتَّقَى ، و تَوَقَّى ، بمعنى واحد . و توقَّيتُ و اتَّقَيتُ الشيء تُقىً و تقِيَّةً و تِقَاءً . والاسم : التقوى أي الحذر . و في قوله «هو أهل التقوى» أي أهلٌ أن يُتَّقَى عقابه و يُحْذَر . (ابن منظور ، ١٣٠٠هـــ ، ج ١٥ ، ص ٤٠٢) .

معنى التقوى في الاصطلاح الشرعي :

التقوى شرعاً : هو أن يجعل العبد بينه و بين ما يخشاه من ربه عزَّ و جلّ من غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك ، وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه . (ابن رجب ، ١٤٠٠هـــ ، ص ١٥٥) .

ويـــبلغ العبد درجة المتقين إذا تمثَّل قول الرسول ﷺ : { لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به ، حذراً لما به البأس } (ابن ماجه ، د.ت ، ج ٢ ، كتاب الزهد ، باب ٢٤ : الورع و التقوى ، ص ١٤٠٩ ، برقم : ٤٢١٥) . وعن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال : تمام التقوى أن يتقي الله العبد حتى يتقيه من مثقال ذرة من الشر و حتى يترك بعض ما يرى أنه حلالاً خشية أن يكـــون حراماً ، يكون حجاباً بينه و بين الحرام ، فإن الله قد بيَّن للعباد الذي يصيرهم إليه فقال تعالى : ((فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ)) (سورة الزلزلة ، الآيتان ٧ ، ٨) فلا تحقرن

شيئاً من الخير أن تفعله ، ولا شيئاً من الشر أن تتقيه .

وقيل أيضاً في معنى التقوى : « التقوى التي أعد الله تعالى الجنة لأهلها هي : اتقاء الشرك فما دونه ، من كل ذنب نهى الله عنه ، أو تضييع واجب مما افترضه الله » .

(المحاسبي ، د.ت ، ص ٣٤) .

و أصل التقوى أن يعلم العبد ما يتقى ، ثم يتقي . فكيف يكون متقيّاً من لا يدري ما يُتقَى ؟ وإن التقي ليدع الصغيرة مخافة الكبيرة (ابن رجب ، ١٤٠٠هـ ، ص ١٥٦) .

وقيل في وصف التقوى :

التقوى : أن تعمل بطاعة الله عزَّ و جلَّ ، على نور من الله عزَّ و جلَّ ، ترجو ثواب الله عزَّ وجلَّ .

والتقوى : ترك معاصي الله على نور من الله عزَّ وجلَّ ، مخافة عقاب الله عزَّ وجلَّ .

والتقوى : حقيقتها في الجوارح ؛ القيام بالحق وترك المعاصي .

والتقوى : حقيقتها في الضمير ؛ إرادة الديان في الفرض ، وبإخلاص العمل له .

(المحاسبي ، د.ت ، ص ٤٠) .

تقوى القلوب :

و التقوى في الحقيقة تقوى القلوب لا تقوى الجوارح . (ابن قيم ، ١٤٠٣هـ ، ص ١٥٩) . قال تعالى : ((ذَلِكَ وَ مَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى القُلُوبِ)) (سورة الحج ، الآية ٣٢) . و قال تعالى : ((لَنْ يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَ لاَ دِمَاؤُهَا وَ لَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ)) (سورة الحج ، الآية ٣٧) . و قال النبي ﷺ : { التقوى ههنا : و أشار إلى صدره ثلاث مرات } (النووي ، ١٤١١هـ ، ج ١٦ ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب١٠ : تحريم ظلم المسلم و... ، ص ١٢١ ، برقم : ٢٥٦٤٣٢) .

والتقوى وصية الله تعالى لجميع خلقه ، الأولين والآخرين ، فقد قال تعالى : ((وَ لَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللهَ)) (سورة النساء ، الآية ١٣١) فهذه وصية من الله تعالى لجميع من آتاهم الكتاب من قبل : اليهود والنصارى ، والمؤمنين بوجوب تقوى الله في السر والعلانية .

وهي وصية الرسول ﷺ لأمته ، ففي حجة الوداع خطب يوم النحر فوصاهم بتقوى

الله تعالى ، و السمع والطاعة لأولي الأمر ، فقال ﷺ : { أوصيكم بتقوى الله عزَّ وجلّ ، و السمع و الطاعة وإن كان عبداً حبشياً } (ابن حنبل ، ١٤١٣هـ ، ج ٤ ، ص ١٥٦ برقم : ١٧١٥٠) .

و كان ﷺ إذا بعث أميراً على سرية ، أو بلداً أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله تعالى وبمن معه من المسلمين خيراً ، فوصى بها أبا ذر رضي الله تعالى عنه ، فقال له :{ أوصيك بتقوى الله في سر أمرك و علانيته } (ابن حنبل ، ١٤١٣هـ ، ج ٥ ، ص ٢١٥ ، برقم : ٢١٦٢٨) . و وصى بها أبا سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه : { أوصيك بتقوى الله فإنه رأس كل شيء } (ابن حنبل ، ١٤١٣هـ ، ج ٣ ، ص ١٠١،برقم: ١١٧٨٠) . و أيضاً من وصاياه ﷺ : { اتق الله حيثما كنت } (الترمذي ، ١٣٥٧هـ ، ج ٤ ، كتاب البر والصلة ، باب٥٥ : ما جاء في معاشرة الناس ، ص ٣١٣ ، برقم : ١٩٨٧) . و لم يزل السلف الصالح يتواصون بها ، و كان أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه يقول في خطبه : أما بعد ، فإني أوصيكم بتقوى الله ، و أن تثنوا عليه بما هو أهله ... ، ولما حضرته الوفاة ، و عهد إلى عمر رضي الله تعالى عنهما ، دعاه فوصاه : اتق الله يا عمر . و وصية عمر للمسلمين و أهله ، فكتب لابنه عبد الله رضي الله تعالى عنهما : أما بعد ، فإني أوصيك بتقوى الله عزَّ وجلّ فإنه من اتقاه وقاه ، و من أقرضه جزاه ، و من شكره زاده ، واجعل التقوى نصب عينيك وجلاء قلبك . واستعمل علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه رجلاً على سرية فقال له : أوصيك بتقوى الله عزَّ و جلّ ... و لما وُلِّيَ عمر بن عبد العزيز يرحمه الله تعالى خطب ، فحمد الله تعالى و أثنى عليه ، وقال : أوصيكم بتقوى الله عزَّ و جلّ ... و كتب إلى رجل : أوصيك بتقوى الله عزَّ و جلّ التي لا يقبل غيرها ، و لا يرحم إلا أهلها ، و لا يثيب إلا عليها ، فإن الواعظين بها كثير ، و العاملين بها قليل جعلنا الله و إيَّاك من المتقين . ووصية الرجل لأخيه : أوصيك بتقوى الله فإنها من أكرم ما أسررت ، و أزين ما أظهرت ، و أفضل ما ادخرت ، أعاننا الله و إياك عليها و أوجب لنا و لك ثوابها . (ابن رجب ، ١٤٠٠هـ ، ص١٥٥ ، ١٥٦) .

وهذا ما ينبغي عليه أن يتواصى به مسلمو اليوم بعضهم بعضاً وأنفسهم بتقوى الله عزَّ و جلّ في السر و العلن . و كان الإمام أحمد بن حنبل يرحمه الله تعالى ينشد قول الشاعر

أبي نواس وكان قد نظمها في آخر عمره في العصر العباسي :

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت ولكن قل عليَّ رقيب

و لا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما يخفى عليه يغيب

(أبو نواس ، د.ت ، ص ١٠٣) .

وليس من وصف دقيق لأهمية التقوى أدق من تشبيهها بالزاد للإنسان ، وأنها خير زاد للمؤمن ليصل بأمان إلى الدار الآخرة ، قال الله تعالى : ((وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَ اتَّقُونِ يَـٰأُولِي الأَلْبَـٰبِ)) (سورة البقرة ، الآية ١٩٧) . فهذان أمران في جزء من آية بوجوب لزوم التقوى ، فالواجب على المؤمن أن يتزود بتقوى الله عزَّ وجلّ قدر استطاعته قال تعالى : ((فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ)) (سورة التغابن ، الآية ١٦) . و قرأ الرسول ﷺ قول الله تعالى : ((وَ مَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا)) (سورة الطلاق ، الآية ٢) . ثم قال ﷺ : { يا أبا ذر لو أن الناس كلهم أخذوا بها لكفتهم } . (ابن حنبل ، ١٤١٣هـ ، ج ٥ ، ص ٢١٢ ، برقم : ٢١٦٠٦) . « لكفتهم » هذه الكلمة الموجزة تُغني عن الحديث عن آثار التقوى العظيمة الناجمة عن تطبيقها في الواقع ، لكن من المفيد جداً أن يُلقى الضوء عليها بشيء من التفصيل .

الآثار التربوية الناجمة عن تطبيق مبدأ التقوى :

إن الله تعالى ذكر التقوى في كتابه الكريم في مواضع كثيرة بلفظ التقوى و ما يشتق من لفظها في (٢٤٢) موضعاً . و ذلك لأثرها في زيادة قوة الإيمان بالله تعالى ، واتباع أوامره واجتناب نواهيه ، وإخلاص وإحسان عبادته . ومن آثارها التربوية على الفرد والمجتمع ما يلي : -

١ – تربية اليقظة الدائمة في النفس والتحصين من كيد الشياطين :

إن من علامات الاتصاف بالتقوى أن يكون الإنسان على حذر دائم في قوله و فعله وظنه من أن يشوبه شيء من الظلم أو الحرام ، بل يصل الأمر به أن يترك الأمور المباحة مخافة أن يكون فيها ذرة من شبهة بحرام ، و رسول الله ﷺ يقول : { لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً لما به بأس } (ابن ماجه ، د.ت ، ج ٢ ، كتاب الزهد ، باب ٢٤ : الورع و التقوى ، ص ١٤٠٩ ، برقم : ٤٢١٥) .

فالمتقون دائماً في يقظـــة دائمة و في حرز من كيد الشياطين ، حتى و إن نجح الشيطان في وسوسته لهم فإنهم سريعو التذكر و الرجوع إلى الحق ، قال الله تعالى : ((إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ مِنَ الشَّيْطَـٰنِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ)) (سورة الأعراف،الآية ٢٠١).

فالتقوى حساسية في الضمير ، وشفافية في الشعور ، وخشية مستمرة وحذر دائم ، و توقٍ لأشـــواك الطريق .. طريق الحيـــاة .. الذي تتجاذبه أشواك الرغائب و الشهوات ، وأشواك المطامع والمطامح ، و أشواك المخاوف والهواجس ، وأشواك الرجاء الكاذب فيمن لا يملك إجابة رجاء ، و الخوف الكاذب ممن لا يملك نفعاً ولا ضراً ، وعشرات غيرها من الأشواك . (قطب ، ١٤٠٥هـــ ، ج١ ، ص ٣٩) .

ومن يتق الله عزَّ وجلّ يجعل له نوراً في القلب ، وفرقاناً يميز به بين الحق والهوى ، قال تعالى : ((يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَّكُمْ فُرْقَانًا وَ يُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ وَ اللَّهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ)) (سورة الأنفال ، الآية ٢٩) . و يقول الشيخ محمد قطب يرحمه الله تعالى في تفسيره لهذه الآيـــة : إن التقوى هي الزاد وعدة الطريق ... هي التي تحيي القلوب وتوقظها ، و تستجيش فيها أجهزة الحذر والحيطة والتوقي ، وعدة النور الهادي الذي يكشف منحنيات الطريق و دروبه على مد البصر ... إن تقوى الله في القلب فرقاناً يكشف له منعرجات الطريق ، لكن هذه الحقيقة ككل حقائق العقيدة لا يعرفها إلا من ذاقها فعلاً ... إن التقوى هي التي تدفع الهوى الذي يحجب الحق و الفطرة ، فتكون التقوى فرقاناً ينير البصيرة و يرفع اللبس ويكشف طريق الحق ، وهذا فضل الله العظيم ، ثم يضاف إليه تكفير الخطايا و مغفرة الذنوب من الرب الكريم ذو الفضل العظيم (قطب ، ١٤٠٥هـــ ، ج ٩ ، ص ١٤٩٩) .

٢ – تنمية الرغبة في الوصول إلى أعلى درجات الكمال الإنساني :

إن المـــتقي يحرص كل الحرص على فعل الأمور التي فرضها الله عليه إيجاباً و استحباباً ، و يحرص على أن تكون جميع تصرفاته و أقواله حسنة طلباً لمرضاة الله تعالى ، و هو يترك بعض المباحات مخافـــة أن يكون بها ذرة من شبهة حرام ، و يكون حذراً في تصرفاته وأقواله من أن يكون بها ما يغضب الله عزَّ وجلّ ، أو يجلب سخطه فيتقي الوقوع في الشبهات من فعل أو قول أو مظنة استبراءً لدينه و عرضه ، قال ﷺ : { إن الحلال بيِّن

وإن الحرام بيِّن ، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه و عرضه ، و من وقع في الشبهـــات وقع في الحرام ، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ، ألا و إن لكل ملك حمى ألا و إن حمى الله محارمه ... } (النووي ، ١٤١١هـــ ، ج ١١ ، كتاب المساقاة ، باب ٢٠: أخذ الحلال و ترك الشبهات ، ص ٢٧ برقم : ١٥٩٩١٠٧) و استبرأ لدينه و عرضه بشرح النووي أي : حصل له البراءة لدينه من الذم الشرعي ، وصان عرضه عن كلام الناس فيه .

وقد وعد الله تعالى من يعمل ذرة من خير خير الجزاء ، و توعد من يعمل ذرة من شر بشر العقاب فقال تعالى : ((فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ)) (سورة الزلزلة ، الآيتان ٧،٨) .

و قد توعد الله من لا يتقيه في كلامـــه ، فقال ﷺ : { و إن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم } . (ابن حجر ، ١٤٢١هـــ ، ج ١١ ، كتاب الرقاق ، باب ٢٣: حفظ اللسان ، ص ٣٧٣ ، برقم : ٦٤٧٨) .

ولهذا نجد المتقين أحرص الناس على خلو أفعالهم وأقوالهم من كل سوء وذرة شبهة .

و كلما زادت درجة التقوى عند المسلم استحق أن يكون أكرم منزلة عند الله تعالى فقد قال سبحانه وتعالى : ((فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَ كَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا)) (سورة الفتح ، الآية ٢٦) . و ذكر الإمام فخر الدين الرازي يرحمه الله تعالى لتفسير قوله : كانوا أحق بها وأهلها أكثر من معنى ، و ترجح الباحثة تفسيره : بأنهم كانوا عند الله أكرم الناس فألزمهم تقواه . والله أعلم (الرازي ، ١٤١١هـــ ، ج ٢٨ ، ص ٨٩) .

و كلما ازداد المتقي رُقياً إلى أعلى درجات الكمال الإنساني ، كلما ازداد قرباً من الله تعالى و كرامة ، فقد قال تعالى : ((إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَـــاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)) . (سورة الحجرات ، الآية ١٣) . وذكر الإمام فخر الدين الرازي يرحمه الله تعالى معنيين لها ، ترجح الباحثة القول الأشهر وهو : أن من يكون تقواه أكثر يكرمه الله أكثر ، والله أعلم . (الرازي ، ١٤١١هـــ ، ج ٢٨ ، ص ١١٩) .

٣ – تربية الأخلاق الحسنة والآداب السلوكية في نفوس المتعلمين :

إن الله تبارك و تعالى يأمر المؤمنين بتقواه كما يأمرهم بأن يكونوا صادقين في أقوالهم وأفعالهم ، فقال تعالى : ((يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّـٰدِقِينَ)) (سورة التوبة ، الآية ١١٩) اتقوا الله أي في جميع الرذائل بالاجتناب عنها ، خاصة الكذب أسوأ الرذائل وأقبحها ، وذلك معنى قوله وكونوا مع الصادقين فالصدق أحسن الفضائل ، و أصل كل حسنة و مادة كل خصلة محمودة ، و ملاك كل خير وسعادة ، به يحصل كل كمال ، وأصله الصدق في عهد الله تعالى (القاسمي ، ١٤١٨هـ ، ج ٥ ، ص ٥٢٥) .

و يأمر الله تعالى بالاتصاف بالعدل ، والعادلون هم أقرب الناس لمبدأ التقوى والكرامة عند الله عزَّ و جلّ ، فقد قال : ((وَ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَ اتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)) (سورة المائدة ، الآية ٨) . فالله تعالى ينهى المؤمنين عن ترك العدل لمحبة أحد أو لعداوته ، فلا يحملنكم شدة عداوة قوم على عدم العدل في حقهم ، بل اعدلوا فالعدل أقرب للتقوى . قال الزمخشري : و في هذا تنبيه عظيم على أن العدل إذا كان واجباً مع الكفار الذين هم أعداء الله ، إذا كان بهذه الصفة من القوة ، فما الظن بوجوبه مع المؤمنين الذين هم أولياؤه وأحباؤه . (القاسمي ، ١٤١٨ هـ ، ج ٤ ، ص ٧٧) . فالعدل مع الكافرين ، والعدل مع المؤمنين من ثمرات التقوى و كذا العدل في المعاملة بين الأولاد ، لقول رسول الله ﷺ :{اتقوا الله واعدلوا في أولادكم} (النووي ، ١٤١١هـ ، ج ١١ ، كتاب الهبات ، باب ٣ : كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة ، ص ٦٧ ، برقم : ١٦٢٣١٣) .

ويبـيِّن الله تعالى أن العفو أقرب للتقوى في قوله : ((وَ أَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ)) . (سورة البقرة ، الآية ٢٣٧) . هذا خطاب للرجال و النساء جميعاً ، و قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : أقربهما للتقوى الذي يعفو . و العفو هو أن يتنازل المرء عن حقه للآخر و ذلك أقرب للتقوى لما فيه الألفة و طيب الخاطر ، و التفضل على الغير بالعفو والإحسان إليه (القاسمي ، ١٤١٨هـ ، ج ٢ ، ص ١٦٢) .

والوفاء بالعهد صفة محمودة و أدب سلوكي اجتماعي راق ، يأمر الله عزَّ وجلّ عباده المؤمنين بالتمسك به و بتقواه فيه ، قال تعالى : ((بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَ اتَّقَىٰ فَإِنَّ اللهَ

يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ)) (سورة آل عمران ، الآية ٧٦) . ويذم الله تعالى و ينتقص الكافرين فيصفهم بأنهم شر الدواب ، ولأنهم ينقضون العهد ولا يتقونه فيه فيقول تعالى : ((الَّذِينَ عَـٰهَدْتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَ هُمْ لاَ يَتَّقُونَ)) (سورة الأنفال ، الآية ٥٦) . ففي هـــذه الآية دلالة على أن تقوى الله و إن كانت من كافر تؤدي إلى الوفاء بالعهود و عدم نقضها . و نقضها عدة مرات يدل على عدم تقواه سبحانه وتعالى .

و من يتقِ الله تعالى يكن قوله سديداً و نطقه حكيماً ، قال تعالى : ((يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا)) (سورة الأحزاب ، الآية ٧٠) . أي يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله تعالى في كل ما تأتـــون و تذرون ، لا سيما في ارتكاب ما يكرهه ، فضلاً عما يؤذي رسوله ﷺ . وقولوا قولاً سديداً أي قويماً حقاً صواباً . وقالوا السداد في القول : هو الصدق و الصواب ، وهو مادة كل سعادة ، و أصل كل كمال ؛ لأنه من صفاء القلب ، و صفـــاؤه يستدعي جميع الكمالات . وهو و إن كان داخلاً في التقوى المأمور بها ، لأنه اجتناب من رذيلـــة الكذب ، مندرج تحت التزكيَّـــة التي عبر عنها بالتقوى . لكنه أُفرد بالذكر للفضيلة ، كأنه جنس برأسه . كما خص بالذكر جبريل و ميكائيل من الملائكة .

(القاسمي ، ١٤١٨هـــ ، ج ٨ ، ص ١٢٣) .

و الله سبحانه وتعالى يأمر بتقواه وإصلاح ذات البين فيقول : ((فَاتَّقُوا اللهَ وَ أَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللهَ وَ رَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)) (سورة الأنفال ، الآية ١) . أي فاتقوا الله في الاختلاف و التخاصم و كونوا متحدين متآخين في الله . و أصلحوا ما بينكم من الأحوال ، حتى تكون أحوال ألفـــة و محبـــة واتفاق . و قال الزمخشري : جعل التقوى ، و إصلاح ذات البـــين ، و طاعة الله و رسوله من لوازم الإيمان و موجباته ، ليعلمهم أن كمال الإيمان موقوف على التوفر عليها. فمعنى قوله إن كنتم مؤمنين: أي كاملي الإيمان .

(القاسمي ، ١٤١٨هـــ ، ج ٥ ، ص ٢٥٥) .

و قـــد اقترنت التقوى و حسن الخلق في كونهما أكثر الأسباب لإدخال الناس الجنة ، فقد سئل رسول الله ﷺ : ما أكثر ما يدخل الجنة ؟ فقال ﷺ : { التقوى وحسن الخلق }

(ابن ماجه ، د.ت ، ج ٢ ، كتاب الزهد ، باب٢٩: ذكر الذنوب ، ص ١٤١٨ ، برقم : ٤٢٤٦) . و يقول الإمام ابن قيم الجوزية يرحمه الله تعالى : حسن الخلق من التقوى ،

و قد جمع النبي ﷺ بين تقوى الله و حسن الخلق ، لأن تقوى الله تصلح ما بين العبد و بين ربه ، و حسن الخلق يصلح ما بينه و بين خلقه . فتقوى الله توجب له محبة الله ، و حسن الخلق يدعو الناس إلى محبته (ابن قيم ، ١٤٠٣هـ ، ص ٦٣) .

ولذا نجد أن الله تعالى أثنى على المتقين و أخلاقهم الحسنة في مواضع عديدة من القرآن الكريم ، منها قوله عزَّ وجلّ : ((لَيْسَ البِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ المَشْرِقِ وَ المَغْرِبِ وَلَكِنَّ البِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللهِ وَ اليَوْمِ الآخِرِ وَ المَلَـٰئِكَةِ وَالكِتَـٰبِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى المَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي القُرْبَىٰ وَ اليَتَـٰمَىٰ وَالمَسَـٰكِينَ وَ ابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَ أَقَامَ الصَّلَوٰةَ وَ ءَاتَى الزَّكَوٰةَ وَ المُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا وَ الصَّـٰبِرِينَ فِي البَأْسَاءِ وَ الضَّرَّاءِ وَ حِينَ البَأْسِ أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ أُولَـٰئِكَ هُمُ المُتَّقُونَ)) (سورة البقرة ، الآية ١٧٧) .

وأشاد القرآن الكريم بأخلاقهم في قوله تعالى : ((قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْاعِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِالعِبَادِ * الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * الصَّـٰبِرِينَ وَالصَّـٰدِقِينَ وَالقَـٰنِتِينَ وَالمُنْفِقِينَ وَالمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ)) (سورة آل عمران ، الآيات ١٥ : ١٧) .

وقال الله تعالى في مدحهم : ((وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَـٰوَٰتُ وَ الأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَ الضَّرَّاءِ وَالكَـٰظِمِينَ الغَيْظَ وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَ اللهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ * وَ الَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَ مَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللهُ وَ لَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَ هُمْ يَعْلَمُونَ * أُولَـٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَّغْفِرَةٌ مِّنْ رَّبِّهِمْ وَ جَنَّـٰتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَ نِعْمَ أَجْرُ العَـٰمِلِينَ)) (سورة آل عمران ، الآيات ١٣٣ : ١٣٦) ففي هذه الآيات الكريمات نجد بعضاً من أخلاق المتقين ، وبعضاً من جزائهم : مغفرة ذنوبهم ، و الخلود في جنة عرضها السماوات والأرض ، تجري من تحتها الأنهار، ونعم أجر العاملين بتقوى الله تعالى.

و يثني الله عزَّ و جلّ على المتقين اتصافهم بالصدق و سرعة تصديقهم برسالاته فيقول تعالى : ((وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَـٰئِكَ هُمُ المُتَّقُونَ)) (سورة الزمر، الآية ٣٣)

٤ – نيل محبة الله عزَّ وجلّ ومعيته وحفظه :

إن المتقين يوقنون أن الله تعالى يراهم ، فيراقبونه في جميع شؤونهم ، كأنهم يرونه ، فهم في عباداتهم يتقون الله فيؤدونها على شروطها كاملة غير منقوصة ، و في معاملاتهم يتحرون العدل والإحسان مع الناس ، و في أقوالهم يلتمسون الصدق والحق فيها يعلمون أن الله تعالى يعلم سرهم و نجواهم . و هم بتقواهم يستحقون أن يكون الله معهم برعايته لهم ، و حفظه ، و محبته فهم أولياؤه ، يرعاهم و يحفظهم و يحبهم و ينصرهم على عدوهم . قال الله تعالى معلناً معيته للمتقين : ((وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ)) (سورة البقرة الآية ١٩٤) . و قال تعالى : ((إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَ الَّذِينَ هُمْ مُّحْسِنُونَ)) . (سورة النحل ، الآية ١٢٨) . وفي موضع ثالث يقول الله تعالى : ((وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ)) . (سورة التوبة ، الآية ٣٦) . و في نفس السورة يؤكد الخالق عزَّ و جلّ إعلامه للعالمين بمعيَّته للمتقين فيقول : ((وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ)) (سورة التوبة ، الآية ١٢٣) .

وبتقواهم كانوا أكرم خلق الله إليه واستحقوا محبته لهم ، وقد أثبتها لهم في كتابه فقال عزَّ وجلّ : ((فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ)) (سورة آل عمران ، الآية ٧٦) . وقال تعالى : ((إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ)) (سورة التوبة ، الآية ٤) . وفي السورة ذاتها يؤكد حبه لهم بذات اللفظ في الآية السابعة منها .

وبكرمٍ من الله تعالى جعل أولياءه هم المتقون ، فقال تعالى : ((إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ)) (سورة الأنفال ، الآية ٣٤) . و يقول تعالى : ((وَ اللهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ)) (سورة الجاثية ، الآية ١٩) . بل و يسبغ الله تعالى على المتقين فوق ولايته لهم ، الأمن و السرور في الدنيا و الآخرة ، يبشرهم بهذا الفوز العظيم فيقول تعالى : ((أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ ءَامَنُوا وَ كَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَ فِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَـٰتِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)) (سورة يونس ، الآيات ٦٢ : ٦٤) .

و من أحبه الله تعالى و والاه فقد ضمن حِفْظَ الله له و حمايته من كيد أعدائه ، لقوله تعالى: ((وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ)) (سورة آل عمران ، الآية ١٢٠) . اللهم آت نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها . آمين .

٥ – الخروج من كل ضائقة وشدة :

وعد الله تعالى المتقين بأن يجعل لهم من كل ضيق مخرجاً ، و لكل عسر يسراً ، ويرزقهم من جهة لم تكن تخطر على بالهم . فقد قال عزَّ وجلّ : ((وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ)) (سورة الطلاق ، الآيتان ٢،٣) . وقد قرأ رسول الله ﷺ : ((وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَّهُ مَخْرَجًا)) ثم قال ﷺ : { يا أبا ذر لو أن الناس كلهم أخذوا بها لكفتهم } (ابن حنبل ، ١٤١٣هـ ، ج ٥ ، ص ٢١٢ ، برقم : ٢١٦٠٦)

ويقول تعالى : ((وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا)) (سورة الطلاق ، الآية ٤) . أي يسهل له أمره و ييسره عليه و يجعل له فرجاً قريباً ومخرجاً عاجلاً (ابن كثير ، ١٣٨٨ هـ ، ج ٤ ، ص ٣٨٢) .

٦ – حصول الأجر العظيم وتكفير السيئات والخلود في جنات النعيم :

إن التقوى خير وسيلة لتكفير السيئات و مغفرة الذنوب ، و الحصول على الأجر العظيم من ذي الفضل العظيم ، والآيات التي تفيد ذلك كثيرة منها قول الله تعالى : ((وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا)) (سورة الطلاق ، الآية ٥) . وقوله عزَّ و جلَّ : ((وَ سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَ تُ وَ الأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ)) (سورة آل عمران ، الآية ١٣٣) . و هم بعد ذلك في رحمة الله يرفلون ، قال تعالى : ((وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ)) (سورة الأعراف ، الآية ١٥٦) .

و أخبر الله تعالى أنه سينجي المتقين من عذاب النار فقال : ((وَ إِنْ مِّنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَ نَذَرُ الظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا)) (سورة مريم ، الآيتان ٧١،٧٢) . ومن ثم يدخلهم الله تعالى في جنات النعيم ، يتذوقون أصنافاً شتى من النعيم ، مما لا عين رأت ، و لا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، فيقول الله عزَّ وجلّ:((لِلَّذِينَ اتَّقَوا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُطَهَّرَةٌ وَ رِضْوَٰنٌ مِنَ اللهِ)) (سورة آل عمران ، الآية ١٥) . وهناك ألوان أخرى من النعيم في قوله تعالى : ((مَثَلُ الجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَٰرٌ مِّنْ مَّاءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَ أَنْهَٰرٌ مِّنْ لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُصَفًّىٰ وَ لَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّنْ رَّبِّهِمْ)) (سورة محمد ، الآية ١٥) . وقوله تعالى:((إِنَّ الْمُتَّقِينَ

فِي مَقَامٍ أَمِينٍ * فِي جَنَّـٰتٍ وَ عُيُونٍ * يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَ اسْتَبْرَقٍ مُتَقَـٰبِلِينَ * كَذَٰلِكَ وَ زَوَّجْنَـٰهُمْ بِحُورٍ عِينٍ * يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَـٰكِهَـةٍ ءَامِنِينَ)) (سورة الدخان ، الآيات ٥١ : ٥٥) . وفي قوله تعالى : ((إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَـٰلٍ وَعُيُونٍ * وَ فَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ * كُلُوا وَ اشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)) . (سورة المرسلات ، الآيات ٤١ : ٤٣) .

و إلى جانب تلذذهم بالنعيم المادي الظاهر ، هناك نعيم معنوي غير ظاهر ، ألا و هو خلو قلوبهم من الحقد والغل والنصب ، وتنـــزيه أسماعهم من اللغو والكذب ، فقال تعالى ((إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلَـٰمٍ ءَامِنِينَ * وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ * لاَ يَمَسُّـهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَ مَا هُمْ مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ)) . (سورة الحجر ، الآيات ٤٥ : ٤٨) . و قوله تعالى : ((إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا * حَدَائِقَ وَ أَعْنَـٰبًا * وَ كَوَاعِبَ أَتْرَابًا * وَ كَأْسًا دِهَاقًا * لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَ لاَ كِذَّٰبًا * جَزَاءً مِّنْ رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا)) (سورة النبأ ، الآيات ٣١ : ٣٦) .

و ليس من وصف دقيق جداً يصف أهمية التقوى للمؤمن من جعلها الله سبحانـــه و تعالى زاداً للمؤمن في طرق هذه الحياة الدنيا الوعرة الشائكة ، فقال الله عزَّ و جلّ : ((وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَـٰأُوْلِي الأَلْبَـٰبِ)) (سورة البقرة ، الآية ١٩٧) جعلنا الله و إياكم من المتقين ، و بهذا النعيم متنعمين . اللهم آمين .

مبدأ الدعـــاء

قال الله تعالى : ((وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لاَ بُرْهَـٰنَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الكَـٰفِرُونَ)) (سورة المؤمنون ، الآية ١١٧) . يقول الله متوعداً من أشرك به غيره وعبد معه سواه ولا دليل له على زعمه ، أن الله يحاسبه على ذلك يوم القيامة وأنه لا فلاح للكافرين ولا نجاة لهم ذلك اليوم (ابن كثير، ١٣٨٨هـ ، ج ٣ ، ص ٢٥٩) . فمعنى الدعاء في هذه الآية العبادة ، وللدعاء معانٍ لغوية أخرى هي :

معنى الدعاء في اللغة :

للدعاء عدة معانٍ في اللغة ، فيأتي الدعاء بمعنى الاستغاثة ، كقوله تعالى : ((وَ ادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ)) (سورة البقرة ، الآية ٢٣) أي استغيثوا بهم .

والدعاء بمعنى المناداة ، دعا الرجل فلاناً ، أي ناداه .

والدعاء بمعنى المسألة ، يدعو الله تعالى بأن يرزقه مالاً وولداً ، أي يسأله المال والولد .

والدعاء هو الرغبة إلى الله تعالى . و الاسم من دعا دعاء ، و دعوى ، و دعوة . و الجمع أدعية ، و دعوات . (ابن منظور ، ١٣٠٠هـ ، ج ١٤ ، ص ٢٥٧) .

معنى الدعاء اصطلاحاً :

الدعاء هو مناداة الله تعالى لما يريد من جلب منفعة ، أو دفع مضرة . (السيوطي ، ١٤٠٥هـ ، ص ٢٢) .

فضل الدعاء :

للدعاء فضل عظيم ومنزلة كبرى في حياة المؤمن ، و لا تخلو أيامه من الدعاء و التضرع إلى الله تعـالى ، وفي جميع الأحوال ؛ في الرخاء والشدة ، وسائر أوقات النهار و الليـل ، وعـند اضطجاع المسلم ، ونومه ، ويقظته ، وأكلـه وشربه و لباسه ، وعند قضاء حاجته وانتهائه منها ، وعند دخوله المسجد والمنزل والحمام وخروجه منها ، و تكاد لا تخلو دقيقة من دقائق حياة المسلم إلا وفيها دعاء يتضرع به إلى خالقـه و يتوسل به في محياه ، و عند مماته ، و في الجنة آخر مثواه . قال الله تعالى : ((دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَـٰنَكَ

اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَـٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَـٰلَمِينَ)) (سورة يونس ، الآية ١٠) . و في الصـــلاة دعاء ، و في الحج دعاء ، و في الطواف والسعي ، والصوم ، والجهاد وسائر العبادات الظاهرة والباطنة لا تخلو من الدعاء ، فالدعاء هو العبادة ، وبذلك أخبر رسول الله ﷺ فقال :{ الدعاء هو العبادة } (البخاري ، د.ت ، باب٢٩٦: فضل الدعاء ص ٢١٤ ، برقم : ٧١٥ – و صححه الألباني بصحيح الأدب ، ١٣٨٨هـــ ، ص ٢٦٥ ،برقم : ٥٥٠) . و لقوله تعالى : ((وَ قَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ)) (سورة غافر ، الآية ٦٠) . فدلت الآية على أن الدعاء عبادة ومن استكبر و أعرض عنها فقد استحق غضب الله عليه و سخطه ، وأدخله جهنم صاغراً ذليلاً .

الترغيب في الدعاء :

إن الله تعالى يرغِّب عباده مراراً بالتوجه إليه بالدعاء ، و التضرع و التذلل بين يديه طلباً لمغفرته و رضوانه ، و لتيسير أمور حياتهم ، و إصلاح أخراهم ، فيقول تعالى : ((وَ ادْعُوهُ خَوْفًا وَ طَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ)) (سورة الأعراف ، الآية ٥٦) . كما أن الله تعالى يعلم عباده على ألسنة أنبيائه و رسله أدعية كثيرة ليدعون بها وردت في كتابه الكريم ، منها ما ذكرت في سورة " المؤمنون " قوله تعالى : ((وَ قُلْ رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ الشَّيَـٰطِينِ * وَ أَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ)) (الآيتان ٩٧ ، ٩٨) . و أيضاً قولـــه تعالى : ((وَ قُلْ رَّبِّ اغْفِرْ وَ ارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّٰحِمِينَ)) (الآية ١١٨) . ويؤكد الله تـــبارك وتعالى إجابته للدعاء فيقول : ((ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ)) (سورة غافر ، الآية ٦٠) وقال تعالى : ((وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ)) (سورة البقرة ، الآية ١٨٦) مرغباً لهم في دعائه و مؤكـــداً لهم أن مصير دعاءهم تحققه ، و إجابته تعالى لمسألتهم . خاصة إذا اقترن الدعاء بشروط معينة تعين على إجابة الدعوة ، قد بينتها الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة .

شروط إجابة الدعاء :

أمر الله تعالى عباده بدعائه والتضرع إليه في كل وقت ، وعلى أي حال ، ووعدهم بإجابة دعائهم ، سواء كانت الإجابة عاجلة أم آجلة ، و قيد هذه الإجابة بشروط معينة

بيَّنها لهم في كتابه الكريم ، وفي سنة نبيه المصطفى ﷺ ، ومن هذه الشروط :

١) الاستجابة والطاعة لله عزَّ وجلّ والإيمان به وأنه الذي يملك النفع والعطاء والضر والمنع قال تعالى: ((وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ)) (سورة البقرة ، الآية ١٨٦) .

٢) الإخلاص لله تعالى في دعائه ، و أن يدعو بقلب خاشع ، وعقل حاضر ، وفكر واع ، موحداً لله في الدعاء ، محسناً الظن به ، موقناً بالإجابة ، قال تعالى : ((هُوَ الْحَيُّ لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ)) (سورة غافر ، الآية ٦٥) . وقال ﷺ : { يقول الله عزَّ و جـلّ أنا عند ظن عبدي ، و أنا معه إذا دعاني } (النووي ، ١٤١١هـ ، ج ١٧ ، كتاب الذكر و الدعاء والتوبة والاستغفار ، باب٦: فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى وحسن الظن به ، ص ١١ ، برقم : ٢٦٧٥١٩) . وقيل معناه : أنا عند ظن عبدي بي بالغفران إذا استغفر والقبول إذا تاب ، والإجابة إذا دعا ، و الكفاية إذا طلب الكفاية . (النووي ، ١٤٠٥هـ ، ص ٢٩) . و قال ﷺ : { القلوب أوعية و بعضها أوعى من بعض ، فإذا سألتم الله أيها الناس فاسألوه و أنتم موقنون بالإجابة ، فإن الله لا يستجيب لعبد دعاه عن ظهر قلب غافل } (ابن حنبل ، ١٤١٣هـ ، ج ٢ ، ص ٢٣٩ ، برقم : ٦٦٦٤) .

٣) العزم في المسألة و عدم استعظام شيء على الله تعالى ، و كل عظيم عند المخلوق هو هين عند الخالق عزَّ وجلّ ، يقول ﷺ : { إذا دعا أحدكم فلا يقل اللهم اغفر لي إن شئت ولكن ليعزِم المسألة وليُعظِّم الرغبة ، فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه } (النووي ، ١٤١١ هـ ،ج ١٧،كتاب الذكر والدعاء ، باب٣: العزم في الدعاء ، ص٦، برقم :٢٦٧٩٨) .

٤) عدم تعجل الإجابة ، لقوله ﷺ : { يستجاب لأحدكم ما لم يَعجل فيقول قد دعوت ربي فلم يستجب لي } (النووي ، المرجع السابق ، باب٢٥: بيان أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل ، ص ٥١ ، برقم : ٢٧٣٥٩٠) .

٥) أن لا يدعو بإثم أو قطيعة رحم أو شيء محظور شرعاً ، قال ﷺ : { لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثمٍ أو قطيعة رحم ، ما لم يستعجل ، قيل يا رسول الله ما الاستعجال ؟ قال : يقول قد دعوت و قد دعوت فلم أر يَستجيب لي ، فيستحسر عند ذلك و يَدعُ

الدعاء } (النووي ، المرجع السابق ، ص ٥١ ، برقم : ٢٧٣٥٩١) .

٦) أن يكون المطعم و المشرب والملبس حلالاً لأن الله لا يقبل دعاء من كان كسبه حراماً كما لا يقبل صدقته وزكاته وحجه ، وأخبر بذلك رسوله ﷺ : { أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً ، و إن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال : يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم ، وقال يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ، ثم ذكر الرجل يُطيل السفر أشعث أغبر يمدُّ يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغُذِيَ بالحرام ، فأنَّى يُستجاب له } (النووي ١٤١١هـ ، ج ٧ ، كتاب الزكاة ، باب ١٩: قبول الصدقة من الكسب الطيب ، ص ١٠٠ ، برقم : ١٠١٥٦٥) .

٧) اجتناب السجع المتكلف في الدعاء ، لحديث ابن عباس رضي الله عنهما « فانظر السجع من الدعاء فاجتنبه ، فإني عهدت رسول الله ﷺ و أصحابه لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب » فعلى الداعي أن لا يقصد إلى السجع ولا يشغل فكره به لما فيه من التكلف المانع للخشوع المطلوب في الدعاء (ابن حجر ، ١٤٢١هـ ، ج ١١ ، كتاب الدعوات باب٢٠: ما يكره من السجع في الدعاء ، ص ١٦٦ ، برقم : ٦٣٣٧) .

و يقول الإمام النووي يرحمه الله تعالى : « إن السجع المذموم في الدعاء هو المتكلف فإنه يُذهب الخشوع والخضوع والإخلاص ، ويُلهي عن الضراعة والافتقار وفراغ القلب ، فأما ما حصل بلا تكلف و لا إعمال فكر لكمال الفصاحة و نحو ذلك ، أو كان محفوظاً فلا بأس به ، بل هو حسن » (النووي ، المرجع السابق ، ج ١٧ ،كتاب الذكر و الدعاء والتوبة والاستغفار، باب١٨: الأدعية ، ص ٤١) .

فينبغي على الداعي أن يتحرى هذه الشروط فيلزمها ، حتى يقبل الله تعالى دعاءه ، و أن يدعو بالأدعية المذكورة في القرآن الكريم ، والمأثورة عن النبي المصطفى ﷺ ، وما يحقق له مصالحه وما فيه خير الإسلام والمسلمين ، في الدنيا والآخرة . و أن يلهج لسانه بالدعاء طول يومه لما في الدعاء من فوائد عظيمة ، و آثار تربوية جليلة .

الآثار التربوية الناجمة عن تطبيق مبدأ الدعاء :

إن الأحاديث النبوية الشريفة غنية بالأدعية التي بها صلاح حال المؤمن و فلاحه في

الدنـــيا و الآخرة ، و بها يدفع البلاء و المحن عن نفسه ، و بها يتضرع إلى المولى عزَّ وجلّ أن يثبته على الإيمان به ، و يهديه لأحسن الأخلاق و أفضل الأعمال ، و أن يتقبلها منه .

وإن للدعاء فوائد أخرى عظيمة ، وآثار تربوية حميدة ، منها : -

١ — الثبات على الإيمان بالله تعالى :

يُعلّم الله تعالى أمته الدعاء لطلب الثبـــات على الإيمان به ، و طلب استمرار الهدايـــة في الحياة الدنيا و ذلك في أم الكتاب سورة الفاتحـــة ، فندعو : ((اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لاَ الضَّالِّينَ)) (سورة الفاتحة الآيتان ٦ ، ٧) . و يسأل المؤمن الهداية في كل وقت من صلاة و غيرها و هو متصف بها ؛ لاحتياجه ليلاً ونهاراً إلى سؤال الهداية ، و لولا احتياجه هذا لما أرشده الله تعالى إلى ذلك ، فـــإن العبد مفتقر في كل ساعة و حالة إلى الله تعالى في تثبيته على الهداية و رسوخه فيها ، و تبصره و ازدياده منها و استمراره عليها ، فإن العبد لا يملك لنفسه نفعاً و لا ضراً إلا ما شاء الله ، فأرشده عزَّ وجلّ إلى أن يسأله في كل وقت أن يمده بالمعونة و الثبات و التوفيق فالسعيد من وفقه الله تعالى لسؤاله ، فإنه تعالى قد تكفل بإجابة الداعي إذا دعاه ، و لا سيما المضطر المحتاج المفتقر إليه أناء الليل و أطراف النهار — و كلنا محتاج ومفتقر إليه أناء الليل و أطراف النهار - (ابن كثير ، ١٣٨٨هـــ ، ج ١، ص ٢٨) . وهناك دعاء نبوي لطلـــب تثبيت قلوبنا على الإيمان بالله تعالى ، قال ﷺ : { ما من قلب إلا بين إصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أقامه ، و إن شاء أزاغه . و كان رسول الله ﷺ يقول : يا مثبت القلوب ثبت قلوبنا على دينك . و قال : و الميزان بيد الرحمن يرفع أقواماً و يخفض آخرين إلى يوم القيامة } (ابن ماجه ، د.ت ، ج ١ ، المقدمـــة ، باب١٣: فيما أنكرت الجهمية ص ٧٢ ، برقم : ١٩٩) . فاللهم يا مثبت القلوب ثبت قلوبنا على دينك ، وثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة ، إنك سميع مجيب .

٢ - تربية مكارم الأخلاق في الإنسان :

أرسل الله تعالى رسلـــه الكرام بالدين الحق ، هداة مهتدين ، يعلمون البشر الكيفية الصحيحة في عبادته ، و يدعونهم إلى التمسك بالأخلاق الحميدة ، و نبذ الأخلاق السيئة و العادات الرذيلة ، وأن ندعو الله عزَّ وجلّ إلى أن يهدينا للأخلاق الحسنة و يوفقنا

إلى الأعمال الصالحـــة ، و أن ندعو ذلك عند كل صلاة ، فعن علي كرم الله وجهه عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال : { وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين ، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له و بذلك أُمرت وأنا من المسلمين . اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت ، أنت ربي وأنا عبدك ، ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعاً ، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، و اهدني لأحسن الأخلاق ، لا يهدي لأحسنها إلا أنت ، و اصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت ، لبيك وسعديك ، والخير كله في يديك ، والشر ليس إليك ، أنا بك و إليك ، تباركت و تعاليت ، أستغفرك وأتوب إليك } (النووي ، ١٤١١هـــ ، ج ٦ ، كتاب صلاة المسافرين و قصرها ، باب ٢٦ : صلاة النبي ﷺ .. ، ص ٥٧ ، برقم : ٧٧١٢٠١) . و كان النبي ﷺ يدعو : { اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن ، والعجز و الكسل ، والجبن والبخل ، وضَلَع الدين و غلبة الرجال } (ابن حجر ، ١٤٢٢١هـــ ، ج ١١ ، كتاب الدعوات ، باب ٤٠: الاستعاذة من الجبن و الكسل ، ص ٢١٣ ، برقم : ٦٣٦٩) .

٣ – بناء الأسرة المسلمة على أسس راسخة وقوية :

تعتبر الأسرة المسلمة النواة لتكوين المجتمع المسلم،ومن ثَم تكوين دولة إسلامية عظمى قوية ، وقد اهتم الإسلام ببناء الأسرة على أسس ثابتة ، راسخة وقوية ، كما عنت الأدعية في القرآن الكريم والسنة الشريفة ببناء الأسرة لتكون أسرة مسلمة صالحة يسودها المودة و الرحمة ، ويعمها الخير والبركة ، متماسكة البنيان ، قوية الأسس ، ثابتة الأركان ، تصمد في وجه ما يعتري حياتها من مشاكل و عواصف قد تهب عليها لظروف طارئـــة . و من هذه الأدعية : ما يدعوه أهل الزوج و أهل الزوجة وكل من يعرف الزوج ، يدعون له إذا تزوج بما علمنا به سيد البشر ﷺ : { بارك الله لك ، وبارك عليك ، وجمع بينكما في خير } (ابن ماجه ، د.ت ، ج١ ،كتاب النكاح ، باب ٢٣: تهنئة النكاح ، ص ٦١٤ برقم : ١٩٠٥) .

كما يدعو الزوج إذا دخلت عليه امرأته ليلة الزفاف بالدعاء المأثور ، فعن النبي ﷺ أنه قال :{ إذا تزوج أحدكم امرأة ... فليقل : اللهم إني أسألك خيرها و خير ما جبلتها عليه

و أعوذ بك من شرها و شر ما جبلتها عليه } و في رواية : { ثم ليأخذ بناصيتها و ليدْعُ بالبركة } (آبادي ، ١٤١٠هـ ، ج ٦ ، كتاب النكاح ، باب٤٦: جامع النكاح ، ص ١٣٨ ، برقم : ٢١٦٠) .

وقال ﷺ :{ أما لو أن أحدهم يقول حين يأتي أهله : بسم الله ، اللهم جنِّبني الشيطان و جنِّب الشيطان ما رزقتنا ، ثم قُدِّرَ بينهما في ذلك أو قُضِيَ ولدٌ لم يضره شيطان أبداً } (ابن حجر ، ١٤٢١هـ ، ج ٩ ، كتاب النكاح ، باب ٦٧ : ما يقول الرجل إذا أتى أهله ، ص ٢٨٤ ، برقم : ٥١٦٥) .

ويظل الزوج مستمراً بالدعاء لنفسه ولزوجه وذريته بالخير ، قال تعالى : ((رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا)) (سورة الفرقان ، الآية ٧٤) . و قال تعالى : ((رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ)) (سورة آل عمران الآية ٣٨) .

و إذا رزقه الله تعالى بمولود حصَّنه من الشيطان الرجيم ، و عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : { كان النبي ﷺ يُعَوِّذُ الحسن و الحسين و يقول : إن أباكما كان يُعَوِّذُ بهما إسماعيل و إسحاق ، أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة } . (ابن حجر ، ١٤٢١هـ ، ج ٦ ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب١٠: .. ، ص ٥٠٣ ، برقم : ٣٣٧١) . و كما يُعيذ ذريته من الشيطان الرجيم يعيذ ذرية ذريته ، كما فعلت الصالحة امرأة عمران بابنتها الصالحة مريم قال تعالى : ((وَ إِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَ إِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَ ذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ)) (سورة آل عمران ، الآية ٣٦) .

٤ – تقوية الروابط الاجتماعية بين أفراد المجتمع المؤمن :

إن الله تعالى شرع للمسلم حقوقاً كثيرة على أخيه المسلم ، تضمن للمجتمع المسلم تكافله و تماسكه ، منها : السلام على من يعرف ومن لا يعرف ، تشميت العاطس وعيادة المريض ، واتباع الجنازة ، و غير ذلك من الحقوق و المعاملات التي تؤدي إلى تقوية الصلات بين أفراد المجتمع الواحد ، و يُرافقها في كل ذلك دعوات صادقات من الأخ لأخيه المسلم . قال ﷺ : { حق المسلم على المسلم خمس : رد السلام ، وعيادة المريض ، واتباع الجنائز ، وإجابة الدعوة ، و تشميت العاطس } (ابن حجر ، ١٤٢١هـ ، ج٣ ، كتاب الجنائز ، باب ٢: الأمر باتباع الجنائز ، ص ١٤٥ ، برقم : ١٢٤٠) .

إن رد السلام واجب لأن السلام معناه الأمان ، فإذا ابتدأ به المسلم أخاه فلم يجبه فإنه يتوهم منه الشر ، فيجب عليه دفع ذلك التوهم عنه (ابن حجر ، ١٤٢١هـ ، ج١١ ، كتاب الاستئذان ، باب١: بدء السلام ، ص ٨) .

وإذا عاد المسلم مريضاً فإنه يدعو له بالشفاء فإن رسول الله ﷺ كان إذا أتى مريضاً ، أو أُتيَ به إليه قال ﷺ { أذهب الباس رب الناس ، أشفِ وأنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاءً لا يغادر سقماً } (ابن حجر ، ١٤٢١هـ ، ج ١٠ ، كتاب المرضى ، باب٢٠ : دعاء العائد للمريض ، ص ١٦١ ، برقم : ٥٦٧٥) . و لهذا الدعاء أثره البالغ في نفس المريض ورفع معنوياته ، وإزالة الوحشة عنه وتخفيف آلامه ، ومن أجل ذلك حث الإسلام على عيادة المريض ، و الدعاء له ، و السؤال عنه و تفقد أحواله ، و التسلية عنه ، «فزيارة المريض والدعاء له يوجد المحبة بين المتزاورين ، فمن هنا كان لزاماً على الإنسان تنمية كل ما من شأنه تقوية الصلات بين أفراد المجتمع و توثيقها ، و هذا دليل على تكاتف المجتمع و ترابط أفراده» (آل حميدي ، ١٤١٨هـ ، ص ٨٣) .

ومن حق المسلم على أخيه اتباع الجنازة ، والدعاء للميت و لأهله و لموتى المسلمين ، ومن هذه الأدعية ما دعاه النبي ﷺ حين صلى على جنازة :{ اللهم اغفر له وارحمه واعف عنه وعافه وأكرم نزله و وسع مدخله واغسله بماء وثلج و برد و نقه من الخطايا كما يُنقَّى الثوب الأبيض من الدنس وأبدله داراً خيراً من داره وأهلاً خيراً من أهله و زوجاً خيراً من زوجه وقه فتنة القبر وعذاب النار } (النووي ، ١٤١١هـ ، ج٧ ، كتاب الجنائز ، باب ٢٦: الدعاء للميت في الصلاة ، ص٣١ ، برقم : ٩٦٣٨٦) . و هناك أدعية يدعو بها من مرَّ بالمقابر لموتى المسلمين ، و أدعية يدعو بها لأهل الميت بأن يصبرهم الله على مصابهم ، و يعظم أجرهم و يعوضهم خيراً . وحين يعلم المسلم أن إخوانه المسلمين يدعـــون له بعد مماته و يدعون لأهله هذه الأدعية العظيمة يشعر أنهم أهله و محبوه في هذه الحياة ، وتزداد عرى المحبة والمودة بينهم قوة وتماسكاً .

ومما يزيد الروابط الاجتماعية قوة ومتانة إجابة الدعوة وتناول طعامها ، وإطعام الطعام للضيف والمحتاج ، و يثاب المضيف بالود والدعاء له بالخير والرحمة ، فقد كان الرسول ﷺ يدعو لمن أكل عندهم : { اللهم بارك لهم فيما رزقتهم واغفر لهم وارحمهم } (النووي ،

١٤١١هـ ، ج١٣ ، كتاب الأشربة ، باب٢٢:..استحباب دعاء الضيف لأهل الطعام ، ص٢٢٥ ، برقم : ٢٠٤٢١٤٦) . و كان ﷺ يدعو : { أفطر عندكم الصائمون و أكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة } (آبادي ،١٤١٠هـ ،ج١٠،كتاب الأطعمة ، باب ٥٥: الدعاء لرب الطعام إذا أكل عنده ، ص ٢٣٨ ، برقم : ٣٨٤٨) .

و مما يقوي الروابط الاجتماعية بين أفراد المجتمع تشميت العاطس أي الدعاء له ، قال ﷺ : { إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله و ليقل له أخوه أو صاحبه يرحمك الله فإذا قال له يرحمك الله فليقل يهديكم الله و يصلح بالكم } (ابن حجر ، ١٤٢١هـ ، ج ١٠ ، كتاب الأدب ، باب١٢٦: إذا عطس كيف يُشمَّت ؟ ، ص٧٤١ ، برقم: ٦٢٢٤) .

كما يدعو المسلم لمن صنع إليه معروفاً :{ جزاك الله خيراً } (الترمذي ، ١٣٥٧هـ ج٤ ، كتاب البر و الصلة ، باب٨٧ : ما جاء في المُتشبع بما لم يعطه ، ص ٣٣٣ ، برقم : ٢٠٣٥) . والأدعية التي تؤدي إلى ترابط المجتمع وتآلف أفراده وتماسكهم كثيرة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

٥ – صلاح أحوال الفرد في الدنيا والآخرة :

إن المؤمن يتضرع إلى الله تعالى ويدعوه في السراء والضراء لطلب منفعة ودوام خير و دفع مضرة ، و يعلم أن الله سميع مجيب ، يجيب دعوة المضطر إذا دعاه و يكشف السوء ، فهذا نبي الله أيوب عليه السلام قصَّ الله تعالى قصته ، فقال : ((وَ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّٰحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ)) (سورة الأنبياء ، الآيتان ٨٣،٨٤) و كان الأنبياء جميعهم عليهم السلام يدعون بالنصر على الكافرين فيستجيب الله تعالى لهم وهذا نبي الله نوح عليه السلام يدعو : ((قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ)) (سورة المؤمنون الآية ٢٦) . فنصره الله تعالى ومن آمن معه وأغرق المكذبين ، وتتكرر الدعوة من نبي آخر :((قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ)) (سورة المؤمنون ، الآية ٣٩) فنجاه الله تعالى ومن آمن به وأهلك الكافرين بالصيحة . والدعاء يدفع البلاء والشر من القدر ، لحديث :{ لن ينفع حَذَرٌ من قَدَر ، و لكن الدعاء مما نزل و مما لم ينزل ، فعليكم بالدعاء عباد الله } (ابن حنبل ، ١٤١٣هـ ، ج٥ ، ص ٢٧٨ ، برقم : ٢٢١٠٥) .

فيجب على الإنسان أن يكثر من الدعاء و التضرع إلى الله تعالى ساعات الليل والنهار بلسان لا يفتر ، وقلب لا يمل ولا يغفل ، يسأله صلاح حاله في الدنيا والآخرة ، قال تعالى : ((رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَ قِنَا عَذَابَ النَّارِ)) (سورة البقرة ، الآية ٢٠١) . و كـــان أكثر دعائه ﷺ بهذه الدعوة (النووي ، ١٤١١هـــ ، ج١٧ ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب ٩: فضل الدعاء باللهم آتنا في الدنيا حسنة و في الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ، ص ١٦ ، برقم : ٢٦٩٠٢٦) .

و كـــان رسول الله ﷺ يعلم المسلمين الكثير من الأدعية مما يجمع لهم صلاح دنياهم و أخراهم ، فيقول ﷺ لرجل : { قل اللهم اغفر لي و ارحمني و عافني و ارزقني ، و جمع أصابعه إلا الإبهام ، فإن هؤلاء تجمع لك دنياك و آخرتك } (النووي ، المرجع السابق ، باب١٠ : فضل التهليل و التسبيح و الدعاء ، ص ٢٠ ، برقم : ٢٦٩٨٣٦) . وكان ﷺ يقول:{ اللهم اصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري ، واصلح لي دنياي التي فيها معاشي ، و أصلح لي آخرتي التي فيها معادي ، و اجعل الحياة زيادة لي في كل خير ، و اجعل الموت راحـــة لي من كل شر } (النووي ، المرجع السابق ، باب ١٨ : التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل ، ص ٤٠ ، برقم : ٢٧٢٠٧١) .

وفي الاستغفار فقط منافع عظيمة بالدنيا والآخرة ، قال الله تعالى : ((فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِّدْرَارًا * وَ يُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَٰلٍ وَ بَنِينَ وَ يَجْعَلْ لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَ يَجْعَلْ لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا)) (سورة نوح ، الآيات ١٠:١٢) . ففي الاستغفـــار مغفرة الذنوب جميعاً بإذن الله تعالى ، و سبب لغزارة الأمطـــار و عدم الجدب ، وحصول الرزق والرخاء وكثرة الأموال وإنجاب الذرية ، وأي ذرية ؟ إنهم البنون ، والعيش في رغدٍ وجنات خضراء وأنهار جارية ، وخير عميم ، ففي الاستغفار فقط صلاح الدنيا والآخرة . وفي السنة النبوية الشريفة والقرآن الكريم الكثـــير من الأدعية التي تجمع للفرد صلاح دنياه و آخرته ، نسأل الله تعالى العفو والعافية في الدنيا والآخرة . اللهم آمين .

مبـــدأ الخشـــية

قال الله عزَّ و جلَّ : ((إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ)) (سورة المؤمنون ، الآية ٥٧) . فذكر الله سبحانه وتعـــالى أن من صفات المؤمنـــين الذين يُسبغ عليهم نعمه الظاهـــرة والباطنة في الدنيا والآخرة : الخشية من الله تعالى ، والتي بلغت فيهم الخشية حد الكمال وهو الإشفاق (الشوكاني ، ١٣٨٣هـــ ، ج ٣ ، ص ٤٨٨) .

معنى الخشية لغة :

الخشية في اللغـــة بمعنى : الخوف ، فيقال : خَشِيَ ، يَخْشَى ، خَشْـــيَةً . و خَشِيَهُ و تَخَشَّاهُ كلاهما بمعنى : خافه . (ابن منظور ، ١٣٠٠هـــ ، ج ١٤ ، ص ٢٢٨) .

معنى الخشية اصطلاحاً :

الخشية : هي خوف يشوبه تعظيم للمخوِّف ، أو شعور بخطره و الخشية من الله عزَّ وجلَّ هي الخوف من غضبه وعقابه ، وتدل الخشيـــة على الخضوع والخشوع والاتقاء ، والخشية تكون عن بما يُخشى منه (الشرباصي ، ١٤٠١هـــ ، ج ٣ ، ص ٤٠) .

أهل الخشية :

أهل الخشية من الله تعالى هم الأنبياء والمرسلين العارفين بجلال الله وقدره ، وصاحب الخشية يلتجئ إلى الاعتصام بالله تعـــالى ، وعلى قدر العلم تكون الخشـــية ، ولذلك قال رسول الله ﷺ : { فوالله لأنا لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية } (مسلم ، ١٤٢٠هـــ ، كتاب الفضائل ، باب ٣٥ : علمه ﷺ بالله تعالى وشدة خشيته ، ص ١٠٢١ ، برقم : ٢٣٥٦١٢٧) .

ويعد من أهل الخشية الدعاة والمبلغين رسالة الله سبحانه وتعالى ، حيث قال عنهم : ((الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَـــٰلَـــٰتِ اللهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلاَ يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللهَ وَكَفَىٰ بِاللهِ حَسِيبًا)) (سورة الأحزاب ، الآية ٣٩) .

و هي للعلماء العارفين بالله تعـــالى و لذلك اختص بها الله العلماء في قوله : ((إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَـــٰؤُاْ)) . (ســـورة فاطر ، الآية ٢٨) . فكان العلماء أكثر خشية لله لأنهم عرفوا عظمته فخافوه ، لا لذل منهم ، بل لعظمة جانب الله تعـــالى . وكل من

تدبر القرآن الكريم وفهم معانيه ازداد خشية لله ، قال تعالى : ((اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَ قُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللهِ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَ مَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ)) (سورة الزمر ، الآية ٢٣) .

أهمية الخشية :

للخشية أهمية ومكانة عظيمة ، فقد حصر الله تعالى الغاية من إنزال القرآن الكريم في كونه تذكرة و عظة لمن يخشاه ، و ذلك في عدة مواضع ، منها قوله تعالى : ((مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰ * إِلاَّ تَذْكِرَةً لِّمَنْ يَخْشَىٰ)) (سورة طه ، الآيتان ٢ ، ٣) . فكأن القرآن الكريم نزل خاصة لأهل هذه الفضيلة التعبدية ، وأنهم هم الذين ينتفعون به ويستفيدون منه ، دون غيرهم من البشر .

ولقد ارتبطت الخشية بثلاثة أسماء من أسماء الله الحسنى ، هي : الله ، الرب ، الرحمن وتكررت مرتبطة بها في عدة آيات ، منها قوله تعالى : ((وَ أَقَامَ الصَّلَوٰةَ وَءَاتَى الزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللهَ)) (سورة التوبة ، الآية ١٨) . و قوله سبحانه و تعالى : ((إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ)) (سورة فاطر ، الآية ١٨) . وقوله تبارك وتعالى : ((إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ)) (سورة يس ، الآية ١١) . و لعل السر في ارتباطها بهذه الأسماء الحسنى هو « أنه لا معبود سوى الله تعالى ولا عظيم كعظمة الله ، فإن الله هو العلي العظيم الكبير وهو سبحانه الجدير بالخشية لا الناس » « ولعل السر في ارتباط الخشية باسم الرب ، لأن الرب هو الذي خلق فسوى ، و الذي قدَّر فهدى ، و هو الذي ربَّى و أرشد ، و من أعطى الفضل برحمته قادر على سلبه بقدرته ، فكان بذلك أهلاً لأن يخافه الناس ويخشوه » « كما أن الرحمن يسبغ رضاه و رحمته على المتحلي بفضيلة الخشية وهما من جلائل النعم المتعلقة باسم الرحمن ، كما أن الله تبارك و تعالى يريد أن يُذَكِّر المتصفين بصفة الخشية أنها ليست صفة رعب أو فزع ، لأنها موصولة الأسباب بمصدر الرحمة : الرحمن » (الشرباصي ، ١٤٠١ هـ ، ج ٣ ، ص ٤٢ ، ص ٤٣ ، ص ٤٤) .

والخشية ، والخوف ، والوجل ، والرهبة ألفاظ متقاربة غير مترادفة و الخشية أخص من الخوف وهي خوف مقرون بعلم ومعرفة (ابن قيم ، ١٤٠٣هـ ،ج ١ ، ص ٥٤٩)

وكذا الخشوع والخضوع متقاربة معها في المعنى (ابن منظور ، ١٣٠٠هـ ، ج ٨ ، ص ٧١) . والإشفاق أعلى درجات الخشية وأكملها (الشوكاني ، ١٣٨٣هـ ، ج ٣ ، ص ٤٨٨) .

و قد أمر الله تعالى بخشيته وحده دون سواه ، فقال عزَّ و جلَّ : ((فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَ اخْشَوْنِي)) (سورة البقرة ، الآية ١٥٠) . و ينكرّ على من يخشى الناس أشد من خشيته فيقول تعالى : ((أَتَخْشَوْنَهُم فَاللهُ أَحَقَّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ)) (سورة التوبة ، الآية ١٣) ويبشر الخالق عزَّ وجلَّ من يخشوه بالمغفرة والأجرالعظيم في جنات النعيم ، ويصفهم بأنهم خيرالبرية فيقول تعالى : ((إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ)) (سورة الملك ، الآية ١٢) . وقال سبحانه وتعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ أُوْلَـٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ * جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ)) . (سورة البينة ، الآيات ٤ : ٨) .

الآثار التربوية الناجمة عن تطبيق مبدأ الخشية :

إن لتطبيق مبدأ الخشية من الله تعالى في جميع أحوال حياتنا آثاراً تربوية عظيمة على الفرد والمجتمع ، ومن أبرز هذه الآثار التربوية ما يلي : -

١- زيادة الإيمان بالله تعالى والتوكل عليه :

إن خشية الله تعالى في السر والعلن تزيد المؤمن إيماناً على إيمانه ويقيناً على يقينه ، وتزيده توكلاً على خالقه جل وعلا ، وتكسبه الشجاعة وإن اجتمع الناس ضده ، قال الله تعالى : ((الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَ الرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَ اتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ * الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَ قَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللهِ وَ فَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَ اتَّبَعُوا رِضْوَٰنَ اللهِ وَ اللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ)) (سورة آل عمران ، الآيات ١٧٢ : ١٧٤) . فخشية الله تعالى قلبت الوضع إلى عزة ونصر وتمكين . بخلاف خشية غير الله تعالى تؤدي إلى الخسار والبوار و إن كانوا هم الكثرة ، قال الله تعالى : ((أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَ أَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَ ءَاتُوا الزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ

يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَ قَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلاَ أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَـٰعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلاً)) (سورة النساء ، الآية ٧٧) .

٢- تربية النفس على البذل والعطاء في وجوه الخير :

خشية الله تعالى جاءت في طليعة الصفات التي يتحلى بها السابقون إلى فعل الخير و البر ، و هي التي تؤدي إلى الحرص على عدم التقصير في تأدية حقوق الله تعالى ثم حقوق العباد ، قال الله تعالى : ((إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ * وَ الَّذِينَ هُمْ بِآيَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَ الَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لاَ يُشْرِكُونَ * وَ الَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوْا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ * أُوْلَـٰئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِي الْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ)) (سورة المؤمنون ، الآيات ٥٧:٦١) . قال الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره لهذه الآيات : إن من يخشى الله عزَّ وجلَّ إلى حد الإشفاق ، وهو كمال الخشية ، مؤمناً بآياته ، موحداً له فإنه يسارع في الخيرات والبذل والعطاء يؤدي حقوق الله تعالى من زكاة وصلاة وصيام وغيره ، ويؤدي حقوق العباد من ودائع وديون وعدل وإنصاف ، وهو وَجِلٌ من تقصيره وإخلاله بنقصان أو غيره ، فإنه يكون لأجل ذلك الوجل مجتهداً في أن يوفيها حقها في الأداء (الرازي ، ١٤١١هـ ، ج ٢٣ ، ص ٩٣) .

٣- تربية الضمير الحي في النفس البشرية :

توقظ خشية الله تعالى الضمير الحي الذي يصحب الإنسان في الخلوة و الجلوة وفي كل حال ، لأنه يعلم أن الله تعالى يعلم السر وما أخفى . بينما القوانين الوضعية لا يمكن أن تحل محل الخشية من الله تعالى مهما كانت صارمة ، حيث لا تُراعى إلا حين يخاف الإنسان من الوقوع في قبضة السلطة القائمة على تنفيذ القوانين ، فإذا وجد فرصة أمنَ فيها المرء على نفسه هتك حرمة القانون وخرج عليه دون مبالاة .

و إن ما تعانيه الإنسانية اليوم من نضوب معين الفضائل و فساد الضمائر ، وانتشار الجرائم و الاستهتار بالقيم إنما سببه الغفلة عن خوف الله تعالى وخشيته ، وعدم استحضار عظمته التي تجعل في القلب رهبة تحول بينه وبين الميل إلى الشر ، فخشية الله تعالى إحدى الدعائم التي قامت عليها الحياة الروحية ؛ لأنها تسمو بالإنسان إلى كل خير؛ لذلك جاءت الأديان لغرس هذه النزعة في نفوس الأفراد مبينة ما يؤدي إليه غضب الله تعالى من العقاب

الدنيوي والأخروي ، ولولا خشية الله تعالى لاسترسل الإنسان في شروره ، و انكب على شـــهواته غير مقيم لمصلحة الغير أي اعتبار ، ولما نفعت في ذلك كل القوانين التي شرعت لـــلمحافظة عـــلى الإنسان من عدوان الغير ، وهذا ما يعاني منه عالمنا الحاضر . فالإسلام بجانـــب ما شرعه من العقوبات و الزواجر التي تردع الإنسان عن اقتراف الشر لم يهمل تذكيره بخشية الله تعالى و الخوف من عقابه لأن ذلك أدعى إلى طاعته سبحانه و تعـــالى و سلوك الطريق المؤدي إلى مرضاته (سابق ، د.ت ، ص ٨٨ : ص ٩٠) .

٤- صلاح الأفراد والمجتمعات :

إن من خاف الله تعالى وخشيه وحده دون سواه ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر لا يخشى في الله لومة لائم ، فيجهر بالحق ويدعو إليه ، وينكر المنكر دون تهيب من أحد أو خوف من مخلوق ، وقد وصف الله تعالى المؤمنين بحق فقال: ((أَذِلَّةٍ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ أَعِـــزَّةٍ عَلَىٰ الْكَـــٰفِرِينَ يُجَـــٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ)) (سورة المائدة ، الآية ٥٤) . أما حين تكون خشية الناس في المقدمة سينطفئ وهج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتستفحل المنكرات والفواحش في المجتمع ، و لم يستحق بنو إسرائيل العقاب والطـــرد واللعن إلا لإهمالهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قال تعالى : ((لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَ ئِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُّنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ)) (سورة المائدة ، الآيتان ٧٨ : ٧٩) . أما المسلمون فقد أمروا بالمعروف و نهوا عن المنكر ، فصلحوا أفراداً و مجتمعات ، و اســـتحقوا بذلك أن يكونوا خير الأمم على الإطلاق ، قال تعالى مادحاً لهم : ((كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ)) (سورة آل عمران ، الآية ١١٠) .

٥- نيل رضوان الله تعالى ومغفرته ورحمته :

يؤكد القرآن الكريم أن الخشية هي الطريق المؤدي إلى رضى الله تعالى وجنة الرحمن فيقول تعالى : ((إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـــٰلِحَـــٰتِ أُوْلَـــٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ * جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّـــٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَـــٰرُ خَـــٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ)) (سورة البينة ، الآيتان ٧ ، ٨) . فأثر هذا الجزاء

الحسن ، و هذا الرضى العظيم ، و هذا الرضوان الكبير ، إنما يكون لمن كان له قلب عامر بالخشية من الله عزَّ وجلَّ .

والخشـــية من الله تعالى والخوف منه ناهية للنفس عن اتباع الهوى والشهوات ، قال تعالى : ((وَ أَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَىٰ * فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ)) . (سورة النازعات ، الآيتان ٤٠ ، ٤١) .

كما يخبرنا رسول الله ﷺ أن من بكت عيناه خشية لله تعالى يحرم صاحب هذه العين من دخول النار ، ويظله في ظله ، فقال ﷺ : { سبعة يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله : - ذكر منهم – ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه } . (البخاري ، ١٤٢٢ هـــ ،كتاب الرقاق ، باب ٢٤ : البكاء من خشية الله ، ص ١١٥٣ ، برقم : ٦٤٧٩) .

وقال تعالى : ((إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَّغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ كَبِيرٌ)) (سورة الملك ، الآية ١٢) . فاللهم أسألك خشيتك في الغيب و الشـــهادة . و اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك .. آمين .

الفصـــل الخامـــس

المبادئ التربوية المتضمنة في جانب الأخلاق :

* المبدأ الأول : الإعراض عن اللغو .

* المبدأ الثاني : الأمـــانـــــة .

* المبدأ الثالث : الوفاء بالعهد .

تمهيد :

إن حسن الخلق من الإيمان ، ومن أهم وأكثر الأسباب المؤدية إلى دخول أعلى الجنان ، فقد سئل النبي ﷺ : ما أكثر ما يدخل الجنة ؟ قال : { التقوى وحسن الخلق } . (ابـــن ماجه ، د.ت ، ج ٢ ، كتاب الزهد ، باب ٢٩: ذكر الذنوب ، ص ١٤١٨ ، برقم : ٤٢٤٦) . و من علامات حسن الخلق الصمت و الإعراض عن اللغو ، قال ﷺ : { من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت } (ابن حجر ، ١٤٢١هـــ ، ج١٠ كـــتاب الأدب ، باب٣١ : من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فلا يؤذ جاره ، ص ٥٤٦ ، برقم : ٦٠١٨) .

و ضعف الخلق دليل ضعف الإيمان ، أو انتفائه ، و من علامات ضعف الخلق إلحاق الأذى بالآخرين ، قال ﷺ : { والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن . قيل : ومن يا رسول الله ؟ قال : الذي لا يأمن جاره بوائقه } (ابن حجر ، المرجع السابق ، باب ٢٩: إثم من لا يأمن بوائقه ، ص ٥٤٣ ، برقم : ٦٠١٦) .

و الخلق في اللغة : هو الطبع و السجية . و الجمع أخلاق . و حقيقته : أنه لصورة الإنسان الباطنة ، و هي نفسه و أوصافها و معانيها المختصـــة بها ، بمنزلة الخَلْق لصورته الظاهرة و أوصافها و معانيها ، و لهما أوصاف حسنة وقبيحة ، والثواب والعقاب يتعلقان بأوصاف الصورة الباطنـــة أكثر مما يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهـــرة . (ابن منظور ، ١٣٠٠هـــ ، ج ٣ ، ص ٨٦) .

و الخلق اصطلاحاً : عبارة عن هيئة في النفس راسخة ، عنها تصدر الأفعال بسهولة و يسر ، من غير حاجة إلى فكرٍ و رويّة ، فإن كانت الهيئة تصدر عنها الأفعال الجميلـــة المحمودة عقلاً و شرعاً سميت تلك الهيئـــة خلقاً حسناً . و إن كان الصـــادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً . (الغزالي ، د.ت ، ج ٣ ، ص ٥١) .

ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة في حسن الخلق ، وقد أثنى الله تعالى على خلقه في كتابه الكريم فقال : ((وَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ)) (سورة القلم ، الآية ٤) .

و بقاء الأمم و الحضـــارات مرتبط بحسن أخلاق أفرادها ، فإذا انحدرت أخلاقهم وساءت سقطت دولتهم و تدهورت حضارتهم ، و قد صدق من قال :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هُمُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ويقول الإمام محمد الغزالي يرحمه الله تعالى ، ١٤٠٩هـ :

« و يؤكد هذه الحقيقة حديث رسول الله ﷺ لقومه وعشيرته ... وأفهمهم ألاّ دوام لملكهم إلا بالخلق وحده ، فقال ﷺ:{ الأئمة من قريش ، إن لهم عليكم حقاً ولكم عليهم حقاً مثل ذلك ما إن استُرحِمُوا رَحِمُوا ، و إن حكموا عدلوا ، و إن عاهدوا وفوا ، فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله و الملائكة و الناس أجمعين } [(ابن حنبل ، ١٤١٣هـ ، ج٣ ، ص ١٥٩ ، برقم : ١٢٣١٥)] .هذا الحديث حاسم في أنه لا مكانة لأمة ولا لدولة ولا لأسرة إلا بمقدار ما تمثل في أفرادها من صفات عالية ، وما تحقق من أهداف كريمة » . (ص ٣٧ ، ص ٣٨) .

و كان الصحابة رضوان الله عليهم يسألون أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها :كيف كان خلق رسول الله ﷺ ؟ . قالت : كان خلقه القرآن ، أما تقرأ قول الله عزَّ وجلَّ : ((وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ)) (سورة القلم ، الآية ٤) (ابن حنبل ، ١٤١٣ هـ ، ج ٦ ، ص ١٠١ ، برقم : ٢٤٦٥٥) ولقد تضمنت سورة " المؤمنون " مبادئ تربوية عديدة في جانب الأخلاق ، ومن أهم هذه المبادئ : الإعراض عن اللغو ، الأمانة الوفاء بالعهد .

مبدأ الإعراض عن اللغو

جعل الله تعالى الإعراض عن اللغو سمة بارزة من سمات المؤمنين ، يُثاب عليها بالفلاح في الدنيا والآخرة ، و دخول أعلى الجنان ، ألا وهي جنة الفردوس ، فقد ذكرها الله تعالى من جملة الصفات التي في بداية سورة " المؤمنون " فقال : ((وَ الَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ)) (الآية ٣) . والإعراض عن اللغو صفة جميلة و عظيمة قلَّ من يتصف بها من المؤمنين . عظمَّها الله عزَّ وجل فوصف بها عباده المؤمنين في هذه السورة ، الذين يرثون جنة الفردوس خالدين فيها . ووصف بها عباده في سورة الفرقان — و قد نسبهم إليه تشريفاً لهم بلفظ " عباد الرحمن " – فقال تعالى : ((وَ الَّذِينَ لاَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَ إِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً)) (سورة الفرقان الآية ٧٢) . و كان جزاؤهم لقاء إعراضهم عن اللغو الخلود في الفردوس أعلى الجنان ، و في مقابلة إعراضهم عن اللغو في الدنيا كان إنعامهم في جنة الفردوس بإبعاد اللغو عنهم ، و هو نوع من أنواع النعيم الإلهي في الجنة فيه إشعار بعلو المكانة لفضيلة الإعراض عن اللغو ،كما هو مبين في قول الله تعالى : ((لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلاَّ سَلاَمًا وَ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَ عَشِيّاً))(سورة مريم ، الآية ٦٢) . و قوله تعالى : ((لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَ لاَ تَأْثِيمًا)) (سورة الواقعة ، الآية ٢٥) . و كما في قوله تعالى : ((لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَ لاَ كِذَّابًا)) (سورة النبأ ، الآية ٣٥) .

معنى اللغو في اللغة :

السَّقَطُ و ما لا يُعتد به من كلامٍ وغيره ، ولا يحصل منه على فائدة ولا نفع . و لغا في القول ، يلغو ، و يلغَى ، لغواً ، و لغِيَ ، لَغاً ، ومَلغاةً : أخطأَ وقال باطلاً . (ابن منظور ، د.ت ، ج ١٥ ، ص ٢٥٠) .

معنى اللغو اصطلاحاً :

قال الحافظ ابن كثير يرحمه الله في تفسيره لقوله تعالى : ((وَ الَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ)) : أن اللغو هو الباطل ، و هو يشتمل الشرك كما قال بعضهم ، و المعاصي كما قاله آخرون ، وما لا فائدة فيه من الأقوال و الأفعال . (ابن كثير ، ١٣٨٨هـ ، ج ٣ ، ص ٢٣٨) .

و المراد بالإعراض عن اللغو : هو الابتعـــاد عن اللغو كليةً بأن لا يفعله ، و لا يرضـــى به ، و لا يخالط من يأتيه وعلى هذا الوجه قال تعالى : ((وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا)) (سورة الفرقان ، الآية ٧٢) . و الإعراض عن اللغو هو من الترك الشاق على الأنفس . (فخر الرازي ، ١٤١١هـــ ، ج٢٣ ، ص ٧٠) .

أنواع اللغـــو :

إن الوقوع في اللغو يورد الإنسان المهالك ، وقد يستوجب عليه عذاب القبر ، وقد يدخل بسبب لغوه النار ، لما تدل عليه الأحاديث التالية : عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله أنؤاخذ بما نقول ؟ قال ﷺ : { ثكلتك أمك يا معاذ ، و هل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم ؟ } . (رواه الترمذي مطولاً ، ١٣٥٦هـــ ، ج ٥ ، كتاب الإيمان ، باب : ٨ ما جاء في حرمة الصلاة ص ١٣، حديث صحيح برقم : ٢٦١٦) . و هذا الحديث يدل على أن الإنسان يدخل بسبب لغوه النار، وما اللسان إلا أداة اللغو والكلام . وقد سئل الرسول ﷺ عن أكثر ما يلج الناس به النار ؟ فقال ﷺ : { الأجوفان : الفم والفرج } (ابن حنبل ، ١٤١٣هـــ ، ج ٢ ، ص ٣٩٠ ، برقم : ٧٩٢٦) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أن النبي ﷺ قال : { إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات ،وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم }. (ابن حجر ، ج ١١ ، كتاب الرقاق ، باب ٢٣: حفظ اللسان ، ص ٣٠٨ ، رقم : ٦٤٧) . ومن اللغو الذي يعذب بسببه في القبر النميمة ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما مرَّ النبي ﷺ على قبرين ، فقال :{ إنهما ليعذبان ، وما يعذبان في كبير . ثم قال بلى ، أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة ، و أما أحدهما فكان لا يستتر من بوله . ثم أخذ عوداً رطباً فكسره اثنتين ، ثم غرز كل واحد منهما على قبر ، ثم قال : لعله يُخفف عنهما ما لم ييبسا } . (ابن حجر ، ج ٣ ، كتاب الجنائز ، باب ٨٨ عذاب القبر من الغيبة و البول ، ص ٢٤٢ ، رقم : ١٣٧٨) . و من هنا يتضح أن للغو أنواعاً كثيرة ، قد بلغت ثلاث وعشرين نوعاً . أسماها الحافظ أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا يرحمه الله تعالى ــ وفاته ٢٨١هـــ ــ " آفات اللسان " في كتابه

القيم " كتاب الصمت وحفظ اللسان " وقد ذكر منها سبعة عشرة آفة وهي :

الكـــذب ، النمـــيمة ، اللعـــن ، المراء و الجدل ، الخصومات ، التقعر في الكلام والتشدق ، وتكلف السجع والتصنع فيه ، الفحش في القول و البذاءة والسباب ، الخوض في الباطل ، فضول الكلام ، إفشاء السر ، الغـــيبة ، المـــدح ، المزاح ،كلام ذي اللسانين الكلام المنهي عنه (إشراك الذات الإلهية مع المخلوقات بالواو والضمير) ، الكلام فيما لا يعني الإنسان . (ابن أبي الدنيا ، ١٤٠٨هـــ ، ص٢٠) .

وأضاف إليها الإمام أبوحامد محمد بن محمد الغزالي يرحمه الله تعالى _ وفاته ٥٠٥هـــ _ ثلاث آفات ، هي : السخرية والاستهزاء ، الغناء والشعر (الذي فيه تحقيق لمراد الشيطان الرجيم) ، وسؤال العوام عن صفات الله وعن الحروف أهي قديمة أم مُحدَثة .
(الغزالي ، د.ت ، ج ٣ ، ص ١٠٣) .

وتضيف إليها الباحثة ثلاث آفات ، هي : النياحة ، والحلف بغير الله ، والنجـــش . و على المؤمن أن يتقي الله تعالى في جميع أقواله وأفعاله ، وليجتنب أضرار لسانه ، وليحذر ســـقطاته وعثراته ، حتى لا يقع في عصيان خالقه فينال شديد عقابه ، فما أحوجنا إلى أن ننتبه إلى آفات اللسان وخطورته ، فنكبح جماحه ونلجمه بلجام الإيمان ولا نستعمله إلا في طاعة الله تعالى و رضوانه ، لننال عفوه و محبته ، ونستحق الخلود في جنة الفردوس أعلى جـــنانه ، و على هذا فالواجب على المؤمنين الإعراض عن اللغو بأنواعه ، حتى ينجو من الخوض في الباطل ، و يحسن إسلامه ، فقد قال ﷺ : { من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنـــيه } . (الترمذي ، ١٣٥٦هـــ ، ج ٤ ، كتاب الزهد ، باب ١١: ترك المرء ما لا يعنيه ، ص ٤٨٣ ، برقم : ٢٣١٧) . فإن من ثمرات ترك المرء اللغو و الخوض في الباطل وعدم التكلم فيما لا يعنيه : حسن الإسلام و كماله .

الآثار التربوية الناجمة عن تطبيق مبدأ الإعراض عن اللغو :

لما كان لفضيلة الإعراض عن اللغو مكانة عالية وعظيمة بأن جعله الله تعالى من ألوان النعيم في جناته ، كان لهذه الفضيلة آثار تربوية قيمة عند تطبيقها في حياة الفرد والمجتمع . وفيما يلي بعض هذه الآثار : –

١ – كمال الإيمان :

إن من كمال الإيمان وحسنه أن يتصف المؤمن بصفة الإعراض عن اللغو ، لأنه بهـــذا يبتعد عن آفات اللسان جميعها ، سواء كانت شركاً ، أم معصية ، أم مباحاً لكن لا ضرورة و لا نفع منه ، و قد شهد الرسول ﷺ بحسن إسلام المرء إن ترك الخوض فيما لا يعنيه ، فقال ﷺ : { من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه } (الترمذي ، ١٣٥٦ هـــ ج ٤ ،كتاب الزهد ، باب١١: ترك المرء ما لا يعنيه ، ص ٤٨٣ ، برقم : ٢٣١٧) .

ولحديثه ﷺ حين سئل : أي المسلمين أفضل ؟ فقال ﷺ : { من سلم المسلمون من لسانه و يده } (ابن حجر ، ١٤٢١هـــ ، ج ١ ، كتاب الإيمان ، باب ٥: أي الإسلام أفضل ؟ ، ص ٧٥ ، برقم : ١١) .

وقال ﷺ : { من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت } (النووي ، ١٤١١هـــ ، ج ٢ ، كتاب الإيمان ، باب١٩: الحث على إكرام الضيف و لزوم الصمت إلا عن الخير ، ص ١٨ ، برقم : ٤٧٧٤) . و إن من ترك اللغو وأعرض عنه فقد استحق شرف الانتساب إلى عبوديـــة الرحمن ، فإن الله تعـــالى ذكر أنه من صفات عباد الرحمن الإعراض عن اللغو فقال تعالى : ((وَ إِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا)) (سورة الفرقان ، الآية ٧٢) .

وإن أكثر الناس يدخلون النار نتيجة أوزار ألسنتهم ، فقد قال ﷺ لمعاذ رضي الله تعالى عنه :{ وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم } (الترمذي ، ١٣٥٦هـــ ، ج ٥ ، كتاب الإيمان ، باب٨: ما جاء في حرمة الصلاة ، ص ١٣ ، برقم : ٢٦١٦) . وقال ﷺ : { ليس المؤمن بالطَّعان و لا اللَّعان و لا الفاحش و لا البذيء } (الترمذي ، ١٣٥٦هـــ ، ج ٤ ، كتاب البر والصلة ، باب ٤٨ : ما جاء في اللعنة ، ص ٣٠٨ ، برقم : ١٩٧٧) . و قال ﷺ : { لا يؤمن العبد الإيمان كلـــه حتى يـــترك الكذب في المزاح ، والمراء وإن كان صادقاً } (ابن حنبل ، ١٤١٣هـــ ، ج ٢ ، ص ٤٨٣ ، برقم : ٨٧٨٧) .

٢ – تحقيق القدوة الحسنة للمتعلمين :

إن المعرضين عن اللغو بجميع أنواعه في جميع أحوالهم و أوقاتهم هم في الحقيقة قدوة حسنة للآخرين ، فهؤلاء لا يصدر منهم إلا القول الطيب و الفعل الحسن و السلوك

المستقيم ، و يبرءون بأنفسهم عن كل فعل قبيح أو سلوك معوج أو خلـــق رديء . فهم حين يأمرون بمعروف أو ينهون عن منكر و قبيح يقتنع السامع بما يقولون لأنه يراهم قدوة حسنة ، تطابق أقوالهم أفعالهم ، فإذا كان الآمرون بالمعروف و الناهون عن المنكر تخالف أقوالهم أفعالهم فيأمرون بمعروف هم بعيدون عن فعله ، و ينهون عن منكر هم لا يتورعون عن إتيانه لم يكن لأمرهم و لا لنهيهم أثر يُذكَر في قلوب السامعين ، بل هم قدوة منفرة عن ما يدعون إليه من معروف ، وهم يستحقون الوعيد والمقت من الله تعالى حيث قال : ((يَـــأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ)) (سورة الصف ، الآيتان ٢،٣) . و إن أفضل الكلام مع الآخرين العلم النافع ، و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، قال ﷺ : { فأْمرْ بالمعروف و انه عن المنكر ، فإن لم تطق ذلك فكُف لسانك إلا من خير } (ابن حنبل ، ١٤١٣هـــ ، ج ٤ ، ص ٣٦٦ برقم : ١٨٦٧٢) .

والواجب على المسلم أن يكون قدوة حسنة للآخرين في حسن الخلق وطيب الكلام والإعراض عن اللغو ، و لنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة ، فعن أنس رضي الله تعالى عنه قال : { لم يكن رسول الله ﷺ سباباً ولا فحاشاً ولا لعاناً ، وكان يقول لأحدنا عند المعتبة : ماله تربَت جبينه } (ابن حنبل ، ١٤١٣هـــ ، ج ٣ ، ص ١٧٧ ، برقم:١٢٤٧١) .

٣ – السلامة من النفاق :

إن بعض أنواع اللغو يورث النفاق ، ومن اتصف بأحدها كانت به خصلة من النفاق فإن تركها وأعرض عنها سلم من النفاق ، كالكذب ونقض العهد وإخلاف الوعد والفجـــور في الخصومة ، وخيانة الأمانة التي منها إفشاء السر الذي يعد من أنواع اللغو . قـــال رسول الله ﷺ : { آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذَب ، و إذا وعد أخلف ، و إذا ائتمن خان } وقال أيضاً :{ أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلـــة من النفاق حتى يدعها : إذا ائتمن خان ، و إذا حدث كذب ، و إذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر } (ابن حجر ، ١٤٢١هـــ ، ج ١ ، كتاب الإيمان باب ٢٤: علامة المنافق ، ص ١٢٠ ، برقمي : ٣٣ ، ٣٤) . و للكذب أثر فتـــاك على القلوب ، و يورث النفاق العملي و يُنبته في القلب الذي قد ينمو أكثر حتى يورث القلب

النفاق الاعتقادي ؛ فيجعله يكذب على الله سبحانه و تعالى و على الرسول ﷺ فيكون بذلك خسر الدنيا والدين .

قال الله تعالى : ((وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ يَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُوْلَـئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ)) (سورة لقمان ، الآية ٦) . قال ابن عباس و عبد الله ابن مسعود رضي الله تعالى عنهم : إن لهو الحديث هو الغناء ، و قال ابن مسعود هو الغناء و الله الذي لا إله إلا هو ، يرددها ثلاثاً (ابن كثير ، ١٣٨٨هـ ، ح ٣ ، ص ٤٤١) . و يقول ابن مسعود رضي الله تعالى عنه : الغناء ينبت النفاق في القلب (الغزالي د.ت ، ج ٢ ، ص ٢٦٢) . و قد أخبر رسول الله ﷺ أنه سيأتي في أمته من يحل ما حرم الله تعالى من المعازف و الغناء فقال ﷺ : { لَيكونن من أمتي أقوام يستحلون الحِرَ و الحرير و الخمر و المعازف } (ابن حجر ، ١٤٢١هـ ، ج ١٠ ، كتاب الأشربة ، باب ٦: ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه ، ص ٦٣ ، برقم : ٥٥٩٠) .

٤ – توجيه الإنسان منطقه فيما يعود عليه وعلى المجتمع بالنفع والفائدة :

كل إنسان محاسب على ما ينطق من قول إن خيراً فخير ، و إن شراً فشر . قال الله تعالى : ((وَ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ)) (سورة ق ، الآية ١٨) . لذلك يجب أن يعرض الإنسان عن اللغو فيقي نفسه وخيم العاقبة ، و يحرص أن يكون منطقه خيراً ليغنم الخير . و يقول الله تعالى في كتابه الكريم : ((لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَـحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا)) (سورة النساء ، الآية ١١٤) . و الإصلاح بين الناس يحل فيه الكذب ، لقوله ﷺ : { لا يحل الكذب إلا في ثلاث : يحدث الرجل امرأته ليرضيها ، والكذب في الحرب ، والكذب ليصلح بين الناس } (الترمذي ، ١٣٥٦هـ ، ج ،كتاب البر و الصلة ،باب ٢٦: إصلاح ذات البين ، ص ٢٩٢ ، برقم : ١٩٣٩) . ويقول الله تعالى : ((وَ قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا)) (سورة البقرة ، الآية ٨٣) وقال تعالى : ((وَ اتَّقُوا اللهَ وَ قُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا)) (سورة الأحزاب ، الآية ٧٠) .

و من الكلام المحمود أيضاً إفشاء السلام على من عرفت و من لم تعرف ، و الكلمة الطيبة فأجرها كأجر صدقة ، قال ﷺ : { الكلمة الطيبة صدقة } (النووي ، ١٤١١هـ

ج ٧ ، كتاب الزكاة ، باب ١٦ : أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف ، ص ٩٥ ، برقم : ١٠٠٩٥٦) ، ومنه أيضاً الاستغفار ففيه النفع العظيم على الفرد والمجتمع . (ذُكر سابقاً بالدراسة ص ١٦٠) . ومنه التعليم النافع ، وتعلُّمُه ، وقراءة القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة الدالة على فضل ونفع قراءة وتعلُّم وتعليم القرآن الكريم كثيرة منها قوله ﷺ : { خيركم من تعلم القرآن وعلَّمه } (ابن حجر ، ١٤٢١هـ ، ج ٩ ، كتاب فضائل القرآن ، باب ٢١ : خيركم من تعلم القرآن وعلمه ، ص ٩١ ، برقم : ٥٠٢٧) . ومنه أيضاً تدارس السنة والسيرة النبوية الشريفة .

و لله در عطاء بن أبي رباح * حين قال : إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ ، أو تأمر بمعروف ، أو تنهى عن منكر ، أو أن تنطق بحاجتك في معيشتك التي لابد لك منها . أتنكرون : ((وَ إِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ)) [(سورة الانفطار الآيتان ١٠ ، ١١)] و ((عَنِ الْيَمِينِ وَ عَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ)) [(سورة ق ، الآيتان ١٧،١٨)] أما يستحي أحدكم إذا نُشرَت صحيفته التي أملأها صدر نهاره كان أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه ؟ (الشرباصي ، ١٤٠١هـ ، ج٢ ، ص ٩٣) .

ولقد كان رسول الله ﷺ يقول : { كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو ذكر لله } (الترمذي ، ١٣٥٦هـ ، ج٤ ، كتاب الزهد ، باب ٦٢ : ما جاء في حفظ اللسان ، ص ٥٢٦ ، برقم : ٢٤١٢) . وإن كثرة الكلام بغير ذكر الله تعالى تبعد الإنسان عن الله تعالى لحديث : { لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله ، فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوةٌ للقلب ، وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي } (الترمذي ، المرجع السابق ، ص ٥٢٥ ، برقم : ٢٤١١) . وليت جُلَّ كلام الناس فيه النفع والفائدة حفظنا الله تعالى وسائر المسلمين من عثرات اللسان ، ووقانا عذاب السعير ، آمين .

---

* عطاء بن أبي رباح كان حبشياً فقيهاً زاهداً ورعاً ، وقد كانت الحلقة في الفتيا بمكة في المسجد الحرام لعبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنه وبعده لعطاء بن أبي رباح ، روى أحاديث عن ابن عمر وابن عمرو وأبي سعيد وأبي هريرة وابن عباس وابن الزبير وغيرهم من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم . (ابن الجوزي ، ١٤٠٥هـ ، ج٢ من ص ٢١١ : ٢١٤) .

وكان الربيع بن خُثَيْم * يرحمه الله تعالى يقول : لا خير في الكلام إلا في تسع : تهليل وتكبير ، وتسبيح ، وتحميد ، وسؤالك من الخير ، وتعوذك من الشر ، وأمرك بالمعروف ، ونهيك عن المنكر ، وقراءتك للقرآن (ابن أبي الدنيا ، ١٤٠٨هـ ، ص ٦٤) .

٥ - نيل رضا الله عزَّ وجلّ والخلود في جنة الفردوس :

إن جزاء الإعراض عن اللغو الخلود في جنات النعيم ، فقد أخبر الله عزَّ و جلّ عن عباده الذين إذا مرُّوا باللغو مرُّوا كراماً ، و لم يُدنسوا أنفسهم منه بشيء فإنهم يجزون الجنة فقال سبحانه و تعالى : ((أُوْلَـئِكَ يُجْزَوْنَ الغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَ يُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَ سَلَـمًا * خَـلِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَ مُقَامًا)) (سورة الفرقان ، الآيتان ٧٥ ، ٧٦) . والغرفة هي الجنة ويبتدرون فيها بالتحية والإكرام والتوقير ، فلهم السلام وعليهم السلام . (ابن كثير ، ١٣٨٨هـ ، ج ٣ ، ص ٣٣٠) . و قال الله تعالى أيضاً : ((أُوْلَـئِكَ هُمُ الوَ رِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الفِرْدَوسَ هُمْ فِيهَا خَـلِدُونَ)) (سورة المؤمنون ، الآيتان ١٠،١١) وقال ﷺ : { من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة } . (ابن حجر ، ١٤٢١هـ ، ج ١١ ، كتاب الرقاق ، باب ٢٣ : حفظ اللسان ، ص ٣٧٣ ، برقم : ٦٤٧٤) . وقال ﷺ عن جزاء كلٍ من أعرض عن المراء والكذب وحسُن خلقه : { من ترك الكذب وهوباطل بُنِيَ له في ربض الجنة ، ومن ترك المراء وهو محق بُنِيَ له في وسطها و من حسن خلقه بُنِيَ له في أعلاها } (الترمذي ، ١٣٥٦هـ ، ج ٤ ، كتاب البر و الصلة ، باب ٥٨ : ما جاء في المراء ، ص ٣١٥ ، برقم : ١٩٩٣) .

و حسب ابن آدم حافزاً لقول الخير و المعروف و رادعاً عن قول السوء و المنكر أن يتذكر دائماً قول الله تعالى : ((وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَـنَ وَ نَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ * إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَ عَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَّا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ)) (سورة ق ، الآيات ١٦ : ١٨) .

---

* الربيع بن خُثَيْم هو أبو يزيد الربيع بن خُثَيْم الكوفي ، روى عن النبي ﷺ مرسلاً وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وغيره ، وقيل عنه : كان من معادن الصدق وكان من أشد أصحاب ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ورعاً وزهداً ، ورُوي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه كان يقول للربيع : والله لو رآك رسول الله ﷺ لأحبك (ابن الجوزي ، ١٤٠٥هـ ، ج٣ ، من ص ٥٩ : ٦٨) .

مبدأ الأمانـــــة

ذكر الله سبحانه وتعالى أن من صفات المفلحين : خلق الأمانة ، قال تعالى ((وَٱلَّذِينَ هُـــمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَ عَهْدِهِمْ رَٰعُونَ)) (سورة المؤمنون ، الآية ٨) . أي : قائمون عليها بحفظها وإصلاحها . والآية تحتمل العموم في كل ما اؤتمنوا عليه وعوهدوا ، من جهة الله تعـــالى و من جهة الخلق . و تحتمل الخصوص فيما حملوه من أمانات الناس و عهودهم . (القاسمي ، ١٤١٨هـــ ، ج ٧ ، ص ٢٨٣) .

معنى الأمانة في اللغة :

الأمانة نقيض الخيانة ، والمفعول : مأمون وأمين ومُؤْتَمَن . ومؤتمِن : مَنِ ائتمنه (الفراهيدي ، ١٤٢١هـــ ، ص ٤٠) . ومؤتَمَن القوم : الذي يثقون به ويتخذونه أميناً حافظاً . والأمانة تقع على الطاعة والعبادة والوديعة والثقة والأمان والمجالس (ابن منظور ١٣٠٠هـــ ، ج ١٣ ، ص ٢٢) .

معنى الأمانة اصطلاحاً :

إن مما قاله المفسرون يرحمهم الله تعالى في تفسير الآية السابقة : الأمانة ما يُؤتمنون عليه و هي كل ما يتحمله الإنسان من أمر الدين و الدنيا ، والأمانة أعم من العهد ، فكل عهد أمانة ، ومعنى راعون : حافظون . (الشوكاني ، ١٣٨٣هـــ ، ج ٣ ، ص ٤٧٤) ويوافق هذا المعنى ما ذُكِرَ في تعريف الأمانة حيث قيل :

« الأمانة يراد بها التكاليف والحقوق المرعية التي أودعها الله تعالى المكلفين ، وائتمنهم عليها ، وأوجب عليهم تلقيها بحسن الطاعة والانقياد ، وأمرهم بمراعاتها وأدائها والمحافظة عليها من غير إخلال بشيء من حقوقها » (الشرباصي ، ١٤٠٧هـــ ، ج ٢ ، ص ١٦)

والأمانة في جانبها النفسي خلق ثابت في النفس ، يعف به الإنسان عما ليس به حق و إن تهيأت له ظروف العدوان عليه دون أن يكون عرضة للإدانة عند الناس ، و يؤدي به ما عليه أو لديه من حق لغيره ، وإن استطاع أن يهضمه دون أن يكون عرضة للإدانة عند الناس (حبنكة ، ١٣٩٩هـــ ، ج ١ ، ص ٥٩١) .

الأمانـــة من الإيمان :

قد أوجب الله سبحانه وتعالى على عباده الأمانة فقال عزَّ وجلَّ : ((إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَـــانَـــاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَ إِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا)) (سورة النساء ، الآية ٥٨) .

و بالأمانة تُصان حقوق الله تعالى ، وحقوق الناس ، وتحرس به الأعمـــال من دواعي التفريط والإهمال ، وتحفظ به الأقوال والأعراض من هتك الأسرار والفتنة بين الناس ، لذا أوجبها الله تعالى على جميع العباد . لذا أثبت ﷺ الإيمان للأمين المؤتَمَن و نفى الإيمان عن الخائن الذي ضيع الأمانة و لم يرع حقوقها ، فقال ﷺ : { لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له } (ابن حنبل ، ١٤١٣هـــ ، ج ٣ ، ص ١٦٦ ، برقم : ١٢٣٩٢) .

وإنها الفريضة التي يتواصى المسلمون برعايتها ، ويستعينون بالله تعالى على حفظها ، و لا ينسونها ، حتى إذا كان أحدهم على أهبة السفر يدعو لأخيه : { استودع الله دينك و أمانتك و خواتيم عملك } و بهذا كان ﷺ يودِّع أصحابه رضوان الله تعالى عليهم . (الترمذي ، ١٣٥٦هـــ ، ج ٥ ، كتاب الدعوات ، باب ٤٤ : ما يقول إذا ودع إنساناً ص ٤٩ ، برقم : ٣٤٤٣ ، صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم : ٢٧٣٨) .

مجالات الأمانـــة :

و الأمانة واسعة الدلالـــة ، تضم مجالات شتى ، من أهمها وأعظمها شأناً : الأمانة في القيام بحقوق الله تعالى و رسوله ﷺ التي أوجبها الله تعالى على عباده ، و الأمانة في تولية الشخص المناسب في المكان المناسب من ولاية حكم ، أو ولاية أعمال عامة و وظائف ، و الأمانة في استغلال نفوذ المنصب و المركز الذي يتبوأه ذلك الفرد ، و الأمانة في العلوم والمعارف ، والأمانة في القضاء ، والشهادة والدين ، والأمانة عند تأدية الأعمال والحرص على إتقانها والإخلاص فيها ، والأمانة في استعمال حواس الإنسان وقواه ، و وقته وأمواله وأزواجه و أولاده ، والأمانة في العلاقات الزوجية ، و في إحسان تربية الأولاد ، و تعليم الزوجة ، والقيام بحقوقهم ، و الأمانة في حفظ حقوق المجالس ، و أسرار الناس وأعراضهم وتبليغ رسائلهم ، وحفظ ودائعهم ، والأمانة في البيع والشراء ، والكيل والقياس والميزان ، والأمانة في القول ، والحلف ، و العهد ، والميثاق ، وهكذا نجد أن الأمانة شملت جل حياة

الإنسان فيجب القيام بها على الوجه الأكمل ، وعدم التهاون في أدائها أو خيانتها .

وقـــد لخص الإمام فخر الدين الرازي مجالات الأمانة في ثلاثة محاور ، فقال يرحمه الله تعالى : إن معاملة الإنسان إما أن تكون مع ربه ، أو مع العباد ، أو مع نفسه ، ولابد من رعاية الأمانة في جميع هذه الأقسام الثلاثة (الرازي ، ١٤١١هـــ ، ج ١٠ ، ص ١١١)

خيانة الأمانـــة :

إن خيانة الأمانات ذنب عظيم ، نهى الله عز و جل عن ارتكابه فقال تعالى : ((يَـــأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَخُونُوا اللهَ وَ الرَّسُولَ وَ تَخُونُوا أَمَـــنَـــتِكُمْ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ * وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـــدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ)) (سورة الأنفال ، الآيتان ٢٧ ، ٢٨) فتضمنت الآية (٢٧) : النهي عن خيانة الله عزَّ وجلَّ ، و هي الإخلال بحقوق ما استأمننا عليه ، و أعطيناه فيه عهد الأمانـــة منذ أعلنَّا الإسلام و التزمنا به . وتضمنت أيضاً النهي عن خيانة الرسول ﷺ ، لأن حقوقه تابعة لحقوق الله تعالى ، ومن حقوقه ﷺ على المؤمنين برسالته اتباع شريعته ، وعدم معصية ما أمر به أو نهى عنه . وتضمنت أخيراً النهي عن خيانة الأمانات كلها ، فتشمل ما يتعلق بحقـــوق كل ذي حق نحن مستأمنون عليه . ولابد من ملاحظة أن خيانة حقوق خلق الله هي خيانة لهم وخيانة لله تعالى أيضاً ، و ذلك لأن من حق الله علينا أن لا نخون أحداً من خلقه . و في الآية (٢٨) خص بالذكر من الأمانات الأموال والأولاد ، وأنها فتنة لهم فمن حافظ ورعى هذه الأمانة وقام بحقوقها له أجر عظيم من الله تعالى .

و إن الله تعالى يعاقب من يخون أمانته بالنار و بئس القرار ، فعن عبد الله ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه قال : الشهادة في سبيل الله تعالى يُكفِّر الذنوب كلها إلا الأمانة . قال ﷺ : { يُؤتى بالعبد يوم القيامة — و إن قُتِلَ في سبيل الله — فيُقال : أدِّ أمانتك . فيقول : أي ربِّ ، كيف وقد ذهبت الدنيا ! ؟ فيقال : انطلقوا به إلى الهاويـــة ، و تُمثَّل له أمانتـــه كهيئتها يوم دُفِعَت إليه ، فيراها فيعرفـــها ، فيهوي في أثرهـــا حتى يدركها ، فيحملها على منكبيه ، حتى إذا ظن أنه خارج زلت عن منكبيه ، فهو يهوي في أثرها أبد الآبدين . ثم قال : الصلاة أمانة ، والوضوء أمانة ، والوزن أمانة ، والكيل أمانة ، وأشياء عددها ، و أشد ذلك الودائع } (المنذري ، ١٤١٧هـــ ، ج ٤ ، كتاب الأدب وغيره ،

باب ٣٠ : الترغيب في الأمانة والترهيب من الخيانة ، ص ٤ ، برقم : ٥) .

ويأمر ﷺ بالأمانة وينهى عن الخيانة وإن كانت الخيانة مع الخائنين ، فقال ﷺ : { أدَّ الأمانـــة إلى من ائتمنك ، و لا تخن من خانك } (آبادي ، ١٤١٠هـــ ، ج ٩ ، كتاب البيوع ، باب ٤٥ : الرجل يأخذ حقه من تحت يده ، ص ٣٢٧ ، برقم : ٣٥٣٠) و (صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ، ج ٢ ، ص ٦٧٥ ، برقم : ٣٠١٩) .

كما أن الخيانة من صفات النفاق ، والأمانة دليل السلامة من النفاق ، قال ﷺ: { آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، و إذا وعد أخلف ، و إذا ائتمن خان } (ابن حجر ، ١٤٢١هـــ ، ج ١ ، كتاب الإيمان ، باب ٢٤: علامة المنافق ، ص ١٢٠ ، برقم : ٣٣) إضـــافةً إلى أن الله عزَّ وجلَّ يحرم الخائن من هدايته وتوفيقه للطريق الحق ، ويحبط عمله ، فيستحق كره الله و غضبه عليه لقاء خيانته ، قال سبحانه و تعالى : ((وَأَنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي كَـــيْدَ الخَائِنِينَ)) (سورة يوسف ، الآية ٥٢) . وقال سبحانه و تعالى أيضاً : ((إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ)) (سورة الأنفال ، الآية ٥٨) .

مراتب الأمـــانة :

للأمانـــة مراتب تختلف حسب مراتب ونوعية الحقوق التي تُراعى وتُحفظ ، و « إن حقـــوق الله تعالى على عبـــاده ذات مراتب ، فما كان منها في المرتبـــة الأولى التي يكفر الجاحد بها فإن خيانتها من أقبح أنواع الخيانة . أما الحقوق الأخرى التي تتضمن تكاليف عملـــية من فعل أو ترك فهذه تتأرجح هي و خيانة حقوق الناس شدةً و ضعفاً . على أن حقوق الله تعـــالى مبنية على المســـامحة ، و حقوق الناس مبنية على المشـــاحة ، إلا حق الإيمـــان بالله تعالى فهو أعظم الحقوق كلها ، ولذلك أعلن الله تعالى أنه لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » (حبنكة ، ١٣٩٩هـــ ، ص ٦١٣) .

الآثار التربوية الناجمة عن تطبيق مبدأ الأمانـــة :

إن الأمانة خلق عظيم ، يكاد يشمل جل دقائق حياة الإنسان ، وتكاد تندرج معظم الأخلاق الحسنة تحته ، لذا فإن لتطبيق هذا المبدأ التربوي العظيم آثاراً تربوية عظيمة تشمل جميع جوانب الحياة ، نلخص أهمها فيما يلي : -

١ – القيام بحقوق الله خالصة لوجهه تعالى :

قال الله تعـــالى في كتابه الكريم : ((إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَىٰ السَّمَـٰـوَٰتِ وَالأَرْضِ وَ الجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَـٰـنُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً))(سورة الأحزاب ، الآية ٧٢) . **قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه في تفسيره لهذه الآية : أن الأمانة** هي الفرائـــض ، عرضها الله على السماوات و الأرض و الجبال ، إن أدُّوها أثابهم ، و إن ضيعوها عذبهم ، فكرهوا ذلك وأشفقوا عليه من غير معصية ولكن تعظيماً لدين الله تعالى أن لا يقوموا بها ، ثم عرضها على آدم فقبلها بما فيها . **و قال الإمام ابن كثـــير يرحمه الله تعالى : أنها التكليف وقبول الأوامر والنواهي بشرطها ، وهو أنه إن قام بذلك أُثيبَ ، وإن** تركها عوقب ، فقبلها الإنسان على ضعفه وجهله وظلمه (ابن كثير ، ١٣٨٨هـــ ، ج ٣ ، ص ٥٢٢) . و الفرائض هي التكاليف ، و هي حقوق الله تعالى الواجب على عباده تأديتها ، والقيام بها على الوجه الأكمل ، خالصةً لوجهه تعالى وابتغاء رضوانه .

وفي هذا المعنى حديث رسول الله ﷺ : { إن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ، ثم نزل القرآن ، فعلموا من القرآن وعلموا من السنة } (النووي ، ١٤١١هـــ ، ج ٢ ، كتاب الإيمان ، باب ٦٤ : رفع الأمانة ، ص ١٦٨ ، برقم : ١٤٣٢٣٠) .

وفي حديثٍ سابق : الصلاة أمانة ، و الوضوء أمانة ، و سائر الأوامر و النواهي أمانة يجب القيام بتأديتها ، و عدم خيانتها ، أو التقصير فيها ، فالمؤمن الصالح الأمين تظهر أمانته في عبادته ؛ ففي الوضوء يكون أميناً بإسباغ الوضوء وكماله وشروطه و ترتيبه ، وفي الصلاة بالمحافظة على أدائها في أوقاتها ، بخشوع ، كاملة الشروط و الواجبات و الأركان ، و في زكاته أميناً على إخراجها لمستحقيها ، وقدر نصابها ، ومن أطيب ماله ، وفي الصيام أميناً في امتناعه نهاراً عن شهوة البطن والفرج و الرفث والفسوق ، وكذلك الحج ملتزماً بجميع أركانه و واجباته و شروطه فلا يريد به تجارةً أو سياحةً أو رياءً ، و هكذا يجب أن تكمن الأمانة في كل العبادات يؤديها على أكمل وجه ما استطاع ، و يراقب الله في معاملاتـــه وعلاقاتـــه بالناس . أما الذين خانوا ونافقوا و أشركوا غلبهم الجهل و الظلم فحقَّ عليهم العقاب ، و لم تكتب السلامة إلا لأهل الإيمان والأمانـــة ، قال الله تعالى : ((لِيُعَذِّبَ اللهُ المُنَـٰـفِقِينَ وَالمُنَـٰـفِقَـٰـتِ وَ المُشْرِكِينَ وَالمُشْرِكَـٰـتِ وَ يَتُوبَ اللهُ عَلَىٰ المُؤْمِنِينَ وَ المُؤْمِنَـٰـتِ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا)) (سورة الأحزاب ، الآية ٧٣) .

٢ – صلاح الأعمال وإتقانها :

إن المؤمنين الصالحين يقترن إيمانهم بأمانتهم مهما اختلفت مراكزهم وتنوعت مسئولياتهم ، و مهما تدرجت مستويات تعليمهم و ثقافاتهم ، و بدءً بالحاكم فمصالح أمته مرهونة بأمانته في إدارة حكم البلاد ، وحسن تدبير أمورهم و سياستها ، فإن خان شعبه تدهورت مصالحهم ، و ساءت أحوالهم ، وحُرِمَ الجنة في الآخرة و استحق النار ، لحديث رسول الله ﷺ : { ما من أمير يلي أمر المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح إلا لم يدخل معهم الجـــنة } (النووي ، ١٤١١هـــ ، ج ٢ ، كتاب الإيمان ، باب ٦٣ : استحقاق الوالي الغاش لرعيته النـــار ، ص ١٦٦ ، برقم : ١٤٢٢٢٩) . و عليه أن يكون أميناً في تولية العمال و الولاة على سائر مدن بلاده ، فلا يحصرها في قرابـــة له أو صحبة ، فها هو ﷺ قدوتنا يمنع الولايـــة عن صاحبه وحبيـــبه أبي ذر الغفاري رضي الله تعالى عنه حين طلبها فقال له ﷺ : { يا أبا ذر إنك ضعيف ، وإنها أمانة . وإنها يوم القيامة خزيٌ و ندامة . إلا من أخذها بحقها و أدى الذي عليه فيها } (المرجع السابق ، ج ١٢ ، كتاب الإمارة ، باب ٤ : كراهـــة الإمارة بغير ضرورة ، ص ٢٠٩ ، برقم : ١٨٢٥١٦) . وقد وضح الرسول ﷺ للولاة و العمال أن مال الله تعالى الذي هو حق للمسلمين عامة هو أمانة في أيديهم فلا يتصرفوا فيه بغير حق ، و إلا فلهم النار ، فقال ﷺ : { إن رجالاً يتخوَّضُون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة } (ابن حجر ، ١٤٢١هـــ ، ج ٦ ، كتاب فرض الخمس ، باب ٧ : قول الله تعالى في الآية٤١ ، سورة الأنفال ، ص ٢٦٧ ، برقم : ٣١١٨) . حتى و لو كان هذا التصرف غير الحق في مقدار يســـير جداً كمقدار مخيط ، لقوله ﷺ : { من استعملناه منكم على عمل فكتمنا مخيطاً فما فوق كان غلولاً يأتي به يوم القيامة } (النووي ، ١٤١١هـــ ، ج ١٢ ، كتاب الإمارة ، باب ٧ : تحريم هدايا العمال ، ص ٢٢٢ ، برقم : ١٨٣٣٣٠) . و قد حذر النبي ﷺ أمته من سوء استغلال الولاية أو المنصب أو الوظيفة في قبول الهديـــة من الناس لأنها ما أُهديت إليه إلا لمنصبه ، فقد استعمل النبي ﷺ رجلاً على الصدقة فلما قدم ، قال : هذا لكم ، وهذا أُهدِيَ إليَّ . فقام رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : { أما بعد . فإني أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولاَّني الله ، فيأتي فيقول : هذا مالكم ، وهذا هدية أهديت لي ، أفلا جلس

في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقاً ؟؟ . والله لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حقه إلا لقي الله تعالى يحمله يوم القيامـــة ! فلا أعرِفَنَّ أحداً منكم لقي الله يحمل بعيراً له رغاء ، أو بقرة لها خوار ، أو شاة تيعر . ثم رفع يديه حتى رُئي بياض إبطيه يقول : اللهم هل بلغت ؟ } (المرجع السابق ، باب ٧ : تحريم هدايا العمـــال ، ص ٢٢٠ ، برقم : ١٨٣٢٢٧) .

وقـــال ﷺ : { ما من عبد يسترعيه الله رعية ، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرَّم الله عليه الجنة } وفي رواية :{ فلم يَحُطها بنُصحه لم يجد رائحة الجنة } (النووي ، ١٤١١هـــ ، ج ٢ ، كتاب الإيمان ، باب ٦٣ : استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار ، ص ١٦٥ ، برقم : ١٤٢٢٢٧) . وهذا الحديث يشمل كل راعٍ وصاحب مسئولية ، فالمعلم مؤتمن على تعليم طلابه العلم النافع المفيـــد ، و تأديبهم الآداب و الأخلاق الإسلاميـــة . و المهـــندس مؤتمن في عمله و في إصلاح العطل . و الطبيب مؤتمن على معالجـــة مرضاه ومداواتهم . والقاضي مؤتمن على حل مشاكل المختصمين القضائية والجنائية والاجتماعية . و المـــزارع مؤتمن على الأراضي و النباتات الزراعية ، و زراعة الطيب الحلال و البعد عن زراعة المفسد الحرام . والتاجر مؤتمن في بيعه وشرائه وكيله ووزنه ، فلا يلجأ إلى التطفيف والغـــش والحلف الكاذب واحتكار السلعة وتزوير تاريخ صلاحيتها . والزوج مؤتمن على أزواجه ، و تعليمهن ، و اعفافهن ، و النفقة عليهن بالمعروف ، و مؤتمن على تربية أولاده ونصحهم وحسن تعليمهم واستقامتهم وسلامة عقيدتهم ومحبتهم والحنو عليهم ، والإنفاق عليهم النفقة الحلال والعدل بينهم في الهبة وتزويجهم . والزوجة مؤتمنة على زوجها وماله وأولاده وبيته ونفسها . وغير ذلك من الوظائف والحرف والمسئوليات ، ابتداءً من الحاكم وانتهاءً بطالب العلم الذي ينبغي أن يكون أميناً في تعلمه العلم النافع في الدنيا والآخرة ، ولا يتعلم العلم إلا لله تعالى ، و مبتعداً عن الغش ، و عن العلم المؤدي إلى إفساد عقيدته ، وخلقه ، و علاقته مع الله تعالى ، و مع المجتمع من حوله ، ومع نفسه . وهذا الشمول في مجالات الأمانة من منطلق قوله ﷺ : { كلكم راعٍ ، وكلكم مسئول عن رعيته } (ابن حجـــر ، ١٤٢١هـــ ، ج ٥ ، كتاب الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس ، باب ٢٠ : العبد راع في مال سيده ، ص ٨٨ ، برقم : ٢٤٠٩) .

٣ – إحسان الإنسان تربية جسمه واستعماله في طاعة الله ورضوانه :

إن أمانة الإنسان مع نفسه تظهر جلية واضحة في أن لا يختار لنفسه إلا ما هو الأنفع و الأصلح له في الدين والدنيا ، فيحرص أن يكون مكسبه حلالاً ؛ فيتجنب السرقة والربا والنهب والاختلاس ،والتزوير والنجش والتطفيف والحلف الكاذب لترويج سلعته ، فإن كان مكسبه حلالاً كان مطعمه و مشربه و ملبسه ومسكنه من الحلال . و يبتعد عن الحرام في ذلك كله ، لأن في الحرام هلاك دينه و جسمه وقوته في الدنيا و عقاب الله تعالى في الآخرة . و يكون أميناً مع أوامر الله و نواهيه في شهواته وانفعالاته ، لا يرهق نفسه في الملاهي والملذات ، كما لا يكلفها فوق طاقتها في العبادات .

ومن الأمانة أن يستعمل عقله وحواسه وسائر بدنه في طاعة الله تعالى لنيل مغفرته و رضوانه ؛ فلا ينطق إلا الحق ، ولا يسمع إلا الحق ويبتعد عن سماع الفحش والباطل . ولا يستعمل يديه و رجليه إلا لعمل الخير ، و لا ينظر إلا لخير و مباح . ولا يتخلق إلا بالخلق الحسن ، و لا يتعلم إلا العلم النافع في دنياه وأخراه . ولقد قال الشيخ محمد الغزالي يرحمه الله تعالى في كتابه " خلق المسلم " ، ١٤٠٩هـ ، :

«ومن معاني الأمانة أن تنظر إلى حواسك التي أنعم الله تعالى بها عليك ، وإلى المواهب التي خصك الله بها ، وإلى ما حُبيت من أموال وأولاد فتدرك أنها ودائع الله الغالية عندك فيجب أن تسخرها في قرباته ، و أن تستخدمها في مرضاته . فإن اُمتحِنت بنقص شيء منها ، فلا يستخفنك الجزع متوهماً أن ملكك المحض قد سُلب منك ، فالله أولى بك منك ، وأولى بما أفاء عليك ، وله ما أخذ وله ما أعطى . وإن اُمتحِنت ببقائها فما ينبغي أن تجبُنَ بها عن جهاد ، أو تُفتَن بها عن طاعة ، أو تتقوى بها على معصية » (ص ٥٤)

٤ – حسن إدارة الوقت :

إن حسن إدارة الوقت هي من أهم ثمرات خلق الأمانة ، فوقت الإنسان معناه عمره وحياته في هذه الدنيا دار الابتلاء والاختبار ، والواجب على كل مؤمن أن يستغل وقته في العمل الصالح و التسابق في الخيرات ، و أن يكون أميناً في إدارة وقته لأنه مسئول عنه يوم القيامة ، لحديث رسول الله ﷺ : { لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع : عن عمره فيم أفناه ؟ و عن شبابه فيم أبلاه ؟ و عن ماله من أين اكتسبه ؟ و فيم أنفقه ؟ و عن علمه فيم فعل ؟ } (الترمذي ، ١٣٥٦هـ ، ج ٤ ، كتاب صفة القيامة

والرقائق والورع ،باب ١: في القيامة ، ص ٥٢٩ ، برقم: ٢٤١٧) . فالحاكم والموظف و المعلم وكل راعٍ عن رعية مسئول عن وقت العمل و من الأمانة فيه ألا يصل إلى عمله متأخراً ، أو يخرج منه مبكراً قبل موعد الانصراف ، أو يضيع وقت العمل في أكل وشرب و قراءة مجلات و صحف ، أو في الثرثرة مع زملائه ، أو يتباطأ في أداء عمله فلا يُنجز في الساعات الطوال إلا القليل من الأشغال . و كذلك الأب والأم يقضيان وقتهما في السهر و الثرثرة مع الأنداد ، منشغلين عن العبادة و تربية الأولاد وتوجيههم ، مقصرين عن تلبية حاجاتهم العاطفية ، والنفسية والجسدية ، والعقلية والروحية ، ومتكلين إلى العمالة الوافدة وإلى القرابـــة في ذلك ، وكل ذلك يُعتبر خيانة في تربية الأولاد ، وإهدار الوقت فيما لا فائدة فيه ولا طائل خيانـــة ، ومن الأقوال الحكيمة عن أهمية الوقت ومراعاة الأمانـــة في قضائه ما كتبه الشيخ محمد الغزالي يرحمه الله تعالى ، ١٤٠٩هـــ :

« و الإسلام نظر إلى أهمية الوقت في كثير من أوامره و نواهيه ، فعندما جعل الإعراض عن اللغو من معالم الإيمان ، كان حكيماً في محاربة المتبطلين الذين ينادي بعضهم بعضاً : تعال نقتل الوقت بشيء من التسلية !! وما درى الحمقى أن هذا لعب بالعمر ، وأن قتل الوقـــت على هذا النحو إهلاك للفرد ، و إضاعة للجماعة . و غاب عن بال الجماهير الحكم التي تقول : " الواجبات أكثر من الأوقات " و " الزمن لا يقف محايداً ، فهو إما صديق ودود ، أو عدو لدود " » (ص ٢٣٤) .

فالواجب أن يقضي الإنسان عمره في العبـــادة والعمل الصـــالح لما فيه خير البشريـــة و سعادتهم ،ولا بأس من الترويح المشروع عن النفس كيلا تمل وتسأم .

٥ - انتشار الأمن والطمأنينة والمحبة بين أفراد المجتمع :

إذا أَمِـــنَ كل فرد على بيته و أهله و عرضه من اعتداءات الآخرين فهو حتماً يشعر بالطمأنينـــة و الأمان على كل ذلك ، و إذا أمن الفرد على أسراره التي استودعها أصدقاءه ، أو رؤساءه ، أو بعض المسئولـــين كالمحامين والأطباء ونحوهم فهو يشعر بالأمن و الطمأنينة نحو من حوله من الأفراد ، و إذا أمن الفرد على أقواله في المجالس التي يرتادها أمن واطمأن إلى جلسائه و قرنائه ، وأحس بمحبتهم ، وبالأمن والطمأنينة وانشراح الصدر في مجالستهم ، و الإفضاء إليهم بأسراره و همومه التي يحب أن يشاركوه المواساة فيها ، أو يستأنس برأيهم و مشورتهم في حلها ، فإبداء النصح و المشورة الصادقة أمانـــة ، و حفظ

الأسرار و المجالس أمانـــة ، لحديث رسول الله ﷺ : { إذا حدَّثَ الإنسان حديثاً ، و هو يلتفت حولـــه ، فهو أمانـــة } (ابن حجر ، ١٤١٣هـــ ، ج ٣ ، ص ٤٣١ ، برقم : ١٤٨٠٤) ولقوله ﷺ : { المجالس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس : مجلس يسفك فيه دم حرام ، ومجلس يُستحَلُّ فيه فرج حرام ، ومجلس يُستحَلُّ فيه مال من غير حق } (المرجع السابق ص ٤٢٠ ، برقم : ١٤٧٠٥) .

وإذا أمِنَ الفرد على ماله من السرقة ، وأمن خيانة عماله على ماله ، وأمن المستثمرين الذين أعطاهم ماله ليستثمروه له فإنه يشعر بالأمن و الطمأنينة . و إن استودع الفرد بعض أملاكه أو أمواله أو بعض الحقوق أحد الأشخاص ، فحفظها له ثم استردها منه كاملة غير منقوصة و لم ينكرها عليه فإنه يشعر بالأمن والاطمئنان والمحبة له . و إذا عاش أفراد المجتمع في ظل رعاية حكومة أمينـــة على مصالحهم و رعاية حقوقهم ، و أمينة على نشر العدل والعلم والرخاء بينهم شعروا بالأمن و الطمأنينة ، والمحبة لولاة أمرهم وفيما بينهم البعض ، وعاشت البشرية في رغد من العيش وأمن ومحبة وتواد .

٦- نيل رضا الله تعالى والسعادة الأبدية :

وعد الله سبحانه و تعـــالى عباده المؤمنـــين الأمناء بالرضا عنهم و إكرامهم و إسعادهم في جنات النعيم ، خالدين فيها أبداً ، قال تعالى : ((وَ الَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَ عَهْدِهِـــمْ رَٰعُونَ * وَ الَّذِينَ هُمْ بِشَهَـٰدَٰتِهِمْ قَائِمُونَ * وَ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُوْلَـٰئِكَ فِي جَنَّـٰتٍ مُكْرَمُونَ)) (سورة المعارج ، الآيات ٣٢ : ٣٥) .

وذكر أن من أوصاف المفلحين ورثة جنة الفردوس الأمانـــة ، قال تعالى : ((وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَ عَهْدِهِمْ رَٰعُونَ * وَ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُوْلَـٰئِكَ هُمُ الْوَٰرِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ)) (سورة المؤمنون ، الآيات ٨:١١).

كما أن المتصف بالأمانـــة يسلم من النفاق ، إذ أن الخيانة هي إحدى خصال المنافق الذي لا يأمن من غضب الله تعالى و عقابه لحديث ﷺ : { أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا ائتمن خان ، و إذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر } (ابن حجر ، ١٤٢١ هـــ ، ج ١ ، كتاب الإيمان ، باب ٢٤ : علامة المنافق ، ص ١٢٠ ، برقم : ٣٤) .

مبدأ الوفاء بالعهد

قال الله تعالى : ((وَ الَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَ عَهْدِهِمْ رَٰعُونَ)) (سورة المؤمنون ، الآيـة ٨) . ذكر الله عزَّ وجلَّ أن من صفات أهل الفردوس مراعاة العهد ، ويشمل العهد الذي بينهم وبين العباد وهي الالتزامات والعقود التي يعقدها العبد ، فعليه مراعاتها والوفاء بها ، ويحرم عليه التفريط فيها وإهمالها (السعدي ، ١٤١٠هـ ، ج ٥ ، ص ٣٣٥) .

معنى الوفاء بالعهد في اللغة :

يقال في اللغة وفى بعهده وأوفى به سواء . و وفى بمعنى : تمَّ . فيقال : وفى لنا فلان العهد أي تمَّ لنا عهده و لم يغدر ، وأوفى أي أتمَّ و لم ينقص . والوفاء ضد الغدر . (ابن منظور ، ١٣٠٠هـ ، ج ١٥ ، ص ٣٩٨) .

ومعنى العهد في اللغة : الوصية و الأمر ، و منه قوله تعالى : ((أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ)) [(سورة يس ، الآية ٦٠)] . والجمع : عهود .

والعهد : الموثق واليمين . و منه قول الله تعالى : ((وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ)) . [(سورة النحل ، الآية ٩١)] .

والعهـــد : الوفاء . و منه قوله تعالى : ((وَ مَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ)) [(سورة الأعراف ، الآية ١٠٢)] .

والعهد : الأمان ، والذمَّة . و إنما سمي اليهود والنصارى أهل عهد للذمة التي أعطوها والعهدة المشترطة عليهم ولهم . (ابن منظور ، ١٣٠٠هـ ، ج ٣ ، ص ٣١١) .

وتعرف الباحثة الوفاء بالعهد في اللغة : إتمام الوصية أو الأمر أو الميثاق أو اليمين .

معنى الوفاء بالعهد اصطلاحاً :

العهد اصطلاحاً معناه : إقرار المرء بأن يؤدي التزامات معينة لمصلحة الطرف الآخر مقابل أداء هذا الأخير التزامات أخرى لصالحه (إبراهيم ، ١٤٠٢هـ ، ص ٢٢٥) .

والوفاء بالعهد هو إتمام وإنجاز هذا الإقرار المبرم . ونكث العهد معناه ظلم الطرف الآخر ، و انتهاك حقوقه التي تجب له بحكم هذا الإقرار .

وجوب الوفاء بالعهد :

يجب على الإنسان الوفاء بما التزم من عهود ، لقوله تعالى : ((وَ أَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً)) (سورة الإسراء ، الآية ٣٤) . وكما يأمر الله تعالى عباده بالوفاء بالعهود ينهاهم عن نكثها ، فقال تعالى : ((وَ أَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلاَ تَنْقُضُوا الأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَ قَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ * وَلاَ تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَـٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ)) (سورة النحل ، الآيتان ٩١ ، ٩٢) . ويحذر الله تعالى أمته من نقض العهود فقال جلَّ جلاله : ((وَلاَ تَتَّخِذُوا أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَ لَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * وَ لاَ تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللهِ ثَمَنًا قَلِيلاً إِنَّمَا عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)) (سورة النحل ، الآيتان ٩٤ ، ٩٥) .

صور للعهود :

للعهود أنواع وصور مختلفة ، فمنها ما هو بين العبد وربه ، ومنها ما هو بينه وبين غيره من البشر ، و منها ما هو بينه وبين نفسه . ومما كان من العهود بين العبد و ربه جلَّ و علا العهد على الإيمان به تعالى و عدم إشراك غيره معه في العبودية كما في قوله تعالى : ((وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي ءَادَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ القِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَـٰفِلِينَ)) (سورة الأعراف ، الآية ١٧٢) . والعهود التي يرتبط بها الفرد برب العالمين هي أعلى العهود مكانة وأقدسها ذماماً ، وأعظمها منزلة ، ويجب الوفاء بها ، وعدم إخلالها ونقضها ، وإلا أعقبه نفاقاً في قلبه ، وعذاباً في آخرته ، قال سبحانه وتعالى : ((فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ)) (سورة التوبة ، الآية ٧٧) .

ومن صور العهود العقود التجارية و الاقتصادية فالإسلام يوصي باحترام العقود التي تسجل فيها الالتزامات المالية وغيرها ، ويأمر بإنفاذ الشروط التي تتضمنها لتصان الحقوق والأموال ومصالح الناس ، وفي الحديث الشريف : { المسلمون على شروطهم ، إلا شرطاً حرم حلالاً أو أحل حراماً } (الترمذي ، ١٣٧٧هـ ، ج ٣ ، كتاب الأحكام ، باب

١٧ : الصلح بين الناس ، ص ٦٣٤ ، برقم : ١٣٥٢) .

وعقود الزواج تعتبر عهوداً ، ينبغي الوفاء بها ، قال رسول الله ﷺ : { أحق الشروط أن توفوا بها ما استحللتم به الفروج } (ابن حجر ، ١٤٢١هـ ، ج ٥ ، كتاب الشروط ، باب ٦ : الشروط في المهر عند عقد النكاح ، ص ٤٠٤ ، برقم : ٢٧٢١) .

و الديون من العهود ، يلزم سدادها عند حلول أجلها ، ويجب كتابتها سواء كان المبلغ صغيراً أم كبيراً والإشهاد على ذلك كما ذكر في آية الدَّين (سورة البقرة،الآية ٢٨٢) .

و الأيمان هي من صور العهود ، لقوله تعالى : ((وَ أَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَ لاَ تَنْقُضُوا الأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً)) (سورة النحل ، الآية ٩١).

والمعاهدات بين المسلمين وغيرهم من العهود التي أوجب الله تعالى الوفاء بها ، كصلح الحديبية و نحوه ، و بهذه المعاهدات لا يستحل دم المعاهدين و أهل الذمة قال ﷺ : { من قتل معاهداً لم يَرَح رائحة الجنة ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً } (ابن ماجة د.ت ، ج ٢ ،كتاب الديات ، باب ٣٢ : من قتل معاهداً ، ص ٨٩٦ ، برقم : ٢٦٨٦) . هذا الوعيد الأكيد بالعذاب الشديد لمن خان الوعد ونقض العهد يدل على أهمية مبدأ الوفاء بالعهد وإنجاز الوعد ، لما في تحقيقه من آثار تربوية عظيمة ومفيدة للأفراد والمجتمعات .

الآثار التربوية الناجمة عن تطبيق مبدأ الوفاء بالعهد :

إن الله تعالى لم يأمر بتطبيق مبدأ إلا وفيه خير للبشرية جمعاء ، ويعود الخير والنفع من تطبيقه على المسلمين و غيرهم سواء ، و لتطبيق مبدأ الوفاء بالعهد آثار تربوية قيمة ، وثمرات مفيدة ، كان من أهمها ما يلي : -

١ – الثبات على الإيمان بالله تعالى رباً واحداً :

إن من أعلى مراتب العهود وأعظمها منزلة هو العهد الذي بين العبد وربه على الإيمان به تعالى رباً واحداً لا شريك له ، و القيام بحقوق هذا العهد خير قيام ، حتى و إن تعرض لأجله للفتنة الشديدة و التعذيب المؤلم ، و بذل النفس و الروح و المال و الولد في سبيله ، قال تعالى : ((مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَـٰهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً)) (سورة الأحزاب ، الآية ٢٣) . أي من المؤمنين

رجـــال استمروا في صدقهم و وفائهم بما عاهدوا الله عليه بالثبات في القتال في سبيله حتى استشهدوا ، ومنهم من ينتظر الشهادة وما غيروا عهدهم وبدلوا الوفاء بالغدر (ابن كثير، ١٣٨٨هـــ ، ج ٣ ، ص ٤٧٦) . و قال ﷺ : { لا دين لمن لا عهد له } (ابن حنبل ، ١٤١٣هـــ ، ج ٣ ، ص ١٦٦ ، برقم : ١٢٣٩٢) . فمن كان وفياً لعهـــده كان ثابتاً على دينه ، لأن الوفاء بالعهد من دلائل الإيمان ورسوخه في النفس .

٢ – الاعتراف بصاحب النعمة وشكره على نعمه :

إن المؤمن إذا عاهد الله المنعم عليه بنعمائه والمتفضل عليه بإحسانه أن يتصدق إذا أنعم عليه من مال فيجب عليه الوفاء بعهده ، و الاعتراف بصاحب النعمة ، و شكره على نعمه وآلائه ليزيده الله تعالى من فضله ويتم نعمته عليه ، ويبارك له فيها و يرضى عنه و قد روي أن رجلاً يُدعى ثعلبة أتى النبي ﷺ يسأله أن يدعو له أن يرزقه الله مالاً فيؤتي كل ذي حق حقه ، فرزقه الله تعالى و لم يف الرجل بعهده (النيسابوري ، ١٤٠٢هـــ ، ص ١٤٥) . فأنزل الله جل و علا فيه : ((وَ مِنْهُمْ مَّنْ عَـٰـهَدَ اللهَ لَئِنْ ءَاتَـٰـنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَ لَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّـٰـلِحِينَ * فَلَمَّا ءَاتَـٰـهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَ تَوَلَّوا وَّ هُمْ مُّعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ)) (سورة التوبة ، الآيات ٧٥ : ٧٧) . فهذا عقاب من لم يشكر النعمة و يعترف بحق المنعم عزَّ وجلَّ ويفي بما عاهد الله عليه اعترافاً بفضله وإحسانه . وذكر الله تعالى في كتابه الكريم عاقبة شكره على نعمه ، وعقاب الكفر بالنعمة وجحودها فقال عزَّ وجلَّ : ((لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَ لَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ)) (سورة إبراهيم ، الآية ٧) .

٣ – البراءة من عبادة الشيطان الرجيم :

إن من وفى بعهده لله سبحانه وتعالى كان مؤمناً حق الإيمان ، مجتنباً عبادة الهوى والشهوات ، مبتعداً عن اتباع وعبادة الشيطان الرجيم ، وقد أمر الله تعالى وأوصى بذلك فقال : ((أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰـبَنِي ءَادَمَ أَنْ لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَـٰـنَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَٰطٌ مُسْتَقِيمٌ)) (سورة يس ، الآيتان ٦٠ ، ٦١) . و يأمرنا الله جلَّ و علا بالتعوذ من الشيطان الرجيم و همزه و نفثه و رجسه وجميع أمره فقال تعالى : ((وَقُلْ رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ الشَّيَـٰـطِينِ * وَ أَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ)) (سورة المؤمنون ،

الآيتان ٩٧ ، ٩٨) . و من عبد الشيطان و لم يتبرأ منه كان عذابه العذاب الأليم قال تعالى : ((هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوْعَدُونَ)) (سورة يس ، الآية ٦٣) .

٤ — احترام العقود والالتزامات المالية :

إن الوفاء بالعهد من أخلاق المؤمنين ، ومن سجايا الصالحين ، وخصال ذوي المروءة ، ومن أهم أسباب نجاح الأعمال وازدهار الصفقات التجارية ، وتقدم الصناعات و به تحترم العقود و الالتزامات المالية الموثقة بين الشركاء ، و المصانع و العملاء ، فيكون صاحب العمل محبوباً متى ما أوفى بعهده وأنجز عمله في وقته المعلوم على النحو المتفق عليه مطابقاً للشروط المنصوص عليها في العقد ، و قد قال ﷺ بوجوب مراعاة الشروط والوفاء بها لتصان بها حقوق الناس و مصالحهم وأموالهم : { المسلمون على شروطهم ، إلا شرطاً حـــرم حلالاً أو أحل حراماً } (الترمذي ، ١٣٧٧هـــ ، ج ٣ ، كتاب الأحكام ، باب ١٧ : الصلح بين الناس ، ص ٦٣٤ ، برقم : ١٣٥٢) .

٥- انتشار الثقة والطمأنينة والمحبة بين أفراد المجتمع :

إن الوفاء بالعهد يوثق عرى المحبة و الائتلاف بين الأفراد ، و به يكون التعاون الذي هو ضروري لسعادة الناس ، و هو سبب نجاح الأعمال ، و لا شك أن انتشار الثقة في ميدان التجارة و الصناعة و في شتى المعاملات الاقتصادية أساسه افتراض الوفاء في أيّ تعهد . أما الخلف وعدم الوفاء فإنه يُوقِع المخلف في الكذب والنفاق ويُذيق الموعود مرارة الانتظار ، و يضيع عليه وقته و مصالحه ، و يزرع العداوة و البغضاء ، و لهذا وجب على الإنسان التفكير قبل أن يَعِدَ ؛ يفكر في الزمن ، و الجهد ، والأموال ، حتى إذا وعد وفى ، وإذا عاهد فمعناه أنه أعطى ميثاقاً وجب عليه أن ينفذ ما سجله به ، و أن ينهض بتبعاته ، و أن يلزم نفسه بالوفاء به . و الوفاء بالعهد من أخلاق المؤمنين و من سجايا الصالحين ، و خصال ذوي المروءات ، و من صفات الناجحـــين الذين هم محل ثقة الناس و محبتهم ، و مستحقي تقديرهم و احترامهم لأنهم يقدرون للكلمة شرفها ، و يعرفون للزمن قيمته ، وللصدق قدره . (طاحون ، ١٤٠٣هـــ ، ص ١٦٣) .

٦- السلامة من النفاق :

إن الله تعـــالى أمر بالوفاء بالعهود ، و حذر من خيانتها و الغدر بها ، لأنه

سيورثه نفاقاً في قلبه ، و عقاباً أليماً جزاء نفاقه وخلفه للعهد ، فقال تعالى محذراً : ((وَلاَ تَنْقُضُوا الأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً)) (سورة النحل ، الآية ٩١). و قال تعالى : ((فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللهَ مَا وَعَدُوهُ وَ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ)) (سورة التوبة ، الاية ٧٧) . فإن غدر العهد من خلق المنافق ؛ لأن المنافق خائن لا أمانة له على عرض أو مال أو خبر ، وكاذب غير صـــادق الحديث ، و غادر لا يعرف الوفاء بالوعد و الحفاظ على العهد قال عنه رسول الله ﷺ : { أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا اؤتمن خان ، وإذا حدث كذب ، و إذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر } (البخاري ١٤٢٤هـــ ، كتـــاب الإيمان ، باب ٢٥ : علامة المنافق ، ص ٣١ ، برقم : ٣٤) . فلاشك في أن من حافظ على عهوده و وفى بها سلم من النفاق ، و سيّء الأخلاق .

٧- الوفاء بالأيمان وعدم حنثها :

قد بيَّن الله تعالى أن من صور العهود : الأيمان ، و أمر بالوفاء بها و حذَّر من نقضها والحنث فيها ، ثم بيَّن عقاب من نكص في أيمانه و عهوده ، فقال تعـــالى : ((وَلاَ تَتَّخِذُوا أَيْمَـــٰنَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَ تَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُّمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَ لَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * وَ لاَ تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللهِ ثَمَنًا قَلِيلاً إِنَّمَا عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)) (سورة النحل ، الآيتان ٩٤ ، ٩٥) .

إن الرجل قد يحل عقداً أبرمه ، ينتظر ربحاً أوفر من عقد آخر ، وإن الأمة قد تطرح معاهدة بينها وبين أمة أخرى ، جرياً وراء مصلحة أحظى لديها .. والدين يكره أن تُداس الفضـــائـــل في سوق المنفعة العاجلة ، ويكره أن تنطوي دخائـــل الناس على هذه النيات المغشوشة ، و يكره أن تُترع الثقة فيما بين الناس ، و أن تُثار الفوضى ، و تُمزق الأواصر بـــين الأفراد و الجماعات ، فيوجب الشرف على الفرد و المجتمع حتى تُصان العقود على الفقر و الغنى ، و على النصر و الهزيمة ، و على القوة من بعد ضعف ، قال تعالى : ((وَلاَ تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَـــاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَـــٰنَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللهُ بِهِ وَ لَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَـــٰمَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ)) . (سورة النحل ، الآية ٩٢) .

٨ – تحقيق معية الله عزَّ وجلَّ :

إن عقود الشركات بين التجار والمتعاملين هي من صور العهود ، وكذا العلاقة الزوجية هي شركة بين الزوجين ، و الله تعـــالى أخبر أنه مع كل شريكين وفيين ، يُبارك لهما في شركتهما وأرباحهما ، وإن كان الشريكان زوجين وفيين يبارك لهما في زواجهما و ذريتهما ، فإذا خان كلٌ منهما أو أحدهما الآخر ، خرج الله من بينهما ، ومحقت البركة من شركتهما فقد أخبر رسول الله ﷺ عن ربه في الحديث القدسي :{ أنا ثالث الشريكين ما لم يخُنْ أحدهما صاحبه فإذا خانه خرجتُ من بينهما } (آبادي ، ١٤١٠هـــ ، ج ٩ كتاب البيوع ، باب ٢٧ : في الشركة ، ص ١٦٩ ، ٣٣٨١) .

٩– نيل رضوان الله تعالى ودخول الجنة :

جعل الله سبحانه وتعالى الجنة عظيم الجزاء لمن أوفى بعهده واتقاه ، فقال تعالى : ((وَ مَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـــٰهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا)) (سورة الفتح ، الآية ١٠) .

و قد ذكر الله تعـــالى على رأس جملة صفات أهل الجنة الوفاء بالعهد ، فقال عزَّ و جلَّ : ((الَّذِينَ يُوْفُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَ لاَ يَنْقُضُونَ الْمِيثَـــٰقَ * وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوْصَلَ وَ يَخْشَوْنَ سُوءَ الْحِسَابِ * وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَ أَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَـــٰهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَـــٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَىٰ الدَّارِ* جَنَّـــٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَ مَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَ أَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّـــٰتِهِمْ وَ الْمَلَـــٰئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَـــٰمٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَىٰ الدَّارِ)) (سورة الرعد ، الآيات ٢٠:٢٤)

بل يستحقون جزاء وفائهم أعلى درجات الجنة : الفردوس خالدين فيها أبداً ، قال تعـــالى : ((وَ الَّذِينَ هُمْ لأَمَـــٰنَـــٰتِهِمْ وَ عَهْدِهِمْ رَٰعُونَ * وَ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُوْلَـــٰئِكَ هُمُ الْوَٰرِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَـــٰلِدُونَ)) .

(سورة المؤمنون ، الآيات ٨ : ١١) . جعلنا الله تعالى ممن يوفون إذا عاهدوا ، ويصدقون إذا تحدثوا ، وختم بالأعمال الصالحة آجالنا .. آمين .

خاتمـــة البحث

* النتـــائـــج .

* التوصيـــات .

* المقترحـــات .

الخـــاتمـــة

الحمد لله رب العالمين ، القوي القاهر المتين ، الظاهر الملك الحق المبين ، الذي أورث الفردوس عباده المفلحين . أحمده حمد الشاكرين ، و أسأله معونة الصابرين . أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إله الأولين والآخرين ، وأشهد أن محمداً عبده و رسوله ، المصطفى على العالمين ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين ... وبعد :

فإنـــه من كمال نعمة الله تعالى و توفيقه لي إتمام هذه الدراسة التي وقفت من خلالها عـــلى تقديم دراسة تحليلية عن سورة " المؤمنون " تضمنت الحديث عن ترتيب السورة ، ومكانـــتها وفضلها ، وسبب تسميتها باسم " المؤمنون " ، ومناسبة السورة لما قبلها وما بعدها ، والموضوعات التي اشتملت عليها سورة " المؤمنون " ، ثم ذكر بعض الآيات التي فيها ذكر للمؤمنين كما وصفهم القرآن الكريم .

ثم إيضاح بعض المبادئ التربوية المتضمنة في سورة " المؤمنون " ، و التي منها ما كان متعلقاً بالجانب العقدي في التربية الإسلامية ، وهي : الإيمان بالله تعالى ، والإيمان بالكتب والإيمان بالرسل ، والإيمان باليوم الآخر الذي يتضمن الإيمان بحياة البرزخ والإيمان بالقيامة الكبرى .

ومن المبادئ ما كان متعلقاً بالجانب التعبدي ، وهي :
الصلاة ، والزكاة ، والتقوى ، والدعاء ، والخشية .

ومنها ما كان متعلقاً بالجانب الأخلاقي ، وهي :
الإعراض عن اللغو ، الأمانة ، الوفاء بالعهد .

مع استنباط بعض الآثار التربوية القيمة الناجمة عن تطبيق كل مبدأ من هذه المبادئ التربويـــة في حياة الفرد و المجتمع . مؤيدة بالأدلة النقليـــة من القرآن العظيم ، و الحديث النبوي الشريف ، و أقوال العلماء في الدين والتربية .

و في الختام استعرضت أهم ما توصلت إليه من نتائج و توصيات لهذه الدراسة ، و أسأل الله العلي العظيم ، و أرجوه رجاء الملِّحـــين أن أكون قد وُفِقتُ في عملي هذا و أن ينفعني به و يجعله في موازين حسناتي ، إنه ولي نعمتي ، وهو على كل شيء قدير ، واللهم صلِّ على نبينا وحبيبنا محمد الأمين ﷺ ، والحمد لله رب العالمين .

النتائج

الحمد لله رب العالمين ، أحمده حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه على إتمام هذه الدراسة التي عشت خلالها في روحانية ورحمة القرآن العظيم ، وما صاحبها من خشوع وتدبر واعتبار لما فيه من العبر والدروس ، ومن ثم الوصول إلى نتائج عديدة ، كان من أهمها ما يلي : -

١ – احتواء القرآن الكريم على جميع المبادئ التربوية العظيمة ، التي في تطبيقها سعادة الأفراد والمجتمعات في الدنيا والآخرة .

٢ – اشتمال سورة " المؤمنون " على العديد من المبادئ العظيمة القيمة ، التي تحقق الفلاح في الدنيا والآخرة ، والفوز بالخلود في جنة الفردوس .

٣ – الإيمان بالله تعالى فيه تحقيق لعبودية مكرمة عزيزة من جانب البشر لله تعالى وحده والتحرر من عبودية ما سواه .

٤ – المؤمنون بالله تعالى حق الإيمان يغمرهم الشعور بالأمن والطمأنينة في السراء والضراء على حدٍ سواء ، وبالرضا بما قسمه الله لهم من الأقدار .

٥ – تقرير الكتاب العظيم على تكريم الله عزَّ وجلَّ للإنسان ، وتفضيله على كثير ممن خلق تفضيلاً .

٦ – تكريم المرأة ومساواتها بالرجل في التكاليف الشرعية والثواب والعقاب .

٧ – طاعة الله سبحانه وتعالى ، وطاعة رسوله محمد ﷺ تورثان محبة الله تعالى ، ورضاه ، ومغفرة الذنوب .

٨ – طلب العلم النافع واجب على المسلمين رجالاً ونساء .

٩ – تربية الشعور الحقيقي بالمسئولية تجاه كل الواجبات ، وأنه سوف نحاسب عليها في اليوم الآخر ، فلا مجال للعبث والإهمال ، أو التقصير والتفريط .

١٠ – الثبات على الأخلاق الحسنة والمداومة على العبادات من ثمرات الإيمان باليوم الآخر.

١١ – تنمية الملكة العقلية " حصر الذهن " في الإنسان نتيجة المداومة على الخشوع أثناء تأدية الصلاة في أوقاتها كاملة الشروط والواجبات والأركان .

١٢ – الحصول على القوة الجسمية والروحية والنفسية من ثمرات تطبيق مبدأ الصلاة .

١٣- مبدأ الزكاة هو أحد الروافد الجليلة لتحقيق التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع .

١٤- اهتمام الإسلام بتزكيـــة النفوس والمجتمعات الإنسانيـــة ، و تطهيرهما من الرذائل و الأمراض بفرض الزكاة على القادرين .

١٥- تربية اليقظة الدائمة في النفس والتحصين من كيد الشياطين تتم بتقوى الله تعالى في السر والعلن .

١٦- تقوى الله عزَّ وجلَّ تنمي في الفرد الرغبة للوصول إلى أعلى درجـــات الكمـــال و التكريم الإنساني عند الخالق جلَّ وعلا .

١٧- ترغيب الله عزَّ وجلَّ عباده في التوجه إليه بالدعاء وتأكيده لاستجابته لدعائهم .

١٨- أن في الدعاء فوائد وآثاراً تربوية عظيمة منها بناء الأسرة على أسس قوية ومتينة ، و فيها فلاح الأفراد والمجتمعات في الدنيا والآخرة .

١٩- أن لفضيلة الإعراض عن اللغو مكانة عالية و عظيمة في الإسلام بأن جعله الله تعالى من ألوان النعيم في الآخرة لمن كان من سمته الإعراض عن اللغو في الدنيا .

٢٠- إن عثرات اللسان والفرج هي أكثر ما يُدخل الناس النار ، والعياذ بالله منها .

٢١- إن الأمـــانة خلق عظيم يكاد يشمل جُل دقائق حياة الإنسان ؛ في معاملته مع ربه ، أو مع العباد ، أو مع نفسه ولابد من رعاية الأمانة في جميع هذه الأقسام الثلاثة .

٢٢- انتشار الأمن والطمأنينة والمحبة بين الأفراد والمجتمعات ما روعيت الأمانة .

٢٣- نيل رضا الله تعالى ومغفرته ، والخلود في جنته لمن التزم بالمبادئ التربوية الإسلامية .

التوصيـــات

بناءً على ما أسفرت عنه نتائـــج هذه الدراسة فإنه من الضروري تقديم التوصـــيات والمقترحات التي يمكن أن تسهم في تعزيز المبادئ التربوية المتضمنة في سورة " المؤمنون " والأخذ بها في عين الاعتبار وموضع التطبيق ، وهي كما يلي : -

١) عناية الأفراد والمجتمعات بالمبادئ التربوية في سورة " المؤمنون " خاصـــة ، وفي القرآن الكريم عامـــة ، والحرص على إخراجها من حيز التنظير إلى ميدان التطبيق .

٢) اهتمام المؤسسات التربوية بدءً من الأسر ، و المدارس ، و المساجد ، و انتهاءً بوسائل الإعلام المختلفة بالمبادئ التربوية الإسلامية ، وتوجيه الناس إلى إدراك أهمية هذه المبادئ التربوية في حياتهم العامـــة و الخاصـــة ، و ذلك بتربيتهم على التحلي بها في الأقوال والأفعال في جميع الأوقات .

٣) توصيةجميع المربين أن تكون تربية النشء المسلم مبنية على المبادئ التربوية المتضمنة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

٤) من أهم الوصايا لكل مسلم: التزود بالتقوى فهي خير الزاد في الدنيا للوصول إلى الدار الآخرة بأمان .

٥) توصية ولاة الأمر و القائمين بالتربية و التعليم أن يكونوا أول من يتصف بهذه المبادئ التربوية الإسلامية ، لأنهم القدوة الصالحة لأبنائهم وبناتهم في سلوكهم ومعاملاتهم .

٦) اهتمام جميع الأفراد بحسن إدارة الوقت ، و الإعراض عن اللغو و العبث ، و استغلال الوقت في النافع المفيد كالعمل الصالح والدعاء والاستغفار والذكر .

٧) على كل مسلم أن يكون أميناً مع ربه ، ومع غيره ، ومع نفسه ، في جميع الأوقات .

٨) الحـــرص على أن نعود إلى مركز الصدارة و الخيرية بين الأمم بقوة الإيمان بالله تعالى ، و شدة التمسك بكتاب الله العزيز و سنة نبيه ﷺ الشريفة .

المقترحـــات

ومن المفيد بإذن الله تعالى للباحثين والدارسين تقديم المقترحات التالية : –

(١) الاستمرار في دراسة النصوص القرآنية والنبوية ، وبيان المبادئ التربوية فيهما ، نظراً لاشتمالهما على الكثير من المبادئ و القيم الشاملة لجميع جوانب الحياة : العقدية ، و التعبدية ، الخلقية ، الاجتماعية ، الصحية ، الجسمية ، النفسية ، الروحية ، الاقتصادية البيئية ، والسياسية .

(٢) مواصلة البحث في سور القرآن الكريم وإيضاح ما تضمنته من مبادئ تربوية أخرى لم تتطرق إليها الدراســـة ، وفي هذا إبراز لشمولية الدين الإسلامي ، وإبراز أسبقيته في ميدان التربية لجميع ألوان التربية الوضعية الأخرى .

(٣) العمل على دراسة الآيات القرآنية التي تدورحول مبدأ تربوي واحد ، واستنباط آثاره التربوية على الفرد والمجتمع ، مع تقديم مقترحات تصورية ذات قابلية للتطبيق ميدانياً للمؤسسات التربوية المختلفة ، وذكر تطبيقات تربوية لأزمنة سابقة في هذا المبدأ .

(٤) عمل دراسات ميدانية كل واحدة منها تدور حول مبدأ تربوي واحد ، لمعرفة درجته من القوة في تطبيقه على أرض الواقع،ومن ثَم معرفة مواضع الخلل في التطبيق لتلافيها و تصحيح الأساليب الخاطئـــة التي قد تكون هي السبب في الإخلال بتطبيـــق المبدأ المدروس ، ومعرفة الطرق والأساليب الصحيحة والجيدة في تنمية وتعزيز هذا المبدأ في النفوس ، ثم العمل على تعديل أو وضع منهجية سليمة في مناهج التربية والتعليم من أجل تربية هذا المبدأ في نفوس الأفراد والمجتمعات .

وفي الختام ، أسأل المولى عزَّ وجلَّ أن قد وُفقت وأَصبت فيما كتبت واقترحت . وصلَّ اللهم وسلم على نبينا وحبيبنا محمد ، وعلى آله وصحبه وجميع الأنبياء والمرسلين ، وعلينا وعلى عبادك الصالحين ، صلاةً وسلاماً إلى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين .

مراجـــــع

و

مصـــــادر

البحـــــث

قائمة المراجع

١. أولاً :- القـــرآن الكـــريم .

ثانياً : المؤلفات ، وهي :-

٢. آبادي ، أبو الطيب محمد . (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م) . عون المعبود شرح سنن أبي داود . ط ١ . لبنان : بيروت ، دار الكتب العلمية .

٣. إبراهيم ، أحمد بن عبد الرحمن . (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م) . الفضائل الخلقية في الإسلام . ط ١ . المملكة العربية السعودية : الرياض ، دار العلوم للطباعة والنشر.

٤. ابن أبي الدنيا ، عبد الله بن محمد بن عبيد . (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) . الصمت وحفظ اللسان . القاهرة : دار الاعتصام .

٥. ابن أبي العز ، محمد بن علاء الدين علي بن محمد . (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) . شرح العقيدة الطحاوية . ط ٥ . بيروت : المكتب الإسلامي .

٦. ابن تيمية ، تقي الدين أحمد . (١٤٠١هـ - ١٩٨١م) . العبودية ط ١ . لبنان : بيروت ، دار الكتب العلمية .

٧. ابـــن حـــبان ، محمد بن حبان بن أحمد . (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م) . الإحسان بترتيـــب صحيح ابن حبان . ترتيب علاء الدين علي بن بلبان الفارسي . ط ٢ . لبنان : بيروت ، دار الكتب العلمية .

٨. ابـــن حجـــر ، أحمد بن علي . (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م) . فتح الباري شرح صحيح البخاري. ط ٣ . لبنان : بيروت ، دار الكتب العلمية .

٩. ابن حنبل ، أحمد . (١٤٠٩هـ - ١٩١٩٨٩م) . مسند الإمام أحمد بن حنبل ط ١ . لبنان : بيروت ، دار الكتب العلمية .

١٠. ابـــن الجـــوزي ، جمال الدين أبو الفرج . (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) . صفة الصفوة . ط ٣ . لبنان : بيروت ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع .

١١. ابـــن رجب الحنبلي ، عبد الرحمن بن شهاب الدين بن أحمد . (١٤٠٠هـــ - ١٩٨٠م) . جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم .ط ٥ مصر : مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده .

١٢. ابن قدامة ، عبد الله بن أحمد بن محمد . (د.ت) . المغني لابن قدامة . مصر : القاهرة ، مكتبة الجمهورية العربية و مكتبة الكليات الأزهرية .

١٣. ابـــن قدامة ، عبد الله بن أحمد بن محمد . (١٤٠٥هـــ - ١٩٨٥م) . الكافي في فقه الإمام المبجل أحمد بن حنبل . ط ٤ . بيروت : المكتب الإسلامي .

١٤. ابن القيم ، محمد بن أبي بكر بن أيوب . (١٤٠٣هـــ - ١٩٨٣م) . الفوائد . ط ١ لبنان : بيروت ، دار الكتب العلمية .

١٥. ابن القيم ، محمد بن أبي بكر بن أيوب . (د . ت) . الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي . لبنان : بيروت ، دار الكتب العلمية .

١٦. ابـــن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر بن أيوب . (د.ت) . زاد المعاد في هدي خـــير العـــباد محمد ﷺ خاتم النبيين وإمام المرسلين . لبنان : بيروت ، دار الكتب العلمية .

١٧. ابـــن كـــثير ، اسماعيل . (١٣٨٨هـــ - ١٩٦٩م) . تفسير القرآن العظيم . بيروت : دار إحياء التراث العربي .

١٨. ابـــن ماجـــه ، محمد بن يزيد القزويني . (د.ت) . سنن ابن ماجه . لبنان : بيروت ، دار الكتب العلمية .

١٩. ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم . (١٣٠٠هـــ - ١٨٧٩م) . لسان العرب . ط ١ . بيروت : دار صادر .

٢٠. الأشقر ، عمر سليمان . (١٤٠٥هـــ - ١٩٨٥م) . الرسل والرسالات ط ٣ الكويت : الكويت ، مكتبة الفلاح .

٢١. الأشـــقر ، عمر سليمان . (١٤٠٦هـــ - ١٩٨٦م) . اليوم الآخر ، القيامة الصغرى . الكويت : الكويت ، مكتبة الفلاح .

٢٢. الألباني ، محمد ناصر الدين . (١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م) . صحيح الأدب المفرد . حمص : مطابع الإرشاد الحديثة .

٢٣. الألباني ، محمد بن ناصر الدين . (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) . سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها و فوائدها . ط ٤ . بيروت : المكتب الإسلامي .

٢٤. الألباني ، محمد ناصر الدين . (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) . صحيح الجامع الصغير وزيادته . ط ٣ . بيروت : المكتب الإسلامي .

٢٥. أنيس ، إبراهيم . (د.ت) . المعجم الوسيط . القاهرة : مجمع اللغة العربية .

٢٦. البخاري ، محمد بن إسماعيل . (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) . صحيح البخاري . ط ١ . لبنان : بيروت ، دار إحياء التراث العربي .

٢٧. البخاري ، محمد بن إسماعيل . (د.ت) . الأدب المفرد . تخريج وحاشية محمد عبد القادر عطا . لبنان : بيروت ، دار الكتب العلمية .

٢٨. البهوتي ، منصور بن يوسف . (د.ت) . الروض المربع شرح زاد المستقنع - مختصر المقنع ، في فقه الإمام أحمد بن حنبل . المملكة العربية السعودية : مكة المكرمة ، مكتبة الطالب الجامعي .

٢٩. الترمذي ، محمد بن عيسى . (١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م) . الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي . تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر و كمال يوسف الحوت . لبنان : بيروت ، دار الكتب العلمية .

٣٠. حبنكة ، عبد الرحمن بن حسن . (د.ت) . أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها . ط ١ . مكة المكرمة : (د.ن) .

٣١. حبنكة ، عبد الرحمن بن حسن . (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) . الأخلاق الإسلامية وأسسها . ط ١ . دمشق : دار القلم .

٣٢. الحصان ، عبد الله بن بطي . (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م) . علم التوحيد . المملكة العربية السعودية .

٣٣. الحمـــد ، أحمد بن ناصر بن محمد . (١٤٠٩هـــ - ١٩٨٩م) . العقيدة نبع التربية . ط ١ . مكة المكرمة : مكتبة التراث .

٣٤. خـــالد ، خالد بن محمد . (د.ت) . رجال حول الرسول ﷺ . بيروت : دار الفكر .

٣٥. خياط ، محمد بن جميل بن علي . (١٤١٦هـــ - ١٩٩٦م) . المبادئ والقيم في التربية الإسلامية . المملكة العربية السعودية : مكة المكرمة ، جامعة أم القرى ، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي ، مركز البحوث التربوية والنفسية ضمن سلسلة البحوث التربوية والنفسية .

٣٦. الزمخشـــري ، أبـــو القاسم جار الله محمود بن عمر . (د.ت) . الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل . لبنان : بيروت ،دار المعرفة.

٣٧. السابق ، سيد . (١٣٨٧هـــ - ١٩٦٧م) . العقائد الإسلامية . ط ٢ . --- : دار النصر للطباعة .

٣٨. سويد ، محمد نور بن عبد الحفيظ . (١٤٢٢هـــ - ٢٠٠١م) . منهج التربية النبوية للطفل . ط ٣ . مكة المكرمة : دار طيبة الخضراء . ودمشق : دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع .

٣٩. السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن . (١٤٠٨هـــ ١٩٨٧م) . تناسق الدرر في تناســـب الســـور . ط ٢ . تحقيق : عبد الله محمد الدرويش . بيروت : عالم الكتب .

٤٠. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن . (١٤٠٥هـــ - ١٩٨٥م) . فض الوعاء في أحاديث رفع اليدين في الدعاء . ط ١ . --- : مكتبة المنار .

٤١. السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن . (١٣٩٤هـــ - ١٩٧٣م) . الإتقان في علوم القرآن . لبنان : بيروت ، المكتبة الثقافية .

٤٢. السيـــوطي ، جلال الدين عبد الرحمن . (١٣٤٨هـــ - ١٩٣٠م) . سنن النسائي بشرح السيوطي . ط ١ . لبنان : بيروت ، دار إحياء التراث العربي .

٤٣. الشاطبي ، أبو إسحاق إبراهيم موسى . (د.ت) . الموافقات في أصول الشريعة شرح الشيخ عبد الله دراز . مصر : المكتبة التجارية الكبرى .

٤٤. الشرباصي ، أحمد . (١٤٠١هـ - ١٩٨١م) . موسوعة أخلاق القرآن . لبنان : بيروت ، دار الرائد العربي .

٤٥. الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد . (١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م) . فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير . مصر : مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده .

٤٦. الصبيحي ، محمد بن فهد - جمع وترتيب - (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م) . المنتقى من الأدعية والأذكار . المدينة المنورة : دار الخضيري للنشر والتوزيع .

٤٧. طاحون ، أحمد بن محمد . (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) . رياض الفالحين ومنار السالكين . جدة : (د.ن) .

٤٨. طبَّاره ، عفيف بن عبد الفتاح . (١٣٩٩هـ - ١٩٧٨م) . روح الصلاة في الإسلام . ط ٨ . بيروت : دار العلم للملايين .

٤٩. عبد الباقي ، محمد بن فؤاد . (١٤٠٨هـ - ١٩٩٣م) . المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . القاهرة : دار الحديث .

٥٠. عبد الله وَ فودة ، عبد الرحمن بن صالح وَ حلمي بن محمد . (١٤٠٨هـ - ١٩٩٣م) . المرشد في كتابة البحوث . مكة المكرمة : مكتبة المنارة .

٥١. عبد الواحد ، مصطفى . (١٤٠١هـ - ١٩٨١م) . شخصية المسلم كما يصورها القرآن الكريم . ط ٤ . قطر : الدوحة ، مطابع علي بن علي .

٥٢. عثمان ، زكريا بن عابدين . (١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م) . الإيمان الحق وأثره في بناء شخصية المسلم . ط ١ . المملكة العربية السعودية : الرياض ، دار عالم الكتب .

٥٣. العُثيمين ، محمد الصالح . (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م) . فتاوى الشيخ محمد الصالح العثيمين . ط ٤ . المملكة العربية السعودية : الرياض ، دار عالم الكتب .

٥٤. العقـــاد ، عباس بن محمود . (د. ت) . التفكير فريضة إسلامية . القاهرة : دارالهلال .

٥٥. علـوان ، عبد الله بن ناصح . (١٤٠١هـ - ١٩٨١م) . تربية الأولاد في الإسلام . ط ٣ . حلب : دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع .

٥٦. عـلي ، سـعيد بن إسماعيل . (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م) . أصول التربية الإسلامية . القاهرة : دار الثقافة للطباعة والنشر .

٥٧. عمير ، محمد محمود . (١٤١٠هـ - ١٩٩٠ م) . المؤمنون كما وصفهم الله في القرآن الكريم . القاهرة : دار الطباعة والنشر الإسلامية .

٥٨. الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد . (د.ت) . إحياء علوم الدين . تخريج عبد الرحيم العراقي . لبنان : بيروت ، دار القلم .

٥٩. الغـزالي ، محمـد . (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م) . خلـق المسلم . ط ٢ . الإسكندرية : دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع .

٦٠. فخـر .. الرازي ، فخر الدين محمد بن عمر . (١٤١١هـ - ١٩٩٠م) . التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب . ط ١ . بيروت : دار الكتب العلمية .

٦١. الفراهيدي ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد . (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م) كتاب العين . ط ١ . لبنان : بيروت ، دار إحياء التراث العربي .

٦٢. الفريح ، مازن بن عبد الكريم . (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م) . السلسلة الذهبية في فهرسـة الموضوعات التربوية . ط ٢ . المملكة العربية السعودية : جدة ، دار الأندلس الخضراء .

٦٣. القـاسمي ، محمد بن جمال الدين . (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م) . تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل . ط ١ . لبنان : بيروت ، دار الكتب العلمية .

٦٤. القرشـي ، حسن بن محمد بن صالح بن محمد . (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م) . تحفة الأبرار ونزهة الأبصار فيما ورد في تحريم الغيبة والنميمة من الأخبار . تحقيق وتعليق نجم عبد الرحمن خلف . مصر : دار النصر للطباعة الإسلامية .

٦٥. القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري . (١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م) الجامع لأحكام القرآن . (د.ن) .

٦٦. قطب ، سيد . (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) . في ظلال القرآن . بيروت : دار الشروق .

٦٧. قطب ، محمد . (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) . منهج التربية الإسلامية . ط١١ . القاهرة : دار الشروق .

٦٨. كاخيا ، طارق بن اسماعيل . (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م) . الزواج الإسلامي . ط ٣ . المملكة العربية السعودية : جدة ، دار العلم للطباعة والنشر .

٦٩. كارينجي ، ديل . (١٣٩٦هـ - ١٩٥٦م) . دع القلق وابدأ الحياة . ترجمة عبد المنعم الزيادي . ط ٥ . القاهرة : مكتبة الخانجي .

٧٠. المحاسبي ، أبو عبد الله الحارث بن أسد . (د.ت) . الرعاية لحقوق الله . ط ٤ تحقيق عبد القادر أحمد عطا . لبنان : بيروت ، دار الكتب العلمية .

٧١. معروف ، محمد بن نايف . (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م) . المعجم المفهرس لمواضيع القرآن الكريم . ط ١ . لبنان : بيروت ، دار النفائس .

٧٢. المنذري ، زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي .(١٤١٧هـ - ١٩٩٦م) . الترغيب والترهيب من الحديث الشريف . ط ١ . تحقيق : إبراهيم شمس الدين . لبنان : بيروت ، دار الكتب العلمية .

٧٣. المودودي ، أبو الأعلى . (١٤٠١هـ - ١٩٨١م) . الحجاب . بيروت : مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع .

٧٤. المودودي ، أبو الأعلى . (د.ت) . مبادئ الإسلام . بيروت : المكتب الإسلامي .

٧٥. نجاتي ، محمد بن عثمان . (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م) . القرآن وعلم النفس . ط ٥ . القاهرة : دار الشروق .

٧٦. النحلاوي ، عبد الرحمن . (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) . أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع . ط ١ . دمشق : دار الفكر .

٧٧. الندوي ، أبو الحسن . (١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م) . الأركان الأربعة مقارنة مع الديانات الأخرى . الهند : (د.ن) .
٧٨. نوفل ، عبد الرزاق . (د.ت) . صلاة الفريضة . القاهرة : دار الشعب .
٧٩. النووي ، يحي بن شرف بن مري . (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) . رياض الصالحين تحقيق محمد بن ناصر الألباني . ط ٢ . بيروت : المكتب الإسلامي .
٨٠. النووي ، يحي بن شرف مري . (١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م) . الأحاديث القدسية (شرح) تحقيق وتعليق مصطفى عاشور . القاهرة : مكتبة القرآن.
٨١. النووي ، يحي بن شرف بن مري . (١٤١١هـ - ١٩٩٠م) . صحيح مسلم بشرح النووي . لبنان : بيروت ، دار الكتب العلمية .
٨٢. النيسابوري ، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي . (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م) . أسباب النزول . بيروت : دار الكتب العلمية .
٨٣. النيسابوري ، مسلم بن الحجاج القشيري . (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م) . صحيح مسلم . ط ١ . لبنان : بيروت ، دار إحياء التراث العربي .
٨٤. واصل ، عبد الرحمن . (١٤٠١هـ - ١٩٨١م) . مشكلات الشباب الجنسية والعاطفية تحت أضواء الشريعة الإسلامية . ط ١ . جدة : دار الشروق .
٨٥. ياسين ، محمد بن نعيم . (١٤١٢هـ - ١٩٩١م) . الإيمان أركانه ، حقيقته نواقضه . ط ١ . القاهرة : مكتبة السنة ، الدار السلفية لنشر العلم .

ثالثاً : الرسائل العلمية غير المنشورة : -

٨٦. آل حميدي ، علي بن محمد بن محسن . (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م) . المضامين التربوية المستنبطة من بعض الأدعية النبوية . مكة المكرمة : جامعة أم القرى ، كلية التربية ، قسم التربية الإسلامية والمقارنة ، ماجستير .
٨٧. التويم ، خالد بن محمد بن يوسف . (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م) . مبادئ التربية الجنسية المستنبطة من القرآن والسنة . مكة المكرمة : جامعة أم القرى ، كلية التربية ، قسم التربية الإسلامية والمقارنة ، ماجستير .

٨٨. الخـــيري ، عبد المجيد بن أحمد بن محمد . (١٤١٧هـــ - ١٩٩٦م) . المبادئ الـــتربوية المستنبطة من آيات الوصايا في القرآن الكريم . مكة المكرمة : جامعة أم القرى ، كلية التربية ، قسم التربية الإسلامية والمقارنة ، ماجستير .

٨٩. الغـــامدي ، رفعه بنت أحمد بن صالح . (١٤٠٥هـــ - ١٩٨٥م) . صفات عباد الرحمن كما تصورها سورة الفرقان . مكـــة المكرمـــة : الرئاســـة العامـــة لتعليم البنات ، كلية التربية للبنات ، قسم الدراسات العليا الإسلامية ، ماجستير .

رابعاً : المجلات والدوريات :-

٩٠. الشـــــريف ، محمـــد بن موسى . (١٤٢٢هـــ - ٢٠٠١م) . حفظ الله للمؤمنين . صحيفة المدينة . العـــدد ١٤٠٤٤ ، ١٨ / رجب / ١٤٢٢هـــ - ٥/ أكتوبر / ٢٠٠١م - الصفحة الإسلامية ١٣ ، عمود (وقفة) . المملكة العربية السعودية : مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر .